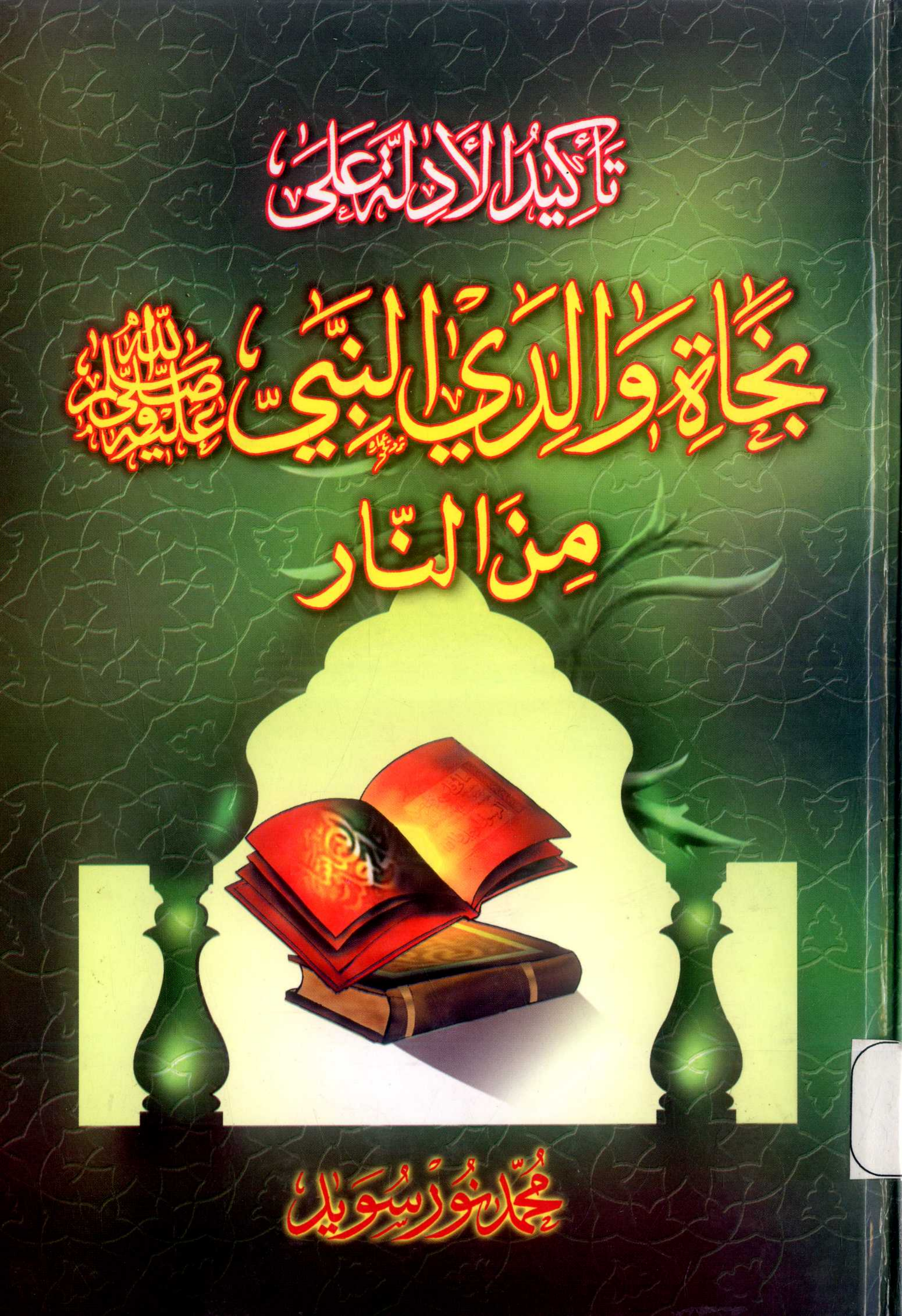

تأكيد الأدلة على
نجاة والدي النبي صلى الله عليه وسلم
من النار
محمد نور سويد

تأكيد الأدلة على

نجاة والدي النبي ﷺ

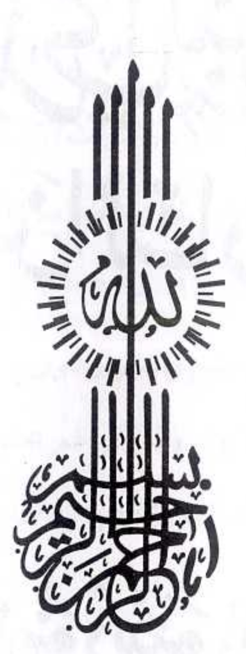
من النار

محمد نور سويد

الطبعة الأولى : نشر دار التراث الإسلامي القاهرة

الطبعة الثانية : مزيدة ومنقحة مع إعادة الترتيب

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م



تحذير نبوي

أخرج الإمام أحمد في مسنده، والنسائي -كتاب القَسامة/ باب القود من اللطمة- عن ابْن عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً وَقَعَ فِي أَبٍ - وفي رواية أحمد : وقع في أب للعباس- كَانَ لَهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَلَطَمَهُ العَبَّاسُ، فَجَاءَ قَوْمُهُ فَقَالوا : لَيَلْطِمَنَّهُ كَمَا لَطَمَهُ، فَلَبِسُوا السِّلاحَ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَقَال : ((**أَيُّهَا النَّاسُ! أي أَهْلِ الأَرْضِ تَعْلَمُونَ أَكْرَمُ عَلى اللهِ عَزَّ وَجَل**)).

فَقَالوا: أَنْتَ، فَقَال: ((**إِنَّ العَبَّاسَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لا تَسُبُّوا مَوْتَانَا فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا**)) .

فَجَاءَ القَوْمُ فَقَالوا: يَا رَسُول اللهِ! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِكَ، اسْتَغْفِرْ لَنَا.

فانظر إلى كلمة (موتانا)أي: أقرباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأخرج أحمد والترمذي - كتاب البر والصلة / باب ما جاء في الشتم- عن المُغِيرَة بْن شُعْبَةَ يَقُول: قَال رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ :

((**لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ**)).

وروى ابن منده وغيره عن أبي هريرة قال: جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله! إن الناس يقولون : أنتِ بنت حطب النار، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغضب فقال : ((**مَا بَال أَقْوامٍ يُؤْذُونَنِي فِي قَرَابَتِي، وَمَنْ آذَانِي؛ فَقَدْ آذَى اللهَ**)) (1) .

أرأيت إلى كلمة ((**يُؤْذُونَنِي**)) وأين هذا الإيذاء ((**فِي قَرَابَتِي**)) وما هي النتيجة ((**وَمَنْ آذَانِي؛ فَقَدْ آذَى اللهَ**)) .

---

(1) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط ، باب من اسمه محمد بن حنيفة الواسطي.

الإهداء

إلى من كان سبباً في تشريع فدية القتل الخطأ مائة من الإبل للأمة المسلمة..

إلى من أبى قرب الحرام في بيئة جاهلية تبيح كل شيء...

إلى الذبيح الطاهر بن الذبيح المهاجر المجاهد الشاب اليافع..

إلى من مات بعيداً عن الوطن يسعى على أبويه وزوجه وجنينه...

إلى سيدي عبد الله بن عبد المطلب رحمه الله ورضي عنه وأعلى مقامه في عليين.. مع ولده رسول الله .. اللهم آمين...

***

وإلى التي كانت سبباً في تشريع زيارة القبور ، فابتدأ بها ابنها الحبيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بزيارة قبرها وباستئذان خاص من الله تعالى... حتى يظهر مقامها الرفيع بين أصحابه وأمته...

إلى التي وقف على قبرها سيد الرسل ابنها البار الرحيم فبكى عليها بكاء الرحمة... وبكى معه أصحابه لبكائه..فهل نفعل ذلك؟!!..

إلى التي حملت سيد الكونين وولدته طاهراً مبرأ من كل عيب ...

إلى التي رأت النور في حمله ووضعه وكذلك ترى أمهات النبيين ..

إلى التي كانت سَفْعَاء الخَدَّين آمَت من زوجها... فعاشت لابنها فلم تتزوج ، فَرَعَتْ وَرَبَّتْ سيد البشر وآمنت به... فنالت بذلك شرف اللقاء والمنزلة مع ولدها الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم...

إلى سيدتي آمنة بنت وهب رحمها الله ورضي عنها وأعلى مقامها في عليين... مع ولدها رسول الله.... اللهم آمين...

وإلى روح الوالدين الحبيبين السيدين الشريفين الطاهرين المطهرين فكانا من المصطفين الأخيار ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٧) ﴾ [ص].

إلى روح من اختارهما ربهما ليكونا والدي سيد الخلق وحبيب الحق ..

إلى من حملا النور المحمدي في الصلب والجبين والرحم ...

إلى من اصطفاهما الله – تعالى – بالأبوة والأمومة لسيد الوجود ...

إلى من دعا لهما الحبيب المصطفى بالرحمة بأمر من ربه – سبحانه :

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء].

فكانت الاستجابة والعناية والرحمة الإلهية...

إلى من أقسم الله بهما ولم يقسم بوالدي أحد غيرهما:

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) ﴾ [البلد] .

إلى من أذهب عنهما ربهما الرجس وطهرهما تطهيراً – أصولاً وفروعاً – تكريماً لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) ﴾ [الأحزاب].

إلى روح والديّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم...

وزيادة في شرف سيدي وحبيبي وقرة عيني سيد السادات، وسيد الأكوان، وسيد الوجود، وسيد كل موجود[١]، المعقود بيده لواء الحمد، وهو للشفاعة العظمى وحده حامل ومتحمل، وللكوثر بيده شارب ومُشْرِب، ولا يرضى حتى يرى والديه معه في أعلى الجنان، ولا يسيء إليه ربه في أحد من أهله، سيدنا ورسولنا ونبينا وقائدنا وقدوتنا سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين – أصولاً وفروعاً – وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه أجمعين وسلم يارب تسليماً كثيراً كثيراً حتى ترضى ويرضى وترضيه بها عنا يا أرحم الراحمين.

أهدي ثواب هذا الكتاب ...

***

اللهم هذا الجهد وعليك التكلان.. في أن تنقذني ووالدي وإن علوا من النار، وأن تنقذ من النار كل من سعى – ووالديه– في نشر هذا الكتاب وأيده وتبناه وقدم له إلى يوم القيامة ... اللهم آمين.. أملاً في الحديث الشريف: ((**من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يداً؛ فلم يكافئه بها في الدنيا؛ فعليَّ مكافأته غداً إذا لقيني**)) رواه الطبراني في الأوسط.

---

(١) كل ما سوى الله هو كون يسبح الله، ورسول الله سيد كل من يسبح لله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾ [الإسراء]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) ﴾ [النور] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٤) ﴾ [الحشر] وقوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) ﴾ [الجمعة] ومن الأخطاء الشائعة قولهم: (الله موجود) والصحيح هو: (الله واجب الوجود) لأن كلمة موجود توحي أن هناك من أوجده وهو محال، لذا لا يجوز إطلاق ذلك على الله تعالى، لأنه – سبحانه – هو خالق كل موجود، وحبيبه سيد كل موجود، وسيد الوجود، صلى الله عليه وآله وسلم.

مقدمة خبير الموسوعة الفقهية الكويتية

أستاذنا الدكتور أحمد الحجي الكردي – حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم ، على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين ، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن توقير وحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكثرة سؤال الله – تعالى – بالصلاة عليه، وإكرام أهله وأزواجه وأصحابه ، من أقرب القربات إلى الله تعالى ، فقد روى الطُّفَيْلُ بْنُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيه ﷺ قَال: كَانَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم إِذَا ذَهَبَ ثُلثَا الليْل قَامَ فَقَال:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ.. اذْكُرُوا اللهَ.. جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ، المَوْتُ بِمَا فِيه)) . قَال أُبَيٌّ : قُلتُ : يَا رَسُول الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَل لكَ مِنْ صَلاتِي ؟. فَقَال : **((مَا شِئْتَ))** ، قَال: قُلتُ الرُّبُعَ ؟ . قَال : **((مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ))**، قُلت: النِّصف؟.قَال : **((مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ))**، قَال: قُلتُ : فَالثُّلثَيْنِ؟.قَال: **((مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ))**، قُلت: أَجْعَل لكَ صَلاتِي كُلهَا؟ قَال: **((إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لكَ ذَنْبُكَ))** رواه الترمذي وقال : حَسَنٌ صَحِيحٌ.

بل إن القرآن الكريم أمرنا بتوقير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتكريمه، ومنعنا من أن نرفع أصواتنا عنده، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ

صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجرات] .

وإن القرآن الكريم أمر الصحابة الكرام بألا يكلموا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [المجادلة] ثم نسخ ذلك تيسيراً عليهم، وتخفيفا عنهم، فقال جل شأنه :﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المجادلة] .

ولهذا كان سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم –والعياذ بالله- كفراً، والتقصير في توقيره وتكريمه فسقاً ؛ لأنه القدوة والأسوة والمثل الأعلى لكل مسلم ، لقوله سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب] .

وقد اختلف الفقهاء قديماً في نجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله وآمنة من النار، فذهب الكثيرون - بل الأكثر - إلى نجاتها، وخالف البعض في ذلك، وسبب هذا الاختلاف ورود بعض الأحاديث الشريفة التي توهم عدم نجاتها، وقد منع الكثير من الفقهاء عامة الناس من الخوض في هذا الموضوع أصلاً، لأنه لا تبنى عليه عقيدة، ولا يترتب عليه كمال إيمان، وربما وقع من خاض فيه بغير علم في بعض ما يخدش الاحترام والتوقير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقصد أو بغير قصد.

وقد عالج هذا الموضوع الصعب، والدقيق جداً، أخ كريم مؤمن وملتزم، ومحب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، هو الأستاذ المهندس محمد نور سويد، ولا أعلم عنه إلا أنه يحب الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أمكنه ذلك، وهو إلى جانب ذلك

محب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حباً جماً، أرجو أن يجعل الله تعالى عمله في سجل حسناته، وأن يحشرني معه وعامة المؤمنين تحت لواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يظلنا تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ، وذلك بعدما هاله وأزعجه قول من يرى أنهما غير ناجيين، فانبرى لتوضيح هذا الموضوع ، وقدم فيه ما استطاع من الأدلة، بقلب محب ، وعقل واع، وصبر على السبر والتدقيق ، وتتبع الأدلة من مظانّها مهما ضعفت ، والتفتيش عنها في الخبايا مهما تخفت ، فجاءنا في نتيجة دراسته بسفر جميل، قيم واع ، وملتزم لأساليب الاستدلال الموضوعي النزيه، والبحث العلمي العميق، بدقة وحساسية مرهفة، وانتهى من بحثه إلى أن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناجيان يوم القيامة – بإذن الله تعالى- وهو ما يثلج صدر كل مسلم؛ محب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقلب لذلك وجوه النظر، وطرق الاستدلال، وعزى كل قول لقائله بدقة العالم، ووعي المحلل والمُنَظِّر.

فأرجو من الله – تعالى - أن يجعل عمله في ميزان حسناته يوم القيامة ، وأن يبلغه ويبلغني معه درجات الأبرار والمقربين ، وأن يحفظنا ويحفظ أمتنا من كل سوء ، وأن يجمع شمل المسلمين ، ويوحد كلمتهم، ويشد من أزرهم ، وينصرهم على كل من يؤذيهم أو ينال منهم ، وأن ينفع بهذا السفر الكريم عباده المؤمنين ، ويزيل به عن المشتبهين الشبهات، حتى تطمئن قلوبهم إلى نجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخولهما الجنة في الآخرة – إن شاء الله- مع الأبرار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخميس ٢٩/ من رمضان ١٤٢٥هـ

و ١١/ من تشرين الثاني ٢٠٠٤م

أ.د.أحمد الحجي الكردى

خبير في الموسوعة الفقهية الكويتية،

وعضو هيئة الفتوى في دولة الكويت

مقدمة الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف
وعميد كلية الشريعة سابقاً من جامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرم المؤمنين من عباده بحب الأنبياء والأولياء- عليهم الصلاة والسلام- ووعدهم على ذلك في الجنة المنازل العظام: (المرء مع من أحب) يوم القيامة، والصلاة والسلام على سيد الأنام، صاحب الحوض والمقام، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد:

فقد اطلعت على البحث القيم الذي كتبه الأخ الكريم، المحب للنبي والآل – عليهم الصلاة والسلام- الشيخ محمد نور سويد –حفظه الله- عن (نجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم- يوم القيامة ، وقد أعطى الموضوع حقه ، ولم يقصر فيه جهده ، وكان الدافع له في كتابة البحث أمران :

الأول : محبة النبي وآله – عليهم الصلاة والسلام- وغيرته أن ينتهك جاهل أو معاند حرماتهم الشريفة.

والثاني : غيرته على أمته من أن يصير الصواب خطأ ، والخطأ صواباً، نتيجة لارتفاع صوت أصحاب الباطل، وسكوت أصحاب الحق عن بيان العقيدة السنية.

فجزاه الله خير الجزاء على حسن نيته، وأثابه (بما هو – عز وجل- أهل) ، لغيرته الدينية الحميدة ، وصلى الله وسلم وبارك على سيد الوجود ، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

الفقير إلى عفو الله الغني

محمد بن عبد الغفار الشريف

هل كان والدا الرسول وثنيين؟(١)

لا توجد شبكة إنترنت واحدة خالية من الهجوم على رسول الله ﷺ .. لا توجد دار نشر واحدة في الغرب لا تفكر في إصدار كتاب ضده .. عليه الصلاة والسلام .. وكأن موضة هذه الأيام هي السخرية من المسلمين ورسولهم الكريم . وفي مسلسل الهجوم على كل ما يمت للإسلام بصلة نجد من يلبس الباطل ثوب الحق .. ومن يستخدم منطق العقل الصوري والشكلي والظاهري البارد في تفسير ما يحتاج إلى عمق التفسير والإيمان .. وهو ما يربك أصحاب الثقافة الدينية البسيطة .. ويكاد يفقدهم الثقة في أنفسهم .. وفي دينهم . من هذه القضايا .. قضية والدي رسول الله ﷺ .. لقد أصبحا في ذمة الله .. قبل أن ينزل الوحي على الرسول ﷺ وهو في سن الأربعين .. وهو ما جعل البعض يأخذ الأمور بظواهرها .. ويدعي أنهما ماتا وهما مشركان .. لم يرحلا عن الأرض وهما يتمتعان بنعمة الإيمان.

والقول بأن الرسالة لم تبلغهما يعني أنهما معفيان من الحساب .. يقول - سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء] .. وقد كانت ولادة النبي ﷺ في عهد اسمه الفترة .. والمقصود بها : الفترة التي انقطعت فيها الرسالات السماوية بعد سيدنا عيسى عليه السلام .. وهي فترة تصل إلى نحو ٥٠٠ سنة .. وهي فترة طويلة .. ورغم ذلك حفظ الله السلسلة التي فيها رسول الله ﷺ من الأصلاب والأرحام.. من أول سيدنا آدم إلى يوم ولادته، لقد جاء النبي ﷺ من صلب طيب إلى رحم طاهر .. ولم يصبه من سفاح الجاهلية شيء .. قال ﷺ : ((**ترحلت من صلب طيب؛ إلى رحم طاهر، ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء، فأنا خيار من خيار من خيار**)) .

(١) مقالة في جريدة صوت الأمة المصرية بتاريخ ١/ ٩/ ٢٠٠٣م تحت عنوان : لحظة نور.

وقد أورد القرآن أن الرسول ﷺ تقلب في سلسلة طاهرة مؤمنة حتى يوم ولادته .. قال - سبحانه وتعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء] .

﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ..أي : من ساجد إلى ساجدة من صلب ساجد .. إلى رحم ساجدة .. ثم من صلب ساجد إلى رحم ساجدة .. وهذا يعني أن والدي النبي ساجدان . وأبو حضرة النبي ﷺ الأكبر هو سيدنا إبراهيم .. **وسيدنا إبراهيم تفرع منه فرعان:**

- **الفرع الأول سيدنا إسحاق** ومن ورائه سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف إلى سيدنا موسى وانتهاء بسيدنا عيسى .. هؤلاء كانوا أنبياء بني إسرائيل .

- **والفرع الثاني كان سيدنا إسماعيل** عليه السلام .. وهو الفرع الذي لم يخرج منه نبي سوى رسول الله ﷺ .

إذن النور اكتمل من الفرعين .. ولذلك يقال: دعوة إبراهيم وهو أبو الأنبياء لأنه أبو الفرعين ودينه كان الإسلام .. ومن ثم لا مجال أن يقال: إن والدي النبي وثنيان لأنها من الساجدين .. ولم تبلغهما الرسالة .. وبالتالي لا ذنب ولا جناح عليهما .. ولا داعي للخوض بجهل في أمور من هذه العينة .. لا داعي للأخذ بظواهرها.. بينما هي محسومة في الأحاديث النبوية والقرآن الكريم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مقدمة مؤلف الكتاب

بقلم المستشار المهندس: محمد نور سويد

(من آذى مسلماً في أبويه الكافرين: عُوقب، وأُدب، لحرمتهما)

الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى [(١)]

أقول :

فكيف فيمن لم يثبت كفرهما؟!، بل كيف إذا كانا أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟! عندها كيف سيكون العقاب والتأديب؟!

تعجبت من حماس بعض الناس، ومن بعض المشتغلين بالعلم، إلى سرعة إبداء الرأي في موضوع حساس يتعلق بوالدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم تناوله بمثل الجرأة التي كتبت وقيلت، ولو كان العلم يؤخذ بالسطحية والظاهر ؛ بدون تعمق في البحث، لما ظهر العلم ولما دعت الحاجة للاشتغال به ، ولسبح فيه كل من هب ودب.

لذا فلا بد من معرفة حقيقة الدليل الشرعي ، الذي يسير بالشكل التالي - فيما أعلم :

إما أن تكون المسألة مما سبق البحث فيها بين العلماء أو لا؟

فإن كانت الأولى:

فيبحث الباحث عن المسألة في كتب الإجماع، وهل سبق لها إجماع يجب عدم مخالفته؟ أم هي من المسائل المختلف فيها؟

وقد قال قتادة : من لا يعلم اختلاف الناس لم يشم رائحة العلم [(٢)] .

---

(١) انظر : عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ١٤/ ١٨٦ - كتاب الجهاد/ باب المجن.

(٢) انظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

وإن كانت المسألة لم يسبق البحث فيها، أو كانت مما اختلف فيه فيتبع ما يلي:

- استنباط الحكم من مجموع كل من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الواردة في المسألة، وليس من أحد المصدرين فحسب، وذلك لحل التعارض والإشكالات العلمية، لأن الأصل أن الوحي لا تعارض فيه، وإنما التعارض بين الرواة والتعارض في الفهم ومدارك العقل، وهل ثبت النسخ أم لا؟

- ثم النظر إلى موافقة الحكم المستنبط روح التشريع -وهو الاستحسان- وهل يتعارض الحكم المستنبط مع قواعد الشريعة الثابتة والنصوص الأصلية أم لا، مع الأخذ بعين الاعتبار المصلحة العامة، أو أن مخالفة الحكم المستنبط الجديد لكل ذلك.

- فإن وافق قبل، وإن خالف رفض، والله أعلم.

ولهذا قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني - تلميذ الإمام أبي حنيفة - رحمهما الله : كنا ننازع أبا حنيفة القياس، فإذا قال: أستحسن، فلا يلحق به أحد .

- ولا بد للدليل القوي أن يجيب على كافة الاعتراضات الواردة عليه ممن خالفه، وذلك وفق قواعد (دراسة التعارض والترجيح بين الأدلة) المذكورة في كتب أصول الفقه، وذلك على نحو ما فعل الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في كتابه النفيس عمدة علمي الفقه والحديث (شرح معاني الآثار).

- ثم النظر في صدور ذلك الحكم المستنبط، هل هو من أهله أو من غير أهله ؟ وهو أمر مهم ومعتبر في الترجيح، فالأئمة المتبوعون، ترجيحهم معتبر ومرجح عندما يختلف معهم من هو دونهم.

وبدون ذلك يكون التشهي في القول، والبدعة في الرأي من حيث يشعر الباحث أو لا يشعر.

أما أن يضرب الباحث بكل ذلك وراء ظهره ، وينشئ رأياً جديداً مخالفاً لما عليه الأئمة ، ومخالفاً للقواعد والأصول ، ومتبعاً للمنسوخ أو المرجوح ، أو مرجحاً للظني

على القطعي ، فهذا بعيد عن الدليل الشرعي ومنهج الأدلة ، وبعيد عن مسلك السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان.

لهذا عكفت على تلخيص الأدلة في المسألة التي عنونتها وهي:

(تأكيد الأدلة على نجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النار).

ولا بد من التنبيه إلى أن الإنسان مسؤول أمام الله - تعالى - عن تكفير أي: إنسان لا تقوم الأدلة على تكفيره مائة بالمائة [(١)] .

وإن إثبات إيمان أي إنسان يمكن أن يستند إلى حديث ضعيف ، لما اشتهر عن الإمامين الجليلين - أبي حنيفة وأحمد - رحمهما الله تعالى : الحديث الضعيف أحب إلي من رأي الرجال ، وكذلك الإمامان مالك والشافعي قدما الحديث الضعيف على القياس [(٢)] .

أما تكفير أي إنسان فلا بد أن يستند إلى دليل قطعي الثبوت وقطعي الدلالة.

ولهذا قال أحد الأئمة الأعلام وذلك من شدة الحيطة: (إننا نكفر الكلمة، ولا نكفر قائلها، فلعله لم يقصد معنى الكفر، أو رجع عن رأيه قبل الممات).

قلت: وخاصة عندما يشتهر قائل الكلمة بالعلم والعمل، وهذا منهج سليم عقلاً ونقلاً.

وأحب أن أنوه إلى أن معنى الآيات والأحاديث التي أستشهد بها في هذا البحث، قد يكون لها أكثر من معنى ، فأختار المعنى الذي يؤيد معنى النجاة لوالدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لأنه بيت القصيد لهذا البحث، وليس معنى هذا الاختيار تحريف معنى الآية أو الحديث الشريف ، وإنما التنبيه والتأكيد على وجود هذا التفسير المؤيد لهذا المبحث من قبل العلماء أهل الاختصاص، وعليه فلا يجوز لأحد القول: بل معنى الآية أو الحديث كذا، وأنت لم تذكره ، وبالتالي يتهمني بعدم المصداقية في البحث.

---

(١) انظر : حاشية ابن عابدين الحنفي ، باب المرتد.

(٢) انظر : (إعلام الموقعين عن رب العالمين) للإمام ابن قيم الجوزية ت: ٧٥١ هـ، ١/ ٣١ .

لأنني أقول: ما دام هناك من ذهب في معنى الآية أو الحديث الشريف؛ من الأئمة والمجتهدين والعلماء؛ المشهود لهم بالعلم؛ إلى أحد المعاني المؤيدة لنجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فذلك حسبي وبغيتي وأملي وحبي وتقديري.

وأما المخالف فلا يجوز له أن يرجح المعاني الأخرى المحتملة، لأن الأمر يتعلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعليه الالتزام بالأدب.

وحتى يكون البحث بحثاً علمياً دقيقاً، فإنني حرصت على نقل أصح الأقوال، ما أمكن، وعزو كل قول إلى قائله ومصدره، حرصاً على الأمانة العلمية أولاً، وذكر أولئك الجهابذة الصالحين والترحم عليهم ثانياً ، لأنه كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله: عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة، وتحصل البركات بذكر آيات القرآن وأحاديث نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان.

ونقطة مهمة لا بد من ذكرها : أن هناك مسائل كثيرة اختلف فيها العلماء - أقلها الثلث- وأقروا بذلك الاختلاف، فلماذا لا يقر المخالف المعاصر بوجود اختلاف في مسألتنا ؟ولماذا يصر على المعنى المعاكس؟! وما هي مصلحته في ذلك؟!

مع العلم أن مسألتنا هذه، لا ينبني عليها أمور اعتقادية أخرى، أو تؤثر على أمر آخر في العقيدة، أو تحدث أي خلل في منهج الفهم للعقيدة أو للشريعة، حتى مال بعض العلماء ومنهم ابن حجر العسقلاني رحمه الله، وتلميذه السخاوي؛ إلى التوقف وعدم الخوض في المسألة لا مؤيداً، ولا معارضاً.

وقد يقول قائل: فلماذا جئت بهذا البحث مؤيداً؟

والجواب: لما رأيت بعض من يدرس التربية الإسلامية يعلم أبناء المسلمين الرأي الآخر، ولا يلتزم الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويعتبرها مسألة اعتقادية هامة؛ يجب توريث فهمها للأجيال ، ولا يظهر أدلة نجاتها ، ويعتبر رأيه الصواب فقط؛ لا مندوحة عنه، أخذتني حمية دينية ، ومحبة نبوية ، وبدأت أبحث في

المسألة رويداً رويداً ، حتى تشكل هذا البحث، وكان أصله مقالة ملخصة وجيزة ؛ نشرت في مجلة النور الكويتية ، واستخرجتها من كتاب (شرح المواهب اللدنية للحافظ الزرقاني) ، وكتاب (سبل الهدى والرشاد للصالحي الدمشقي) ، فإذا ببعضهم يأخذ الموقف المعاكس ، فعندها كان لزاماً أن أقوم بنشر هذا البحث ، ولكل رأيه واعتقاده .

وقد يقول قائل : أليس من الأجدى التصدي للأمور المهمة، أو يقول : إن هناك أموراً وقضايا أهم مما بحثته ، فلماذا أشغلت نفسك ، وأشغلت الرأي العام بهذا البحث؟

والجواب : كل مسلم على ثغرة من ثغور الإسلام ، وكل باحث له تقدير حجم الثغرة التي يراها مناسبة للبحث فيها ، كما أن هذا المبحث يتعلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكل ما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم أطالب نفسي بتبيانه، والدفاع عنه ، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ، كما أنه لو ترك كل بحث بسبب تلك الدعوى، فعندها لا يحتاج الأمر لطلب العلم ؛ لأنه يوجد أفضل منه عند أصحاب تلك الدعوى، وهذا لا يقول به أحد .

ولقد سألتُ أحدهم: إذا كان الأمر عندك لا يهم ، فعلى أي قول تربي أولادك ، وماذا تقول لأولادك إن سألوك ؟ فتعثر في القول ، فقلتُ له : إذاً أنت مع الخصم ، وتريد ألا نبحث في المسألة ونسكت ، ويتكلم الخصم ، ويعتبرها قضية عقدية، تريدونهم يتكلمون بها في المدارس والمساجد ، وتطالبنا بالسكوت باسم الحكمة الدعوية، وظروف الأمة، وتأليف الصفوف ، ما هذه الانهزامية من بداية الطريق ؟!! وما هذه الحكمة غير الشرعية في الإسكات ؟!! ولماذا لا تريدون إظهار المسألة على حقيقتها، وأقوال العلماء فيها ؟!! ولماذا تصرون على أن المعارض هو الأصح ؛ إلا أن يكون رأيكم كذلك ؟!! ولماذا تريدون تكميم الأفواه ، وصم الأسماع من قبول الرأي الآخر ، وهو رأي جمهور الأمة سلفاً وخلفاً ؟!!

كما أحب التنويه إلى أن الحديثين المختلف في تفسير معانيهما بيننا وبين المعارض هما من رواية الإمام مسلم، ولا خلاف على ذلك، وهما:

الأول: ما رواه مسلم في صحيحه –كتاب الإيمان– عن حماد عن ثابت عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: ((فِي النَّارِ)) فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: ((إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ)) .

والثاني: ما رواه مسلم أيضاً –كتاب الجنائز/ باب استئذان النبي ربه– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: ((اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ)) [1] .

وإنما الخلاف والاختلاف في تفسيرهما، وأسأل:

هل الحكم الشرعي يؤخذ من حديث واحد فقط، ويترك القرآن كله، وتترك السنة كلها؟!!! وهل يستدل المعارض بأحد المعاني الظاهرة، والتي يراها في الحديثين فقط، ويفسرهما بدون تدقيق عميق، ولا تحقيق علمي في المعاني مع باقي الآيات والأحاديث الأخرى؟!!

والبعض يقول: هذان الحديثان في صحيح مسلم فماذا أنت فاعل؟

والجواب: نسي هذا القائل ما ذكره العلامة الحازمي في كتابه (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ) طريقة الترجيح فقال في الدرجة الخامسة بعد المائة للترجيح: (كون الحديث في صحيحي البخاري ومسلم)، فإذاً هناك مائة وأربع درجات تسبق كون الحديث في صحيح البخاري ومسلم، وليست هي الدرجة الأولى للترجيح، كما فهمه البعض المعاصر، مع عدم التسليم بما فهمه المخالف من الحديثين كما سيأتي بيانه.

(١) وفي رواية الترمذي –كتاب الجنائز/ باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور– عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ **فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ**))، قَالَ: وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ بُرَيْدَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لا يَرَوْنَ بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ بَأْسًا، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ الْمُبَارَكِ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ.

ولهذا قال الإمام السيوطي في رسالته (مسالك الحنفا) في نهاية المسلك الثاني: (ليس كل حديث في صحيح مسلم يقال بمقتضاه، لوجود المعارض له).

بالإضافة كون الرواية الأولى عن حماد، فهل يعقل ترك صريح القرآن والسنة من أجل رواية حماد؟!! أم حملها على المجاز جمعاً بين الأدلة؟!

وكما قال الإمام الطحاوي رحمه الله: (إنما وقع الخلاف بيننا وبينكم في تأويل الحديث، لا في نفس الحديث، لأنا قد صرفنا الحديث إلى وجه يحتمله، فاعرفوا موضع خلاف التأويل، وموضع خلاف الحديث، فإنهما مختلفان، ولا توجبوا مَن خالف تأويلكم خلافاً لذلك الحديث) [1] .

وعن معمر قال: لو أن رجلاً أخذ بقول أهل المدينة في الغناء، وإتيان النساء في أدبارهن، وبقول أهل مكة في المتعة؛ والصرف، وبقول أهل الكوفة في المسكر: كان شرّ عباد الله) [2] .

ومن المعلوم أن الأئمة المجتهدين والمذاهب الفقهية الأربعة وغيرها، لم تعمل ببعض الأحاديث الصحيحة، مرجحة غيرها صحيح العمل به، وليس ترجيحها يعني أنها –المذاهب الفقهية– تركت السنة الصحيحة، ولم يقل أحد بهذا، وإنما لا بد من الترجيح عند التعارض، وهذا معنى الفقه والفقيه، **وتفسير قاعدة الأئمة: إذا صح الحديث فهو مذهبي،أي: إذا صح العمل بالحديث فهو مذهبي** [3]، لأن هناك صحة الإسناد وهو رواية العدل الضابط عن مثله من أول السند إلى منتهاه، **وصحة المتن تتعلق من خلو المتن من: الشذوذ والعلة القادحة** [4]، ثم الترجيح بين الأدلة من الكتاب والسنة ليصح العمل بالحديث الشريف.

(١) انظر: شرح معاني الآثار للإمام الطحاوي (باب ما يلبس المحرم من الثياب)، كما نقله شيخنا محمد عوامة –حفظه الله في صحة وعافية– في كتابه أدب الاختلاف ص ١٠٨ .

(٢) انظر: (**أدب الاختلاف**) لشيخنا محمد عوامة حفظه الله ص ١١٩ .

(٣) انظر: (**أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء**) لشيخنا محمد عوامة حفظه الله في صحة وعافية.

(٤) انظر: (**شرح المنظومة البيقونية**) لشيخنا عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى، والتي تلقيت شرحها عن شيخنا محمد عوامة مرتين في مدينتنا حلب الشهباء حفظها الله وسائر بلاد المسلمين.

فما الضير في مسألتنا هذه أن يحصل الاختلاف في معنى هذين الحديثين، ويرجح عليها من الآيات والأحاديث الأخرى؟!! ولماذا الوقوف عليها بدون عمق، ولماذا الإصرار على أحد المعاني الظاهرة؟!

إن أهل السنة والجماعة مختلفون في هذا الموضوع، بين مؤيد وهم الكثرة الكثيرة، ومعارض وهم القلة، ومتوقف في الأمر وهم على ندرة، ومرجع ذلك للامتحان يوم القيامة وهم قلة قليلة، **وعليه فإظهار المخالف في عصرنا أن المسألة مجمع عليها عند أهل السنة والجماعة؛ مخالف للحقيقة والواقع، وتضليل للرأي العام، وعدم النزاهة في العرض، وخالٍ من الأمانة العلمية، وسيعرض نفسه للمساءلة الإلهية والنبوية يوم القيامة لمن تسول نفسه فعل ذلك.**

وأنوه إلى أن نصرتنا لنجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان هدفها البحث المجرد، فوافقت نتائجه المذهب الشيعي[1]، فأرجو ألا يزداد حماس المخالف للمخالفة بسبب تلك الموافقة ويزداد حماسه للرد ظناً منه أنه يرد على الشيعة في هذه المسألة، لأن أهل السنة والجماعة قائلون به ويعتقدونه، ولأن هناك كثيراً من القضايا الاعتقادية والفقهية يتوافق المذهبان السني والشيعي عليها، ولا يعارضها أحد؟! فالحذر من التباس الأمر.

(١) لا بد هنا أن نفرق بين **المذهب الشيعي المقبول** لدى أهل السنة والذي يعترف بصحبة ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وباقي الصحابة رضي الله عنهم، **والمذهب الرافضي المرفوض**، الذي يرفض ويضلل ويكفر الصحابة وهو مذهب ضال أو كافر بحسب درجة غلوه، ودرجة معاداته للصحابة رضوان الله عليهم، وسبب التكفير تكذيب الرافضي لله تعالى لترضى الله تعالى عليهم في أكثر من موضع في القرآن:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة:١٠٠] وقوله تعالى: **﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾** [الفتح].

وانتبه لقوله تعالى: **﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾**، فهل الرافضة أعلم من الله تعالى بما في قلوب الصحابة؟! حتى يكفروهم، وأما خبر (لا تدري ما أحدثوا بعدك) فمحمول على غير من بايع تحت الشجرة، وهم المرتدون، ومانعو الزكاة، اللذان حاربهم ساداتنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وباقي الصحابة رضوان الله عليهم والله أعلم.

وعليه إذا أصر المخالف على الاستمرار في المخالفة، فقط لأن المذهب الشيعي رأيه موافق لنجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن عليه أن يعارض رأيهم مهما كانت النتائج، ولا ينظر بعين البصر والبصيرة لما قدمت من أدلة، فأقول: على المخالف الاستمرار في المخالفة لباقي الأمور حتى يبقى مخالفاً في كل الأمور، وأظن أن هذا لا يقول به عاقل!

يقول شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي[1] في كتابه (المنح المكية في شرح الهمزية)١/ ١٥٥:

(وقول أبي حيان: إن الرافضة هم القائلون: إن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنون غير معذبين مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء] فلك رده، **بأن مثل أبي حيان إنما يرجع إليه في علم النحو، وما يتعلق به، وأما المسائل الأصولية فهو عنها بمعزل**، كيف والأشاعرة ومن ذكر معهم فيما مر آنفاً على أنهم مؤمنون، ونسبة ذلك للرافضة وحدهم مع أن هؤلاء الذين هم أئمة أهل السنة قائلون به، قصور وأي قصور، وتساهل وأي تساهل) انتهى.

ولهذا أقول: لا بد من الإخلاص والبحث المتجرد لله تعالى، والدقة في الفهم، والعمق في التفكير، **والتأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**، والحرص الشديد على قبول الاختلاف في الفهم، فهو شعار السلف الصالح، والعلماء الراسخين، بل إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليقول لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: **(لو اتفقتما على شيء ما خالفتكما فيه)**[2]. واختلاف الصحابة رضوان الله عليهم في فهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد غزوة الأحزاب: ((لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة)) واختلافهم في أسرى بدر.

(١) قال عنه ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ٨/ ٣٧٠: (فقد كان شيخ الإسلام خاتمة العلماء، بحراً لا تكدره الدلاء، إمام الحرمين، كما أجمع عليه الملأ...).

ودعا له شيخه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: (أسأل الله أن يفقهك في الدين) الفتاوى الفقهية الكبرى ١/ ٣.

(٢) انظر كتاب: الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري.

وبقبول الرأي والرأي الآخر انتشرت المذاهب الفقهية ، ونشط العلم ، وألفت الكتب ، وفتحت المدارس والجامعات أبوابها، **حتى قال العلماء - وهي قاعدة ذهبية في قبول الرأي الآخر:**

(رأينا صواب ويحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ ويحتمل الصواب) [١].

والحذر الحذر من الحماس في تطبيق قاعدة الولاء والبراء في مسألتنا هذه، -كما فعل البعض- وجعل قاعدة الولاء والبراء أساساً للتعامل مع ظاهر ما فهمه من رواية حماد مسبقاً، وبالتالي أصدر الحكم قبل معرفة الأدلة، فوقع في الطامة الكبرى.

والمجتهد المعارض في هذه المسألة لن ينال سوى الوبال والخذلان إن لم يتعامل مع المسألة بحذر ودقة فائقة وأدب جم كبير ، وهذا يفتقده شباب العصر، وبالتالي فعليهم السكوت وعدم تسويد أيديهم بالرأي المخالف خوفاً عليهم من الانزلاق في سوء الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبالتالي الوقوع في الكفر أو النفاق والعياذ بالله.

وبقي أن أذكر مؤلفات العلماء الأعلام الذين نافحوا عن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكروا أدلة كثيرة عليها فمن أراد الزيادة فعليه بها ، وذلك حتى لا يظن أنني ابتدعت بحثاً لم أسبق إليه ، وإنما أنا تُلَيْميذ أولئك العلماء ، أعيش على موائد فضل الله عليهم ، بما فتح عليهم من علم ، وبما وهبهم من حجة ، وبما أعطاهم من إخلاص، فرحمهم الله رحمة واسعة ، وإليك هم :

١ - ست رسائل للإمام السيوطي رحمه الله تعالى وهي:

أ- مسالك الحنفا في والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ب- الدُّرَج المنيفة في الآباء الشريفة.

جـ- المقامة السندسية في النسبة المصطفوية.

د- التعظيم والمِنَّة في أن أبوي رسول الله ﷺ في الجنة.

---

(١) نقل شيخنا محمد عوامة في كتابه النفيس (أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين) ص١٢٧ ، عن شيخه مجدد علوم السنة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة رحمه الله تصحيح العبارة أعلاه بوضع حرف الواو (ويحتمل) لنفي تساوي الخطأ مع الصواب.

هـ- نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين.

و- السبل الجلية في الآباء العلية.

وقد طبعت هذه الرسائل في حيدر أباد الدكن في الهند بمطبعة دائرة المعارف النعمانية في ضمن كتاب الرسائل التسع وقد حصلت على نسخة منها [١] واستفدت منها، والرسائل الست فيها تكرار للرسالة الأولى، وإنني عازم - إن شاء الله - على تحقيق الرسالة الأولى، وضم الرسائل الخمس إليها فيما أضافه الإمام السيوطي من أدلة جديدة، فمن الله التوفيق.

٢- مقدمة رسائل أبي حنيفة (العالم والمتعلم) تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري [٢] رحمه الله تعالى .

٣- وكتاب شيخنا الدكتور عناية الله إبلاغ: (آراء الإمام الأعظم أبي حنيفة في العقيدة الإسلامية) طبع دار الترجمة في الكويت والذي أصله رسالة ماجستير من جامعة الأزهر طبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر عام ١٣٩٠هـ .

٤- وكتاب شرح (الفقه الأكبر) تحقيق : وهبي سليمان الغاوجي ، نشر دار البشائر الإسلامية عام ١٤١٩هـ .

٥- رسالة (الانتصار لوالدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم المختار) للعلامة مرتضى الزبيدي صاحب شرحي القاموس والإحياء، ولم أحصل عليها حتى الآن.

٦- كتاب (النهضة الإصلاحية) للشيخ العلامة مصطفى الحمامي ، فصل تحقيق رأي ملا علي القاري الأخير في المسألة وهو النجاة، واطلعت عليه [٣] .

---

(١)وذلك عن طريق شيخنا محمد خواجة شريف - شيخ الحديث في الجامعة النظامية - فجزاه الله خيراً.

(٢) تمت طباعة رسائل أبي حنيفة رحمه الله بإعداد العبد الفقير ، يطلب من المكتبات الإسلامية ومن دار ابن كثير دمشق ، بيروت، ومن مكتبة البيان في الكويت.

(٣) وقد ذكر أغلب هذه الكتب الأخ الدكتور التركي: خليل إبراهيم قوتلاي في كتابه (الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث) ونال به رسالة الماجستير من جامعة أم القرى عام ١٤٠٦هـ ونشرته دار البشائر الإسلامية بيروت على صاحبها رمزي دمشقية الرحمة والرضوان من الله تعالى.

٧- كتاب (سَداد الدِّين وسِدَاد الدَّين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين) لمحمد البرزنجي الحسيني المدني ، تحقيق : عباس أحمد صقر الحسيني وحسين محمد علي شكري ، نشر دار المدينة المنورة ط١ عام ١٤١٩ هـ. أهداه إلي سيدي يوسف هاشم الرفاعي الحسيني حفظه الله .

٨- رسالة (الفرح والسرور) للشيخ محمد المرعشي المعروف بـ ساجاقلي وهي مخطوطة في مكتبة يوسف آغا في قونيا برقم ٥٩٩٥ .

٩- كتاب (مطالع النور السني المنبئ عن طهارة نسب النبي العربي) [1] .

(وهو مختصر على تسعة مطالع أوله : الحمد لله الذي أراد أن يفتق الرتق المختص بحضرة العلماء والأسماء ... إلخ للشيخ عبدي أفندي .

المطلع الأول: في انبعاث الروح المحمدي.

الثاني : في ثبوت إسلام أبويه.

الثالث: في الآيات الدالة على بقاء ملة إبراهيم.

الرابع: في الأحاديث التي دلت على طهارة نسبه صلى الله عليه وآله وسلم.

الخامس: **في إحياء أبويه صلى الله عليه وآله وسلم.**

السادس: **في الرد على من استدل بحديث مسلم على أنهما في النار.**

السابع: في الفترة الثامنة فيمن بقي على دين إبراهيم.

التاسع: في عدم التعذيب لمن مات في الفترة.

١٠- كتاب (المنح المكية في شرح الهمزية) [2] لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي المصري الشافعي المتوفى ٩٧٣ هـ. شرح قصيدة البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ٤٥٦ بيتاً قال في البيت السادس منها:

(١) انظر : كشف الظنون ج: ٢ ص: ١٧١٨ .

(٢) والتي مطلعها:

كيف ترقى رُقيك الأنبياءُ   يا سماءً ما طاولتها سماء

والكتاب تحقيق بسام محمد بارود ونشر المجمع الثقافي – أبو ظبي – ط ١ ١٤١٨ هـ. وهو في ثلاثة مجلدات طباعة فاخرة.

لم تزل في ضمائر الكون تُختا   ر لك الأمهات والآباء

فوقف عند البيت وفصل فيه مؤيداً نجاتهما ورد على الشبه ، وقد أثبت كلامه في كل مقطع في محله.

وذكر ابن حجر الهيتمي المسألة كذلك في كتابه(النعمة الكبرى) وكتابه (الفتاوى).

١١- رسالة لعبد القادر الطبري الحسيني الشافعي (٩٧٦- ١٠٣٣هـ.) إمام الحرم المكي وهو رد على شيخه ملا علي القاري مما أدى بشيخه إلى الرجوع عن قوله الأول، ولله الحمد والمنة وهذا شأن أهل الإخلاص في مدارسة العلم الرجوع إلى الحق [1].

١٢- كتاب (مرآة الزمان في وفيات الفضلاء والأعيان) لسبط ابن الجوزي (ت:٦٥٤هـ).

(١) انظر كتاب صديقنا التركي الدكتور إبراهيم خليل قوتلاي في رسالته للماجستير عن (الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث) ص١٠٦-١١١ ثم ينقل قول المحقق الشيخ مصطفى الحمامي في كتابه (النهضة الإصلاحية) – وقد اطلعت عليه في مكتبة أخينا الكبير الشيخ عبد الرحمن كعكعي في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام:

(بقي أن يقال على رجوع ملا علي القاري عن رسالته: نحن لا ندرى أى: الأمرين المتأخر؟ فنقول: الأمر ظاهر على تقدير أنه المتأخر كلامه في الشفا، أما على تقدير أن الرسالة هي المتأخرة فإن الشيخ صرح على الشفا أن القول بإسلام الوالدين متفق عليه بين الأجلة من الأمة، وهو ما عليه الجمهور من الثقات، وإذاً لو رجع عن هذا القول يكون مخالفاً لما اتفق عليه الأجلة والذي عليه الجمهور من الثقات، وأي قيمة لقول يخالف فيه قائله ما اتفق عليه الأجلة من الأمة) انتهى.

قلت – م نور: إن العمل بالمنسوخ حرام بعد ثبوته، كما هو مقرر في علم أصول الفقه، وإن نشر كتاب (أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) للشيخ ملا علي القاري بعد رجوعه عنه،عمل مشين،وإيذاء لمؤلفه، ثم إيذاء للإمام أبي حنيفة الذي رأيه بخلاف ذلك،ثم إيذاء أكبر لصاحب الرسالة الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،وهو الكفر ممن تعمد طباعة ذلك، أو النفاق إن قصد قلة الأدب،والعياذ بالله تعالى،لذا وجب التنبيه لذلك حتى لا ينخدع السذج،أو من لم تصله الحقيقة.

كما نلفت نظر القارئ إلى أن العلامة البَرْزَنْجِي الحسيني المدني مفتي الشافعية، وإمام عصره ومجدده، في المدينة المنورة (١٠٤٠- ١١٠٣هـ) قد رد على كتاب ملا علي القاري بكتابه: (سَدَاد الدِّين وسِداد الدَّين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين) طبع دار المدينة المنورة، بتحقيق السيد عباس أحمد صقر الحسيني، وحسين محمد علي شكري ط١ عام ١٤١٩ هـ فجزاهم الله خيراً.

١٣- شرح صحيح مسلم للإمام أبي عبد الله محمد بن خلف الأبي.

١٤ - كتاب (خاتم النبيين) ١/ ١٢١-١٢٤ للإمام محمد أبو زهرة.

وقد حصلت على أسماء كتب أخرى في الموضوع من الشبكة العنقودية (الإنترنت) حيث قام أحد المحبين في الرد على أحد المبطلين الغافلين وهي [1] :

١٥- إرشاد الغبي في إسلام آباء النبي ﷺ تأليف أحد علماء الهند كما في كشف الظنون.

١٦- حديقة الصفا في والدي المصطفى ﷺ للإمام السيد مرتضى الزبيدي.

١٧- العقد المنظم في أمهات النبي ﷺ للسيد مرتضى الزبيدي.

١٨- حقيق آمال الراجين في أن والدي المصطفى ﷺ من الناجين ، لابن الجزار.

١٩- ذخائر العابدين في نجاة والدي المكرم سيد المرسلين ﷺ للأسبيري.

٢٠- مرشد الهدى في نجاة أبوي المصطفى ﷺ لوحدي الرومي.

٢١- مطلع النيرين في إثبات نجاة أبوي سيد الكونين ﷺ للمنيني.

٢٢- هدايا الكرام في تنزيه آباء النبي عليه الصلاة والسلام للبديعي.

٢٣- أمهات النبي ﷺ للمدائني .

٢٤- الأنوار النبوية في آباء خير البرية ﷺ للرفيعي الأندلسي.

٢٥- بلوغ المآرب في نجاة أبوي المصطفى وعمه أبي طالب للأزهري اللاذقي.

٢٦- بلوغ المرام في آباء النبي عليه الصلاة والسلام لإدريس بن محفوظ.

٢٧- تأديب المتمردين في حق الأبوين، لعبد الأحد بن مصطفى الكتاهي السيواسي.

٢٨- رد على من اقتحم القدح في الأبوين الكريمين للبخشي.

٢٩- قرة العين في إيمان الأبوين للدوايخي.

(١) من الموقع

67975dd1@.8.UwMkrvAsXAR 144@128.hTTP://alsaha.fares.net/sahat?

٣٠- القول المختار فيما يتعلق بأبوي النبي المختار ﷺ للديربي.

٣١- الجواهر المضية في حق أبوي خير البرية ﷺ للتمرتاشي.

٣٢- سبيل السلام في حكم آباء سيد الأنام ﷺ لمحمد بن عمر البالي.

٣٣- أخبار آباء النبي ﷺ للكوفي ذريعه.

٣٤- أنباء الأصفياء في حق آباء المصطفى ﷺ للرومي الأماسي.

٣٥- تحفة الصفا فيما يتعلق بأبوي المصطفى ﷺ للغنيمي.

٣٦- رسالة في أبوي النبي ﷺ للفناري.

٣٧- آباء النبي ﷺ لابن عمار.

٣٨- السيف المسلول في القطع بنجاة أبوي الرسول ﷺ لأحمد الشهرزوري.

٣٩-خلاصة الوفا في طهارة أصول المصطفى ﷺ من الشرك والجفا لمحمد بن يحيى ابن الطالب.

٤٠- مباهج السنة في كون أبوي النبي ﷺ في الجنة لابن طولون.

٤١- سعادة الدارين بنجاة الأبوين لمحمد علي بن حسين المالكي.

٤٢- القول المسدد في نجاة والدي سيدنا محمد ﷺ لمحمد بن عبد الرحمن الأهدل.

٤٣- خبة الأفكار في تنجية والدي المختار ﷺ لمحمد بن سيد إسماعيل الحسني.

٤٤- إيجاز الكلام في والدي النبي ﷺ لمحمد بن محمد التبريزي.

٤٥- كنى آباء الرسول ﷺ لابن الكلبي.

٤٦- أسماء أجداد النبي ﷺ للبرماوي.

٤٧- أمهات النبي ﷺ لابن المديني . انتهى [1].

(١) أرجو من الجامعات الإسلامية ومن الأزهر الشريف على الأخص تكليف طلبة الماجستير لتحقيق تلك المخطوطات وبالله التوفيق.

فهذه الكتب والرسائل من العلماء الأجلاء الذين تصدوا للفكر المخالف لها دلالتها العلمية، وقوتها اليقينية، وهي تنبيه لفكر المخالف بخطورة موقفه.

ومن الضروري أن نذكر أن إثبات إيمان أي إنسان بشبهة إيمان، لا يؤاخذ الله عليها يوم القيامة، إن كان بخلاف ذلك، بينما القول بكفر إنسان، وثبوت إيمانه يوم القيامة، فإن القائل يعرض نفسه للمساءلة الإلهية؟!!، فكيف ستكون المساءلة بشأن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!! وكيف ستكون مساءلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمخالف؟!!

فالرسائل العلمية في كل من القاهرة وأم القرى، بالإضافة إلى رسائل العلماء المذكورة فيما سبق، عبر التاريخ، تثبت بالتحقيق العلمي الأكاديمي نجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكأن هناك أصواتاً مخالفة تصدر في كل عصر ومصر فيتصدى لهم الأفاضل الكرام، فجزاهم الله خير الجزاء جميعاً، ولله الحمد والمنة ومن الله التوفيق والهداية.

وكنت أثناء كتابة البحث أحب أن أعثر على رأي الأولياء الصالحين المشهود لهم بالولاية والعلم والعمل؛ عند جميع أهل السنة والجماعة، إلى أن عثرت على **قول القطب الرباني السيد محيى الدين أحمد أبو العباس الرفاعي الحسيني** ؓ (٥٧٤-٦٧٠هـ) (١) ونفعنا والمسلمين بعلومه حيث قال رحمه الله:

(أجمع أولياء الله العارفون به، واتفقوا على أن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة، ولهما عند الله - تعالى - المنزلة الرفيعة، والرُّتبة الشريفة، وهما -رضي الله عنهما-

(١) قال الإمام الذهبي عنه: (الإمام القدوة، العابد، الزاهد، شيخ الطريقة، أبو العباس أحمد الرفاعي) انتهى.

ومن أشهر كتبه المطبوعة: (البرهان المؤيد)، و(النظام الخاص)، و(الحِكَم)، و(حالة أهل الحقيقة مع الله)، و(شرح التنبيه) في ستة مجلدات وغيرها. انظر كتاب (الإمام السيد أحمد الرفاعي) تأليف السيدين الفاضلين السيد يوسف هاشم الرفاعي الكويتي، والسيد مصطفى الرفاعي الندوي، وقدم للكتاب شيخ الدعاة شيخنا أبو الحسن الندوي الحسني رحمه الله تعالى.

من أهل الإيمان ، **ولا يشك في ذلك إلا من اسودَّ قلبُه، وساء مع نبيه الكريم أدبه**، وكذلك آباء الأنبياء والمرسلين وأمهاتهم فكلهم من أهل الإيمان، ونبيُّنا صلى الله عليه وآله وسلم عمود نسبه الشريف من آبائه وأمهاته الطاهرين من أبيه السيد عبد الله الأنور، وأمه السيدة آمنة الطاهرة إلى سيدنا أبي البشر وأم البشر حواء - عليهم السلام- كلهم مؤمنون موحدون، تسلسل فيهم الخير والبركة والإيمان والتوحيد ونكاح الإسلام ، وحفظهم الله من سفاح الجاهلية ، ومن عبادة الأصنام والشرك، واتفقت كلمة القوم على أن من خالف هذا القول يكون مؤذياً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مفارقاً طريق الصواب:

الخير فى الهادى وفى آبائه   وأمهاته الخيار البرره
عصابة من كل شرك وخنا   مصونة محفوظة مطهره
جاء بذا الكتاب والسنة والـ   أخبار والرواية المعتبره
ومن يرى تنقيصهم عقيدة   فهو من القوم اللئام الفجره
الأنبياء عرفت إعظامهم   والأولياء والكرام السفره(١)

وفي الختام أشكر أساتذتي الأفاضل الذين تكرموا بتقديم هذا الكتاب، وأخص بالشكر أستاذنا وشيخنا وأستاذ وشيخ الأجيال لنصف القرن المنصرم في ثلاثين سنة في جامعة دمشق ثم عشرين سنة في جامعة الكويت سيدي الأستاذ الدكتور محمد فوزي فيض الله -حفظه الله في صحة وعافية- (٢) الذي قرأت عليه محتوى الكتاب في صبيحة

(١) انظر كتاب : (مراحل السالكين) ص ٨٠ للسيد محمد مهدي الصيادي الحسيني الرفاعي الثاني الشهير بالرواس رحمه الله .

(٢) من عادتي عرض أفكاري ومؤلفاتي على شيخنا د.فوزي فيتكرم بالتقديم لكتبي كلها، ولم يقدم لي في هذا الكتاب لتقدمه في السن- شفاه الله وحفظه-وتوقفه عن الكتابة، فاكتفيت بالقراءة فقرأت الكتاب ومحتواه عليه، حتى آخذ الإذن منه في الطباعة، فأذن بكل سرور، واستغرب من رأي المعارض، وطلب مني التخصص في الفقه، وملازمة شيخنا الدكتور أحمد الحجي الكردي -حفظه الله- حيث وصفه بقوله: فقيه العصر في الفقه الحنفي، غيور على الدين، ولا يوجد مثله في الفقه الحنفي، حيث رضع الفقه من جده ووالده، واجتهاده منذ طفولته في طلب الفقه الحنفي ووعدته بذلك إن شاء الله تعالى.

يوم الأحد ١٤/ ذي القعدة الحرام/ ١٤٢٥ في بيته بمنطقة الرقعي في الكويت، فَسُرَّ به، وأجازني بطباعته، ودعا لي بالخير والبركة.

وأسأله – سبحانه – أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون سبباً في إدخال الفرحة والسرور على قلب رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، وأن أنال شفاعته يوم الدين، وأن يجعلنا ممن يستمعون ويقرؤون القول فيتبعون أحسنه، وأن يحسن ختامنا عند الممات بلا محنة ولا فتنة مضلة، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولمن أحسن إلينا، ولمن أسأنا إليه، وأن يهدي قلب كل مخالف لما وفقنا الله إلى بيانه وعرضه، وألا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، وأن يعمر قلوبنا بمحبته وبرضاه، وأن يفتح علينا من فيض علمه الذي وسع كل شيء:

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر].

وأن يلهمنا شكر نعمه الظاهرة والباطنة سائلاً المولى – عز وجل:

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران] وصدق من قال:

ولا تكتب بكفك غير شيء   يسرك في القيامة أن تراه

وهذا البحث أحب أن ألقى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عليه

يوم القيامة بما قدمت فيه وبذلت من جهد، وإني وهبت أجر عملي في هذا الكتاب إلى روح والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم راجياً من الله القبول، وحسن الختام واللقاء، وأن يدافع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عني وعن والدي وإن علوا من المسلمين، بأفضل وأحسن من دفاعي عن والديه الشريفين، وأن يدافع عن والدي كل من يتبنى

اعتقاد نجاتهما وينشره بين الناس، وكل من يقرره ويدرسه، ويربي الأجيال عليه، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الزمر].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف:٤٣].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر].

كان آخر مراجعة له فجر الخميس
٢٩/ جمادى الآخرة/ ١٤٢٦ هـ
الذي يوافقه ٤/ ٨/ ٢٠٠٥ م

وكتبه الراجي رحمة وعفو ربه
محمد نور بن عبد الحفيظ سويد
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الباب الأول

فريضة الأدب مع الرسول ﷺ

اعتقادًا أو سلوكًا وألفاظًا

(وهى عمدة البحث العقدى)

الفصل الأول : منزلة ومكانة الرسـول ﷺ فى القرآن الكريم .

الفصل الثانـى : فريضـة الأدب والتـأدب والاحـترام والتـوقير والتعزيز الرسول ﷺ .

تمهيـد

لابد من التعريف أولاً بفريضة الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اعتقاداً وسلوكاً وألفاظاً، وهي عمدة البحث العقدي.

وقد التزمت الأدب في العبارة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وأقدم عذري وأسفي وتوبتي واستغفاري إن ندت مني عبارة أو كلمة أو حرف بخلاف مقام الأدب، ولولا أنني رأيت رجوع المحبين عن قولهم واعتقادهم السابق عندما قرؤوا الكتاب قبل وبعد الطبعة الأولى، وقبل الطبعة الثانية، لما كانت الحاجة ملزمة لي نشر هذا الكتاب، خشية المساس - ولو من بعيد - بإيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من إثارة الموضوع مرة أخرى، ولكن ضرورة اجتثاث فكرة المعارض من جذورها ، وإسكاته عما يتحدث به، ونشره لفكرته منتصراً لها تارة ، وغير موفق لآرائه تارة أخرى ، أدى بي للاستمرار في البحث ونشره، سائلاً المولى - عز وجل - قبول توبتي ، وتوبة ورجوع المعارض عن رأيه في هذه المسألة الحساسة جداً.

فإذا كان الأدب مطلوبًا مع العلماء ، والوالدين والكبار ، والحكام ، فمن باب أولى أن يزاد الأدب بجانب صاحب المقام المحمود ، أستاذ العلماء والكبار والحكام ، وسيد الخلق والرسل والأنبياء ، وحبيب الحق سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وبالأدب **يعرف إيمان المؤمن من نفاق المنافق** ، وهو الميزان الحساس الذي يزن به المؤمن إيمانه بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، كما هو الميزان الذي يزن به من تزيا بزي أهل العلم، أو جلس يدعو بالعمل بالكتاب والسنة بلا أدب مع الله تعالى ؛ أو بلا أدب مع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، والعياذ بالله تعالى، متستراً تحت مقولة : عدم جواز المغالاة في حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم!!! وهذه المقولة من عجائب هذا الزمان!!

إن المغالاة هي إعطاء ما اختص الله – تعالى – به أحدًا من خلقه ، أما إذا وهب الله – تعالى – أمراً أو صفة لأحد من خلقه فلا يجوز أن يقال : هذا مغالاة ؛ لأنه اعتراض على الله – تعالى – الواهب عبده ما شاء أن يهبه.

فتلبيس مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مغالاة هذا لم يقل به أحد من العلماء السابقين، وإنما نسمعه ونقرؤه الآن، في عصر الفتن.

لقد أعطى الله تعالى لسيدنا عيسى صفة الخالقية، فكان يخلق بإذن الله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المائدة] .

وأعطى صفة الخالقية لسيدنا جبريل: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[مريم]، وللملك الذي ينفخ الروح في المولود ، لذلك قال الله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [الصافات] ولم يقل الخالق، وإنما قال: (الخالقين).

لكن الفارق أن الله – تعالى – هو أول الخالقين وأنه يخلق بلا واسطة، بينما غيره يخلق بإذنه تعالى، وأنه مولود وميت.

فهل يقال عن ذلك: إنه غلو في المدح!!!

الباب الأول

فريضة الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

اعتقاداً وسلوكاً وألفاظاً

هذا الباب يجب استصحابه في كل لحظة من قراءة الكتاب، بل في كل لحظة من حياة المسلم ؛ ليتعرف على المقام المحمدي عند الله – تعالى، ومن بداية البحث لا بد من الاستقرار في خلد المسلم أنه:

لا يعرف مقدار مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا الله تعالى.

فمهما كتب عنه الكاتبون، ومهما مدحه الشعراء والباحثون، فهو غيض من فيض، وذرة من أجرام، ونقطة من بحار.. ولا يعدو ذرة من الغلو الذي يزعمه البعض... وهم يقدمون المديح والثناء لمليكهم وأميرهم ورئيسهم وشيوخهم أضعاف ما يقدمونه لرسولهم ألا إن من يفعل ذلك هم المنافقون ولكن لا يشعرون .

والذين يقللون من شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم المنافقون قديماً وحديثاً، فضلاً عن الملحدين.

إن المعركة في القديم والحديث هي الإيمان بالرسول وتعظيمه وتوقيره وطاعته وحبه وتقديمه على النفس والمال والولد .

لقد تولى القرآن الكريم ذكر سيرته العطرة، ومهاجمة كل من تسول له نفسه الانتقاص منه شخصاً ورسالة ونسباً طاهراً مطهراً أصلاً وفروعاً.

اللهم علمنا الأدب مع رسولك حتى نتعلم الأدب معك يا أرحم الراحمين.

وإليك شيئاً من بيان ذلك .

الفصل الأول

منزلة ومكانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الكريم

المبحث الأول

تزكية القرآن للرسول صلى الله عليه وآله وسلم كله

١ – تزكية قلبه وفؤاده صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء].

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود].

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الفرقان]، ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ [النجم].

٢ – تزكية وجهه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٩].

٣ – تزكية عينيه وبصره صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجر: ٨٨، طه: ١٣١]، ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [النجم].

٤ – تزكية صدره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف: ٢].

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحجر].

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ [الشرح].

٥ – تزكية اسم صفته أحمد، واسم علمه محمد ﷺ:

﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ (١) ﴾ [الصف: ٦].

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد: ٢].

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح: ٢٩].

٦ – خطاب الله – سبحانه – له بالرسالة والنبوة وليس باسمه الصريح صلى الله عليه وآله وسلم، بينما خاطب الرسل بأسمائهم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [المائدة: ٤١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفال].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ [الأنفال: ٦٥].

---

(١) (ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ) أى اسم صفته أحمد فى كل شيء، وأما اسم العلم فهو (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك سيدنا عيسى عليه السلام ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٥] فاسم صفته المسيح، فيمسح بيده فيبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بمسحته بإذن الله تعالى، واسم العلم (عيسى). والله أعلم.

٧- تزكية عمره المبارك صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر].

٨- تزكية خلقه كله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم].

٩- تزكية صوته فمنع المسلمين أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢].

١٠- عصمة الله له من الناس أجمعين حتى قيام الساعة:

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة :٦٧].

١١- إعطاء الله – تعالى – له المقام المحمود والوسيلة والشفاعة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥].

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء:٥٧].

١٢- وأعطاه الكوثر:

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ ﴾ [الكوثر].

١٣- وجعل الإيمان به وتعزيزه وتوقيره من توقيره – سبحانه – لأن مكانة الرسول من مكانة مرسله :

﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفتح].

١٤- ورفع ذكره على جميع خلقه في العوالم كلها:

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح].

١٥- وطلب من الرسل والبشرية كلها الإيمان به ﷺ قبل أن يولد:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران].

١٦- وأسرى به ولم يسر بأحد من الرسل غيره، ووصفه بالعبودية له:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء].

﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الجن].

١٧- وعرج به إلى ما فوق السموات والعرش والفرش مما لا يعلمه إلا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم].

١٨- تحريم الله تعاملنا مع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كالتعامل بيننا:

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [النور:٦٣].

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَٰكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ [الحجرات :٢].

١٩- تزكية بلده :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ ﴾ [البلد].

﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ [التين] .

٢٠- تزكية آبائه الساجدين الذين كان نور النبوة ينتقل فيهم من واحد إلى آخر:

﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ ﴾ [الشعراء] .

﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ ﴾ [البلد] .

٢١- جعل زيارته والذهاب إليه – وحتى يوم القيامة- دليل الإيمان، ومن لم يفعل ذلك كان من المنافقين وحُرم شفاعته يوم الدين:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝٦٤ ﴾ [النساء]. فلا بد من المجيء إليه حياً ومنتقلاً.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ ﴾ [المنافقون] . وفعل يستغفر مستمر إلى يوم القيامة.

إن هذا المقام السامي العالي لرسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن عند الله تعالى ، يجعل المسلم والمؤمن يقف بكل أدب واحترام وتوقير مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن ينزهه عن العيوب البشرية، ويعتقد فيه الكمال البشري، والعصمة من الخطأ ، وحتى من خلاف الأولى، ويتهم المسلم نفسه بعدم إدراكه للفهم خير ألف مرة من أن يسيء الأدب فيتهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالخطأ، أو فعل خلاف الأولى، وهو أذكى أذكياء خلق الله تعالى في السابق واللاحق، وهو أعقل وأحكم وأبلغ وأعدل وأتقى من خلق الله تعالى، وعلى المؤمن الواعي أن يتعامل مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدقة فائقة أدق من ميزان الذهب، وليس كما فعل ويفعل المنافقون –في السابق واللاحق- كبلادة الحمار الذي يحمل أسفاراً، وليس كتعامل ذي الخويصرة في قلة الأدب، وليس كتعامل ذي اللحية الكثة وسلالة الضئضئ من المنافقين، وليس كتعامل عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين ورأسه، فالحذر الحذر، فما الفرق بين المؤمن والمنافق إلا الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

والذين يزعمون أن هناك من يغالي في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهمون، فالزاعمون يعظمون قدر شيوخهم وحكامهم أكثر بكثير مما يعظمون قدر رسولهم، والعياذ بالله تعالى.

وقد وضع الإمام البوصيري – رحمه الله – قاعدة في المدح في قصيدته البردة:

دَعْ ما ادَّعتهُ النصارى في نبيهمِ ... واحْكُمْ بما شئتَ مَدْحاً فيه واحْتكِمِ[1]

---

(١)أي: لا تصف الرسول ﷺ بما اختص الله به من مقتضيات الألوهية وهي: **السبق والأولية** (هو الأول والسرمدية (والآخر)، **والذاتية** (صفة القيومية) **والإطلاق** (أي: لا يحده زمان ولا مكان ولا يخضع لأمر؛ لأنه غالب على أمره، أي: طلاقة قدرته وإرادته – سبحانه - لا يحدهما شيء).

ولكن اعرف قدر الرسول من العصمة والمكانة العالية عند الله تعالى، ولا تنزع عنه ما حباه الله من صفات، وأعطاها الله له في حياته؛ لأنها مستمرة له بعد انتقاله للرفيق الأعلى، وحافظ على الأدب معه كأنه أمامك، ورتل دائماً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ ﴾ [الحجرات] فلا تحبط عملك بسوء أدبك .

واحذر استخفاف المنافقين به في السابق واللاحق، ولا تغتر بلحية ذي الخويصرة ولحية الضئضئ الكثتين المنافقتين، فالعلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق هى الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم الأدب، ثم الأدب، ثم الأدب، ....ثم الأدب، ولن تذوق طعم حبه صلى الله عليه وآله وسلم إلا بالأدب.

وكرر قوله – تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ ﴾ [الأنفال] إذ كيف (**يُحْيِيكُمْ**) وهو ميت، فلا بد أن يكون حياً حياة برزخية خاصة.

ودليل حياته -أيضاً: كما شاهد رسولنا الكريم أثناء رحلة الإسراء والمعراج سيدنا موسى عليه السلام في قبره قائماً يصلي، ثم في بيت المقدس صلى بالرسل إماماً، ثم شاهد الرسل في السموات وسلم عليهم، وفي السماء السادسة شاهد سيدنا موسى، والذي كان سبباً في تخفيف الصلاة من خمسين صلاة إلى خمس صلوات، فثبت نفع الميت للحي، كل ذلك بإذن الله -تعالى، فلا تعترض على الحياة البرزخية للرسل، فلن تقدر ذلك قدره إلا بالتسليم الكامل والإيمان والتصديق بقوله – تعالى: ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ** رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾ [الحجرات] .

المبحث الثاني

وهبه الله تعالى من صفاته

أخرج البخاري في صحيحه كتاب الرقاق/ باب التواضع عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ؛ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ؛ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)).

ورسولنا صلى الله عليه وآله وسلم هو سيد الرسل والنبيين والأولياء، وإليك بياناً بما وهب الله – تعالى- من صفاته لرسوله وحبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وآله وسلم:

١ – جعل الله طاعته صلى الله عليه وآله وسلم من طاعته – سبحانه:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء :٨٠] .

٢ – اقتران طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع طاعة الله – سبحانه:

أ- فوردت آيات بصيغة المفرد (من يطع الله ورسوله):

﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٍ ﴾ [النساء :١٣]

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء :٦٩] .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ ﴾ [النور :٥٢] .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب] .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٍ ﴾ [الفتح :١٧] .

ب- ووردت آيات بصيغة الجمع (أطيعوا الله والرسول):

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران :٣٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء :٥٩] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [الأنفال :٢٠] .

﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النور :٥٤] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [محمد :٣٣] .

٣- جعل فضله – سبحانه – مقارناً لفضل الرسول معاً مستمرين للمؤمنين:

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩ ﴾ [التوبة] .

﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [التوبة :٧٤] .

٤ – جعل نطقه وحياً منه سبحانه، فأعطاه صفة الكلام:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [النجم] .

٥ – وأعطاه صفته الكريم:

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ﴾ [التكوير] .

٦ – وأعطاه صفتيه الرأفة والرحمة:

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ [التوبة] وهو – سبحانه - الرؤوف الرحيم.

٧- وأعطاه صفة الرحمة على العالمين:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء] .

٨- وصلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه ولم يفعل ذلك لأحد غيره:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

فلا يجوز للعبد أن يقول: وأصلي وأسلم على رسول الله، فلن يقدر العبد قدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما يقول: اللهم صل على سيدنا محمد، فالله وحده هو الذي يعلم قدر نبيه، فالعبد يلجأ ويطلب من الله تعالى الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

٩- وأعطاه صفة الهداية:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى].

١٠- وأعطاه صفة يده:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠].

١١- وجعل استغفار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كاستغفار الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء].

١٢- وجعل صلاته من صلاته:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [التوبة].

١٣- وجعل رميه من رميه:

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنفال].

المبحث الثالث

جهاد القرآن في الدفاع

عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضد المنافقين

١ - فضح القرآن المنافقين وتعاملهم مع الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾ [النساء].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المنافقون].

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [المنافقون].

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون].

٢ -التحذير من نظرة الكفار والمنافقين إلى بشرية الرسول وتضخيمها، وحجب رؤية نور النبوة والرسالة والوحي وفضل الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد].

فهؤلاء المنافقون لم يعتقدوا بنور النبوة والنظرة النبوية التي أثبتها الله لرسوله: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف : ٢٨] لذلك حرموا منها يوم القيامة، لأنهم كانوا ينظرون إلى بشرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [التغابن].

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [إبراهيم].

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [إبراهيم].

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل].

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف].

﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنبياء].

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ (٢٤) ﴾ [المؤمنون] .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) ﴾ [المؤمنون] .

﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٥٤) ﴾ [الشعراء] .

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (١٨٦) ﴾ [الشعراء] .

﴿ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) ﴾ [يس] .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) ﴾ [فصلت] .

٣- من لم يتأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو من الأعراب المنافقين :

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠) ﴾ [التوبة] .

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) ﴾ [التوبة] .

﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨) ﴾ [التوبة] .

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) ﴾ [التوبة] .

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا (١١) ﴾ [الفتح] .

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) ﴾ [الفتح] .

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) ﴾ [الحجرات] .

الفصل الثاني

فريضة الأدب والتأدب والاحترام والتوقير والتعزيز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

تمهيد:

مما سبق بيانه يدل على أن الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فريضة اعتقادية وسلوكية وقلبية ولسانية لفظية ، أي فريضة على كل الجسد والجسم والنفس والروح ، فمن أساء الأدب معه صلى الله عليه وآله وسلم عامداً فقد كفر أو نافق ، ومن أساء الأدب معه جاهلاً فقد فسق حتى يتوب ، وقد تولى القرآن والسنة أحكام ذلك.

وإن المعارض لبحثنا هذا، لا يجوز له ذكر الأدلة ونقلها إلا بغاية الأدب والحيطة، والحذر الشديد جداً، والشعور بالمسؤولية ؛ لأنه يتعامل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخصياً، والأمر يهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاتياً، وألا يعلن بها في المجالس وألا يسود يديه بالكتابة، وأن يمنع العوام من الخوض فيها مؤيدين لها، وأن يمتنع من التبجح بهذا أمام التلاميذ أو عوام الناس، وذلك حتى لا يقع في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حيث يدري أو لا يدري، فينال العذاب الأليم.

وقد يقول قائل: إنك بذلك كممت الأفواه من القول والإدلاء بالرأي، وألغيت العقل والفكر من البحث؟

والجواب : نعم، لأن المطلوب هو إعمال الفكر والعقل في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ووالديه، بمثل ما فعلت في هذا البحث وفعله الأئمة السيوطي والبرزنجي وغيرهما من المحبين الأفاضل؛ لأنه هو الطريق الصحيح، وإلا فمن يرضى أن

يتهم والديه بمثل ذلك؟ وهو يرى أدلة على نجاتهما، فإذا كان أحدنا لا يرضى لوالديه ذلك، فكيف سيرضى مسلم غيور أن يتهم والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟! إن هذا لشيء عجاب!!

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور] .

وقد فصل موضوع فريضة الأدب وحكم من خالف الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإمام المحدث القاضي عياض اليحصبي المالكي (٤٧٦-٥٤٤هـ) في كتابه النفيس (**الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم**) القسم الرابع (في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه الصلاة والسلام) وحكم ذلك القتل إما حداً أو ردة وذكر الأدلة من القرآن والسنة والإجماع على قتل من فعل ذلك، وأنا ألخصه لك:

١ - فدليل القرآن قوله تعالى:

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة] .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة] .

قال أهل التفسير: كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجرات] .

قال القاضي عياض: ولا يُبطل العمل إلا الكفر، والكافر يقتل).

٢- ودليله من السنة:

أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقتل كعب بن الأشرف، وقوله: ((مَن لكعب الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله)) رواه البخاري(٤٠٣٧) ومسلم(١٨٠١) من حديث جابر بن عبد الله.

وكذلك أمر قتل أبي رافع، قال البراء : وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواه البخاري (٤٠٣٩). وغيرها من الروايات.

٣- ودليله من الإجماع:

قال القاضي عياض - رحمه الله: (اعلم - وفقنا الله وإياك - أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو عابه، أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عَرَّضَ به، أو شبَّهه بشيء على طريق السب والازدراء عليه، أو التصغير لشأنه، أو النقص منه، والعيب له، فهو ساب له؛ والحكم فيه حكم الساب، **يقتل**.

(وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهُجر، ومنكر من القول وزور، أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غَمَصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه.

وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جراً.

(وقال أبو بكر بن المنذر: (أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقتل، وممن قال ذلك: مالك بن أنس، والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه، والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم قالوا: هي ردة [1] .

وقال محمد بن سَحنون المالكي: أجمع العلماء أن شاتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، المنتقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر.

٤- ومن التطبيقات العملية على قتل من انتقص أو آذى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي ذكرها القاضي عياض - رحمه الله:

أ- **فتوى فقهاء الأندلس بقتل الفقيه ابن حاتم لاستخفافه بحق النبي صلى الله عليه** وآله وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم، وختن حيْدرة، وزعمه أن زُهده لم يكن قصداً، ولو قدر على الطيبات أكلها، إلى أشباه ذلك.

ب- **وذكر أنه أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري**، وكان قد استهزأ بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم) انتهى من الشفا بتصرف.

انظر حكم على الفقيه في ذلك العصر بالقتل، ولا يقال عن الفقيه فقيه إلا بعد هضمه للفقه بحيث أصبح سليقة لديه، فكيف بباحثي عصرنا!!!

جـ- وقال السيوطي في رسالته (الدرج المنيفة في الآباء الشريفة):

سئل القاضي أبو بكر بن العربي المالكي عن رجل قال: إن أبا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار، فأجاب: بأنه ملعون لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب] ، قال: لا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه: إنه في النار) [2] .

(١) وذكر القاضي عياض بعد ذلك أن مذهب المالكية أنه يقتل حداً لا ردة والله أعلم.

(٢) انظر رسائل السيوطي فإنه ذكرها في أكثر من موضع.

د- وأخرج أبو نعيم في الحلية أن عمر بن عبد العزيز أتـي بكاتب يخط بين يديه وكان مسلماً وأبوه كافر ، فقال عمر للذي جاء به : لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين!

فقال الكاتب: فقد كان أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر كلمة أسقطتها، فغضب عمر بن عبد العزيز وقال: لا تخط بين يدي بالقلم أبداً.

وأخرج الهروي (ت:٤٨١هـ) في (ذم الكلام) من طريق ابن أبي جميلة قال: قال عمر ابن عبد العزيز لسليمان بن سعد: بلغني أن أباك عاملنا بمكان كذا وكذا وهو كافر، قال: وقد كان أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ذكر ما بعد الكلام أسقطته- فغضب عمر غضباً شديداً وعزله من الدواوين) [١] .

٥- نماذج من أدب العلماء مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

ويتابع السيوطي في تعليم الباحث الأدب وضرورته في البحث، مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول:

(وذكر القاضي تاج الدين السبكي في كتابه (**الترشيح**): قال الشافعي - رحمه الله تعالى- في بعض نصوصه: وقطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يد امرأة لها شرف فكلم فيها، فقال: لو سرقت فلانة لامرأة شريفة- لقطعت يدها.

قال ابن السبكي: فانظر إلى قوله: فلانة - ولم يبح باسم فاطمة رضي الله عنها، تأدباً معها لأن يذكرها في هذا المعرض ، وإن كان أبوها صلى الله عليه وآله وسلم قد ذكرها ؛ لأنه يحسن منه ما لا يحسن من غيره. انتهى كلام السبكي.

(١) قال العلامة البرزنجي في كتابه سداد الدين ص ١١٨ : وإذا كان عمر بن عبد العزيز يتوعد من تكلم بذلك: مرة بقطع اللسان واليد والرجل، وضرب العنق، وبعزله عن الولايات عزل الأبد، فكيف بمن يتصدى لإثباته، ويؤلف فيه الرسائل ويفتخر بذلك ويتبجح؟ لعمري إنها لإحدى الكبر، عصمنا الله والمسلمين من مثل تلك الهفوات والزلات آمين.

وقد جرى على الأدب الإمام أبو داود صاحب السنن فإنه أخرج في سننه حديثاً في آخره يتعلق بعبد المطلب، فلما انتهى إلى ذكره قال: فذكر تشديداً -ولم يصرح بشيء، والحديث متمم في مسند أحمد وسنن النسائي).

ثم تابع الإمام السيوطي - رحمه الله - قوله :

(وهذا وأمثاله إرشاد من هؤلاء الأئمة، وتعليم لنا أن نسكت عن التلفظ بمثل ذلك تأدباً، ولهذا سكتُ في مثل هذا الكتاب وفي سائر المؤلفات التي ألفتها في هذه المسألة عن التصريح بحكاية قول الفرقة الرابعة، واقتصرت على حكاية الفرق الثلاث، والله المستعان) انتهى كلام السيوطي رحمه الله تعالى.

وقال الإمام ابن حجر القسطلاَّني[١] في (المواهب اللدنية):

(والحذر الحذر، من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن العرف جار أنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه، أو وصف به، وذلك الوصف فيه نقصٌ تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **((لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات))** رواه الطبراني في الصغير.

ولا ريب أن أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله -إن لم يتب- عندنا. انتهى.

ثم علق الإمام الحافظ الزرقاني فقال : أي عند الشافعية ، احترازاً ممن يحتم قتله ، ولو تاب كالمالكية ، لأنه حده ، فإن أنكر ما شهد به عليه أو تاب ، غسل وصلي عليه ، ودفن في مقابر المسلمين ، وإلا قتل كفراً ، ودفن في مقابر الكفار ، بلا غسل وصلاة.

٦- إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إيذاء لله تعالى:

وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة قال: جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله! إن الناس يقولون: أنتِ بنت حطب النار،

(١) تلميذ ابن حجر العسقلاني رحمهما الله.

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مغضب فقال: ((ما بال أقوام يـؤذونني في قرابتي، ومن آذاني فقد آذى الله)) [1] . انتهى.

وقد تكررت الحادثة مع العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانظر إلى غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعتذار قوم بأكملهم له، وطلبوا الاستغفار من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة:

أخرج الإمام أحمد في مسنده ، والنسائي - كتاب القَسامة/ باب القود من اللطمة- عن ابن عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً وَقَعَ فِي أَبٍ - وفي رواية أحمد : وقع في أب للعباس- كَانَ لَهُ في الجَاهِلِيَّةِ، فَلطَمَهُ العَبَّاسُ ، فَجَاءَ قَوْمُهُ فَقَالوا : لَيَلطِمَنَّهُ كَمَا لطَمَهُ ، فَلَبِسُوا السِّلاحَ فَبَلَغَ ذَلكَ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، أيُّ أَهْلِ الأَرْضِ تَعْلمُونَ أَكْرَمُ عَلى اللهِ عَزَّ وَجَل؟».

فَقَالوا: أَنْتَ. فَقَال: «إِنَّ العَبَّاسَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لا تَسُبُّوا مَوْتَانَا، فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا». فَجَاءَ القَوْمُ فَقَالوا: يَا رَسُول اللهِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِكَ، اسْتَغْفِرْ لنَا .

هكذا يحرص المؤمنون على عدم غضب رسول الله، حيث جاؤوا يطلبون المغفرة، فكيف سيقابل المعارضون رسول الله بقولهم.

فإذا كان الوقوع في سب أب مات في الجاهلية أغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، بل غضب لابنة أبي لهب الذي نزل في حق أبيها ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد] ، فكيف سيكون غضبه صلى الله عليه وآله وسلم على من يقول عن والديه بغير الإيمان؟!

(١) انظر : شرح المواهب اللدنية ١/ ٣٤٨ .

٧- عدم جواز أن يسخر المسلم من أب من ملة أخرى:

أخرج الترمذي عَن أَنَسٍ قَال: بَلغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ فَدَخَل عَليْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي.

فَقَال: ((مَا يُبْكِيكِ؟)) [1] .

فَقَالتْ: قَالتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ.

فَقَال النَّبِيُّ ﷺ : ((إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَليْكِ)) [2] .

ثُمَّ قَال: « اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ» قَال أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ، ورواه أحمد.

٨- تحذير النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمة لضبط ألسنتها من تكفير الآخرين ، بلا دليل واضح بيِّن مائة بالمائة:

وأخرج البخاري في صحيحه - كتاب الأدب - ومسلم في صحيحه - كتاب

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الحيض ، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت ٣٢٦ برقم [٣٦٧٦]) ، كتاب الوصية باب الوصية بالثلث المجلد (١١:٨٤ برقم [٤١٩١]) ، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام المجلد ١٦ : ٢٢٥ برقم [٦٢٦٤]، باب من فضائل أم أيمن رضي الله عنها المجلد ١٦: ٢٢٨ برقم[٦٢٦٨].

(٢) سنن الترمذي كتاب المناقب باب فضل أزواج النبي ﷺ ٣٨٩٤ ورواه ابن حبان في صحيحه كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ٧٢١١ ،و مسند أحمد ومسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ١١٩٨٤ ومسند أبي يعلى ثابت البناني عن أنس ٣٤٣٧ ، و سنن النسائي الكبرى كتاب عشرة النساء الافتخار ٨٩١٩ ، و مصنف عبد للرزاق باب كتاب العلم باب أزواج النبي ﷺ ٢٠٩٢١.

الإيمان- عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلا حَارَ عَلَيْهِ» (١) ورواه أحمد.

ولهذا قال الإمام السُّهيلي(٢) في كتابه (الروض الأنف) في شرح السيرة النبوية بعد أن أورد حديث: (إن أبي وأباك في النار) قال – رحمه الله:

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (والحاصل أن المقول له إن كان كافراً كفراً شرعياً فقد صدق القائل وذهب بها المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرة ذلك القول وإثمه، كذا اقتصر على هذا التأويل في رجع، وهو من أعدل الأجوبة).

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ٤٢١ وقال الصفدي في (الوافي بالوفيات): عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أَصْبَغ بن الحسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح. الإمام الخيّر أبو القاسم وأبو زيد ويقال : أبو الحسن بن الخطيب أبو عمر بن أبي الحسن الخَثْعَمي والسُّهَيلي الأندلسي المَالقيّ الحافظ صاحب المصنفات.. توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

ناظرَ علي بن الحسين بن الطَّراوَة في كتاب سيبويه، وسمع منه كثيراً من اللغة والآداب. وكُفَّ بصره وهو ابن سبع عشرة سنة. وكان عالماً بالعربية واللغة والقراءات، بارعاً في ذلك، تصدّر للإقراء والتدريس والحديث، وبَعُدَ صيته وجل قدره، جَمَع بين الرواية والدراية. له من المصنفات «الروض الأُنُف» في شرح السيرة وهو كتاب جليل جَوّد فيه ما شاء، ذَكر في آخره أنه استخرجه من نيّف وعشرين ومائة ديوان، وله «التعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام» و «شرح آية الوصية»، ومسألة «رؤية الله تعالى ورؤية النبي ﷺ في المنام»، و «شرح الجُمَل» ولم يتم ومسألة «السر في عَوَر الرجال». واستدعي إلى مراكش وحَظِيَ بها، ووَلِيَ قضاء الجماعة وحَسُنَت سيرته.

وَأَصْله من قرية بوادي سُهَيل من كورة مالقَة، لا يُرَى سهيل من جميع المغرب إلاَّ من جَبَلٍ مطل على هذه القرية..) انتهى .قلت: إن الحافظ ابن حجر ينقل كثيراً عن السهيلي في كتابه(فتح الباري في شرح صحيح البخاري) مما يدل على مكانة الإمام السهيلي، أعني أن قوله له مكانة علمية رفيعة عند العلماء.

وليس لنا أن نقول نحو هذا في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» (١) ، والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأحزاب] انتهى.

٩- التحذير من الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها تجعل صاحبها من المنافقين، ولو كان حافظاً للقرآن مصلياً صائماً مثل ذي الخويصرة والضئضئ:

أ- قلة أدب ذي الخويصرة جعلته من المنافقين:

أخرج البخاري في صحيحه (٢) ومسلم وغيرهما- عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يَقسِمُ قَسْماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله ، اعدل.

وفي رواية فقال : يا محمد ،اعدل فوالله ما عدلت منذ اليوم.

فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: **((ويلك، ومن يَعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل)).**

فقال عمر: يا رسول الله ، ائذن لي فيه فأضرب عنقه.

فقال: « **دعه، فإن له أصحاباً يَحقِرُ أحدُكم صلاته مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقيَهُم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة، ينظر إلى نَصْله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رِصَافِهِ فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضِّيه -وهو قدحه- فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قُذَذِهِ فلا يوجد فيه شيء، قد سبق**

(١) لم أجد هذا اللفظ ، وإنما : «لا تسبوا الأموات، فتؤذوا الأحياء» رواه النسائي وأحمد.

(٢) ج ٤- كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام.

الفَرْثَ والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عَضُديه مثل ثدي المرأة؛ أو مثل البَضْعة تَـدَرْدَرُ، ويَخْرُجُون على حين فُرْقَةٍ من الناس» [1].

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمس، فأُتي به، حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته.

---

(١) قال ابن حجر في شرح الحديث في الفتح ٨/ ٣٢٢:

وقوله هنا : «**دعه فإن له أصحابا**» ليست الفاء للتعليل وإنما هي لتعقيب الأخبار... **وقوله** :« **لا يجاوز**» ويحتمل أنه لكونه لا تفقهه قلوبهم ويحملونه على غير المراد به،ويحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله.

وقوله : «**يمرقون من الدين**» إن كان المراد به الإسلام فهو حجة لمن يكفر الخوارج ، ويحتمل أن يكون المراد بالدين الطاعة فلا يكون فيه حجة وإليه جنح الخطابي.

وقوله: «الرمية» بوزن فعيلة بمعنى مفعولة وهو الصيد المرمي،شبه مروقهم من الدين بالسهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه،ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق من جسد الصيد شيء .

وقوله : «**ينظر في نصله**» أي: حديدة السهم «**ورصافه**» ، بكسر الراء ثم مهملة ثم فاء عصبه الذي يكون فوق مدخل النصل ، «**والرصاف**» جمع واحده رصفة بحركات «**و نضيه**» بفتح النون وحكي ضمها وبكسر المعجمة بعدها تحتانية ثقيلة قد فسره في الحديث بالقدح بكسر القاف وسكون الدال أى: عود السهم قبل أن يراش وينصل ،وقيل : هو ما بين الريش والنصل قاله الخطابي ، قال ابن فارس: سمي بذلك لأنه بري حتى عاد نضوا أي: هزيلاً . وحكى الجوهري عن بعض أهل اللغة أن النضي النصل ، والأول أولى.

«**والقذذ**»، بضم القاف ومعجمتين الأولى مفتوحة جمع قذة وهي ريش السهم ، يقال لكل واحدة: قذة، ويقال: هو أشبه به من القذة بالقذة لأنها تجعل على مثال واحد.

وقوله «**آيتهم**» أي: علامتهم ، وقوله: «**بضعة**» بفتح الموحدة أي: قطعة لحم ، وقوله: «**تدردر**»، بدالين وراءين مهملات، «**والدردرة**» : صوت إذا اندفع سمع له اختلاط.

وقوله : «**على حين فرقة**» أي: زمان فرقة، وهو بضم الفاءأي: افتراق ، وفي رواية الكشميهني على خير بخاء معجمة وراء أي: أفضل،وفرقة بكسر الفاءأي: طائفة وهي رواية الإسماعيلي،ويؤيد الأول حديث مسلم من وجه آخر عن أبي سعيد: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق**» أخرجه هكذا مختصراً من وجهين،وفي هذا وفي قوله ﷺ : «**تقتل عماراً الفئة الباغية**» دلالة واضحة على أن علياً ومن معه كانوا على الحق،وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم ، والله أعلم.

وقوله في آخر الحديث «**فأتي به**» أي: بذي الخويصرة حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته ، يريد ما تقدم من كونه أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة إلخ ، **قال بعض أهل اللغة: النعت يختص بالمعاني كالطول والقصر والعمى والخرس** ، **والصفة بالفعل كالضرب والجروح** . وقال غيره: النعت للشيء الخاص والصفة أعم) . انتهى.

ب- قلة أدب الضئضئ جعلته من المنافقين:

أخرج البخاري في صحيحه [1] ومسلم وغيرهما- عن أبي سعيد ؓ قال: بعث علي ؓ إلى النبي ﷺبذهيبة فقسمها بين الأربعة: الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، فغضبت قريش والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا؟قال: «إنما أتألفهم».

فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية، محلوق، فقال: اتق الله يا محمد!

فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: « **مَنْ يُطعِ الله إذا عصيتُ، أيأمنني الله على أهل الأرض؛ فلا تأمنونني!!**»، فسأله رجل قتله- أحسبه خالد بن الوليد- فمنعه فلما وَلى، قال: «**إن من ضِئضئ هذا أو في عقب هذ، قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة، يَقْتُلون أهل الإسلام، ويَدَعُون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**» .

إن كل من يقلل الأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كث اللحية، يقرأ القرآن ، فهو من مذهب ذي الخويصرة ومن سلالة الضئضئ، فلا تغتر الأمة بأشكالهم.

وإن الميزان الذي يقاس به كل من ظهر بزي أهل العلم أو تصدر مجلساً للتحدث بالعلم، هو النظر إلى أدبهم مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الميزان الفاصل عند اختلال الموازين، وهو الحجة البالغة عند انعدام الحجة والبيان، وعند انعدام رؤية ومعرفة الحق ورجاله.

فمن أدخل في قلبك توقير الرسول صلى الله عليه وسلم وعظمه في نفسك فذلك العالم، **ومن لم يفعل ذلك فاعلم أنه من المنافقين الذين يقللون من شأنه العظيم، ويظهرون أنفسهم وأفكارهم وآراءهم.**

---

(١) كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (٣/١٢١٩).

وهذا كله إنني أدعو المعارض لإعمال فكره وعقله بمثل ما أعملته، ويرى الأدلة من الزاوية التي نراها، ففيه الأجر والثواب، وخاصة في مسألة حساسة اختلف فيها العلماء، فذهبت الكثرة الكثيرة والأجلة الكبيرة إلى نجاتهما، وقلة قليلة جداً بخلاف ذلك، وهو قول شاذ، ولا يتبع الشاذ، وتوقف البعض فيها، فتضخيم القلة القليلة أنهم الكثرة تضليل للرأي العام، وابتعاد عن المنهج السوي، والمحاسبة يوم القيامة عليه عسيرة.

فنصرة والديه صلى الله عليه وآله وسلم وإيجاد أدلة جديدة في كل عصر، يثلج قلب كل محب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل يثلج قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إن شاء الله تعالى.

ألا فلتصحُ العقول والنفوس قبل حصول النقمة الإلهية والغضبة النبوية!!

وهذا أذكر أدلة النجاة ومن قال بها، فإن ذلك يفرح ويدخل السرور على قلب كل محب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى المخالف لهذا الرأي إن كان حبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخالط قلبه، فسيجد السرور والبهجة والفرح، وليس حبه صلى الله عليه وآله وسلم دعوى نظرية أو كلامية؛ لأن المحب الحقيقي لا يرضى أن ينال محبوبه أيّ أذى ،بل يوجد المبررات تلو الأخرى إذا رأى منه أمراً يتردد به البعض، كما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   وعين السخط تبدي لك المساويا

وهذا في حب الشخص العادي، فكيف بمن يدعي حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ كيف سيكون واجب دفاعه عنه؟ وكيف سيثبت حبه لقلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

وهذا لم أذكر أسماء من ذهب إلى غير النجاة وهم قلة، حتى لا أذكرهم بسوء، فلا يجوز ذكر هفوات العلماء[1]، وتتبع آرائهم الشاذة، أو إظهارها وفضحها، فلعلهم رجعوا

---

(١) فمن العلماء من وقع في تناقض عجيب، وذلك باعتقاده بنجاة أهل الفترة ثم تفسيره للحديثين بظاهرهما، إذ كيف ينجو أهل الفترة ولا ينجو الوالدان الشريفان؟! وماذا فعلا حتى يدخلا النار؟! وقد ماتا حديثي السن!!! ولذلك اعتبرت أن مذهب أولئك العلماء في الوالدين هو مذهبهم في أهل الفترة والله أعلم.

عن قولهم، ولعلهم لم يقولوا بخلودهما في النار، ولعلهم.. ولعلهم.. فالتماس العذر لهم واجب شرعي، وأسير على منهج المحبين المتأدبين مع صاحب المقام المحمود حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التعرض لأقوالهم ومناقشتها في أسلوب علمي متعمق دقيق والله ولي التوفيق وهو القادر على ذلك، وهو من وراء القصد.

١٠ - فريضة المودة للقرابة النبوية أصولاً وفروعاً:

١ - الآية الأولى: قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى][1]:

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ﷺ أَنَّ رَسُول الله ﷺقَال فِي خُطْبَته بِغَدِيرِ خُمّ: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَاب الله؛ وَعِتْرَتِي وَإِنَّهُمَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْض)).

وفي (الدر المنثور) ج٢/ ص٢٨٥: وأخرج ابن سعد وأحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، أمرين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض،وعترتي **أهل بيتي** وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض).

وروى الحَافِظ أَبُو يَعْلى –وأسنده- عَنْ حَنَش قَال: سَمِعْت أَبَا ذَرّ ﷺ وَهُوَ آخِذ بِحَلقَةِ البَاب يَقُول: يَا أَيُّهَا النَّاس، مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَأَنَا أَبُو ذَرّ سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: ((**إِنَّمَا مَثَل أَهْل بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَل سَفِينَة نُوح عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام مَنْ دَخَلهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلفَ عَنْهَا هَلكَ**)).

ملاحظة في الفرق بين أهل البيت وآل البيت والعترة والذرية، وعترتي أهل بيتي:

أهل البيت: في مختار الصحاح: (الأَهْل: أهل الرجل وأهل الدار) اهـ.أي: يدخل فيه الوالدان والزوجات والذرية، وحديث الكساء أدخل الصهر سيدنا عليًا رضي الله عنهم؛ لأن الصهر في اللغة والعرف لا يدخل من ضمن أهل البيت؛ لأنه بالطلاق يصبح أجنبياً، فحديث الكساء أدخل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سيدنا علياً ﷺ خاصة له، لمكانته منه، وليس لإخراج الزوجات كما فهمته الشيعة، وإنما لإضافة الصهر والله أعلم.

وفي (الدر المنثور) ج٧/ ص٤٨٤: وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجه عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة**)).

وآل البيت: في مختار الصحاح: (وآل الرجل أهله وعياله، و آلهُ أيضاً: أتباعه، و الآل: الشخص) فآل البيت: هم الأهل والذرية، ومن آل إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقرابة نسبية (من حرمت عليهم الصدقة وهم أولاد عبد المطلب) أو **قرابة شرفية**: وهم سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي الذين ورد فيهم الحديث النبوي (آل البيت)، وقرابة إيمانية لحديث: (آل محمد كل مؤمن تقي).
=

وقد لخص الأقوال في تفسير الآية ابن الجوزي في تفسيره (زاد المسير) ج٧/ ص٢٨٤ فقال – رحمه الله: (وفي المراد بالقربى خمسة أقوال:

= والذرية: وهم أولاد سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنهم، وإلى يوم القيامة.

والعترة: في لسان العرب ٤/ ٥٣٨: **وعِتْرَةُ الرجل: أَقْرِباؤه من ولدٍ وغيرِه.**

وفي (الدر المنثور) ج٧/ ص٤٨٤: وأخرج أبو داود وابن ماجه والطبراني والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((المهدي من عترتي من ولد فاطمة)). **فالعترة: هم أصلح من صلح من الذرية.**

ثم خصص الحديث النبوي ((عترتي أهل بيتي)) أي: من العترة المباركة الصالحة الذين يصلون إلى درجة الأهلية في قيادة الأمة فيسمى ((عترتي أهل بيتي)) **نحو الأولياء من أهل البيت من الأقطاب والأبدال والأوتاد والرفقاء والنجباء والوزراء والعلماء العاملين، والصالحين منهم، وخاتمهم سيدنا المهدي، فهؤلاء هم سفينة النجاة،** والله أعلم.

وقد فسر أهل السنة قيادة العترة **بالقيادة الدينية** فأفلحوا وأصبح أهل البيت سفينة النجاة لهم فعلاً وواقعاً، وفسر الشيعة قيادة العترة **بالقيادة السياسية** فأراقوا دماء أهل البيت ودماء المسلمين عبر التاريخ، ولم يحافظوا عليهم، ولم يحققوا معنى سفينة النجاة، بل أصبحوا سفينة الهلاك، بحيث من والى الحركات السياسية من أهل البيت أصبح ملاحقاً ومطارداً، ويحكم عليه بالإعدام، على مدار التاريخ، فتفسير أهل السنة بالقيادة الدينية لسفينة النجاة أولى والله أعلم.

وفي فيض القدير للمناوي ج٤/ ص١١٠: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري عندما ولي الخلافة: أشر علي بقوم أستعين بهم على أمر الله؟ فكتب إليه: (أما أهل الدين فليس يريدونك، ولكن عليك **بالأشراف** فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة).

ملاحظة: في نظم المتناثر ج١/ ص٢٢٠ لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: شرف حجازي نشر دار الكتب السلفية بمصر ما نصه: (وفي فتاوى الحافظ ابن حجر: (**الأبدال** وردت في عدة أخبار منها ما يصح، ومنها ما لا يصح، **وأما القطب** فورد في بعض الآثار، وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت.انتهى).

وفي كتاب (الآحاد والمثاني) لأحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني (٢٠٦-٢٨٧هـ) ج١/ ص١٩٠ طبع دار الراية في الرياض تحقيق: د. باسم الجوابرة ما نصه٢٤٥:

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا الفضل بن دكين ثنا فطر عن كثير بياع النواء قال: سمعت عبد الله ابن مليل يقول: سمعت علياً ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: ((**إنه لم يكن نبي إلا أعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء، وإني أعطيت أربعة عشر: حمزة وأبو بكر وعمر وعلي وجعفر والحسن والحسين وعبد الله بن مسعود وأبو ذر وعمار بن ياسر والمقداد وسلمان**)) رضي الله عنهم.

ولا مشاحة في الاصطلاح في الباقي.

أحدها: إن معنى الكلام إلا أن تودوني لقرابتي منكم قاله: ابن عباس وعكرمة ومجاهد في الأكثرين قال ابن عباس: ولم يكن بطن من بطون قريش إلا ولرسول الله ﷺ فيهم قرابة.

والثاني: إلا أن تودوا قرابتي، قاله: علي بن الحسين وسعيد بن جبير والسدي ثم في المراد بقرابته قولان:

أحدهما: علي وفاطمة وولدها وقد رووه مرفوعا إلى رسول الله ﷺ.

والثاني: إنهم الذين تحرم عليهم الصدقة ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

والثالث: إن المعنى إلا أن تودوا إلى الله تعالى فيما يقربكم إليه من العمل الصالح قاله الحسن وقتادة.

والرابع: إلا أن تودوني كما تودون قرابتكم قاله ابن زيد.

والخامس: إلا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم حكاه الماوردي والأول أصح) انتهى كلام ابن الجوزي.

فعلى القول الأول (وهو الأصح) والقول الثاني يدخل والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنهما من القرابة التي وجب التودد لهما.

وفي تفسير القرطبي ج١٦/ ص٢٢ عن النبي ﷺ: «**حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي**»[1]، **ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من**

---

(١) هذا الحديث مجموع من حديثين الجزء الأول رواه الثعلبي: قال الإمام جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ) في كتابه الشهير (تخريج الأحاديث والآثار) ج٣/ ص٢٣٦: قلت: رواه الثعلبي أنا يعقوب بن السري ثنا محمد بن عبد الله الحفيد ثنا عبد الله بن أحمد بن عامر أنا أبي ثنا علي بن موسى الرضا ثني أبي موسى بن جعفر أنا أبي جعفر بن محمد أنا أبي محمد بن علي ثني أبي علي بن الحسين ثني أبي الحسين بن علي ثني أبي علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حرمت الجنة..**» إلى آخره.

ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة»[1].

وفي تفسير (روح المعاني) للعلامة الألوسي ج٢٥/ ص٣١ .

(والمراد بقرابته عليه الصلاة والسلام في هذا القول: قيل : ولد عبد المطلب ، وقيل : علي وفاطمة وولدها رضي الله تعالى عنهم).

فعلى القول الأول (قيل : ولد عبد المطلب) يدخل والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب] .

روى مسلم في صحيحه عَنْ زَيْد بْن أَرْقَم ؓ قال: «**أَهْل بَيْته أَصْله وَعَصَبَته الَّذِينَ حُرِمُوا الصَّدَقَة بَعْده**».

فهذا تفسير الصحابي أن أهل البيت يدخل فيه أصل الإنسان أي: يدخل فيه والداه وإن علوا، وعليه تكون الآية تشمل والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إذهاب الله

(١) وهذا الجزء رواه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠ هـ) في المعجم الأوسط ج٢/ ص١٢٠ رقم ١٤٤٦ فقال: حدثنا أحمد قال : حدثنا محمد بن المؤمل بن الصباح قال : حدثنا يونس بن نافع بن عبد الله بن أشرس المدني قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن أبان ابن عثمان قال: سمعت عثمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها في الدنيا فعلي مكافأته غداً إذا لقيني**» لا يروى هذا الحديث عن عثمان إلا بهذا الإسناد تفرد به يونس بن نافع.

قلت – محمد نور عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه: اللهم إني بذلت جهدي في الدفاع عن والدي نبيك صلى الله عليه وآله وسلم، وجده عبد المطلب، فادخره لي غداً عند لقائك ولقاء نبيك صلى الله عليه وآله وسلم، وأرجو المكافأة، والمكافأة لكل من يتبنى النجاة للوالدين الشريفين، وينشرها ويسعى ويربي الأجيال عليها.

الرجس عنهما، وتطهير الله تعالى لهما، وفي هذا الكفاية لمن أراد الهداية، أو وفقه الله تعالى لها.

فالآيتان تثبتان للعاقل البصير فريضة الإحسان والتودد للوالدين الشريفين ﴿ إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [الشورى :٢٣] ، وأنهما من المطهرين من الرجس (وهو الشرك)، فهل من متدبر؟! والله أعلم.

وقد يقول قائل : أنا أتبع السنة ، وأقول بما قال رسول الله ﷺ ، فلماذا تمنع من اتباع السنة؟

والجواب : إن اتباع السنة يكون باتباع الدليل الشرعي وهو ما ترجح من حكم ينتج من مجموع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وليس باتباع ظاهر حديث واحد محتمل وترك الباقي، وباتباع ظاهر رواية محتملة وترك باقي الروايات والآيات القرآنية عندئذ يتبع الهوى ولا يتبع الدليل الشرعي.

وإن المسلم الكيس الفطن يتأدب مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويتبع آراء القرون الخيرية من سلف هذه الأمة، ولا يوجد في القرون الخيرية من قال بمثل رأي المعارض، بل نجد العكس، وإنما بدأ البعض يتكلم بها بعد

القرون الخيرية، فالعاقل البصير يتبع القرون الخيرية.

وإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتكلم بلغة عربية سليمة، ونحن لسنا بصيرين بلغة العرب، التي من ضمنها المجاز، لذا وجب علينا أن نتعلم ما هو المجاز في اللغة والشريعة، إذ بالمجاز يظهر جمال وأسرار القرآن والحديث النبوي الشريف، وإعجازهما، وهو ما سيأتي فيها بعد.

الباب الثانى

حكم أهل الفترة وفيمن لم تبلغه الدعوة والرسالة

الباب الثاني

حكم أهل الفترة وفيمن لم تبلغه الدعوة والرسالة

(إما النجاة مطلقاً- أو الامتحان يوم القيامة- أو التوقف)

ونجاة الوالدين الشريفين في الأحكام والأقوال كلها

أولاً : من هم أهل الفترة:

أهل الفترة هم الذين عاشوا قبل البعثة المحمدية من عرب الجاهلية ولم يأتهم رسول:

إن الفترة بين بعثة سيدنا عيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مقدرة بحوالي ستمائة سنة كما قاله سيدنا سلمان الفارسي ﷺ في صحيح البخاري:

أخرج البخاري عَنْ سَلْمَانَ قَالَ: فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ صَلى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ.

وقال الله تعالى محتجاً على أهل الكتاب :﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١٩) ﴾ [المائدة] .

فإذا كان إرسال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجة على أهل الكتاب لئلا يقولوا ما جاءنا من نذير، بعد فترة من إرسال الرسولين الكريمين: سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام، فمن باب أولى عرب أهل الفترة - الذين لم يأتهم رسول بعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام- أن يكونوا بحاجة إلى رسول يقيم حجة الله عليهم، وأنهم غير مؤاخذين عند تباعد فترة الرسل، وانتشار عبادة الأصنام، واحتياجهم للرسول ليبين لهم شرع الله تعالى .

ثانياً : إثبات القرآن أن العرب لم يأتهم نذير من قبل، والحساب يوم القيامة ودخول النار إنما هو على تكذيب النذير، وذلك للآيات التالية:

١- قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [القصص] .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: ولكنّ أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين لتنذر قوما لم يأتهم من قبلك نذير، وهم العرب الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ ، بعثه الله إليهم رحمة لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام، وإشراكهم به الأوثان والأنداد. .) انتهى.

٢- وقال الله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة] .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: (**يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك.**

وعن قتادة -وأسنده- قال: كانوا أمة أمية، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ) انتهى.

٣- وقال الله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يس] .

قال القرطبي في تفسيره:

(**والمعنى** : لتنذر قوماً ما أتى آباءهم قبلك نذير.

وقيل (أي: ما): هي بمعنى الذي فالمعنى: لتنذرهم مثل ما أنذر آباؤهم؛ قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة أيضاً.

وقيل : إن (ما) والفعل مصدر؛ أي: لتنذر قوماً إنذار آبائهم.

ثم يجوز أن تكون العرب قد بلغتهم بالتواتر أخبار الأنبياء؛ فالمعنى لم ينذروا برسول من أنفسهم.

ويجوز أن يكون بلغهم الخبر، ولكن غفلوا وأعرضوا ونسوا.

ويجوز أن يكون هذا خطاباً لقوم لم يبلغهم خبر نبي.

وقد قال الله :﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سبأ] .

وقال : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة] . أي: لم يأتهم نبي) انتهى .

٤- وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سبأ] .

قال ابن كثير في تفسيره : (أي: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبياً قبل محمد ﷺ ، وقد كانوا يودون ذلك ويقولون : (لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا) فلما منَّ الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه) انتهى .

ولكن قد يعترض المعترض بالآية التالية :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [فاطر] .

فالجواب: قال القرطبي في تفسيره: (أي: سلف فيها نبي، قال ابن جريج: إلا العرب) انتهى.

وإذا شمل العرب بأنهم قد خلا فيهم النذير، فرسولهم ونذيرهم كان سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام، وقد مضى عهد بعيد عليهما.

وهكذا ثبت بأن العرب ما جاءهم نذير منذ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وأنهم أصبحوا بحاجة إلى نذير ينذرهم كما نصت الآيات التالية:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾ [الأعراف] .

﴿إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف] .

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود] .

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود] .

﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ [الحجر] .

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَاْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الحج] .

﴿إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ [الشعراء] .

﴿وَإِنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [العنكبوت] .

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ] .

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر] .

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾ [ص] .

﴿وَمَآ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأحقاق] .

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات] .

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الملك] .

وقد أوردت الآيات السابقة بكثرتها؛ ليستقر أهمية ورود النذير، وأنه حجة الله على خلقه، وأن من كذب الرسول فهو الكافر.

والحساب يوم القيامة يكون بتصديق النذير بما جاء أو تكذيبه كما قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ

أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر] .

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾ [الملك] .

وقد يسأل أحدهم: فما جوابك فيمن عينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالاسم أنهم من أهل النار؟

والجواب : عند الإمام شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي الشافعي في كتابه المنح المكية في شرح الهمزية للبوصيري ١/ ١٥١ حيث قال :

(وأما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من أهل الفترة فلا يردون نقضاً على ما عليه الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، والشافعية من الفقهاء، أن أهل الفترة لا يعذبون، وسبب ذلك أننا عهدنا في الغلام الذي قتله الخضر، أنه حكم بكفره مع صباه لأمر يعلمه الله وحده، فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وإن لم تبلغهم الدعوة، لأمر يعلمه الله ورسوله ، فلا يرد هؤلاء نقضاً على ما استفيد من الآية ، ومشى عليه أولئك الأئمة أن أهل الفترة لا يعذبون، وهذا الذي ذكرته في الجواب أولى من الجواب بأن أحاديثهم أخبار آحاد، فلا يعارض القطع بأن أهل الفترة لا يعذبون أو بأن التعذيب المذكور في الأحاديث مقصور على من بدل أو غير من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الأوثان، وتغيير الشرائع، وكأن قائل هذا ممن يرى وجوب الإيمان بالعقل، والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أنه لا يجب توحيد ولا غيره إلا بعد إرسال الرسول ﷺ ، وأن إسماعيل انتهت رسالته بموته فلا فرق بين من غير وبدل وغيره، ما عدا من صح تعذيبه فيقصر ذلك عليه لأنه لا قياس في ذلك.) انتهى.

وبهذا يكون استنباط هؤلاء القلة القلية -تكفير أهل الفترة- استنباطاً غير صحيح لما ذكرنا من الأدلة ؛ لأن التكفير هو للنذير، ولم يدرك والدا النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- النذير والله أعلم، وهو الهادي والموفق للصواب.

ثالثاً : حكم أهل الفترة وفيمن لم تبلغه الدعوة أو رسول:

انقسم أهل السنة والجماعة في حكم أهل الفترة إلى ثلاثة آراء:

نجاتهم مطلقاً وهو قول الجمهور، وذهب بعضهم إلى امتحانهم يوم القيامة، ومال عدد قليل إلى التوقف في الحكم عليهم.

١- قول الجمهور في نجاة أهل الفترة مطلقاً:

قال الحافظ الإمام السيوطي (ت:٩١١ هـ) في رسالته (الدُّرَج المنيفة في الآباء الشريفة) :

(حكم من لم تبلغه الدعوة باتفاق الأئمة الشافعية من الفقهاء، والأئمة الأشاعرة من أهل الكلام وأصول الفقه أنه يموت ناجياً ويدخل الجنة ، نص عليه الشافعي - رحمه الله - وتبعه سائر الأصحاب ، واستدلوا على ذلك بثمان آيات أشهرها قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] [1] انتهى.

وقال ابن كثير في تفسيره للآية السابقة :

(إخبار عن عدله - تعالى ، وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه كقوله - تعالى :

(١) انظر : سَداد الدِّين وسِداد الدَّين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين، تأليف: السيد محمد البرزنجي ت ١١٠٣هـ تحقيق : السيد عباس الحسيني ، وحسين شكري ، نشر دار المدينة المنورة ، ص ٢٢٢.

﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ﴾ [الملك] . وكذا قوله : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزمر] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر] .

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحداً النار إلا بعد إرسال الرسول إليه) انتهى النقل عن ابن كثير رحمه الله تعالى.

- فإذا علمنا أن كل المالكية هم أشاعرة، فيدخلون مع هؤلاء الجماهير.

وأدل الأدلة التي ذكروها في نجاتهم من الآيات القرآنية الصريحة بأن عذاب الله تعالى يكون بسبب تكذيب رسله المرسلين إلى أقوامهم، وذلك للآيات التالية:

﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] . وقد أخذ بهذه الآية كل الأشاعرة وأهل السنة وإليها ذهب الشيخان ابن تيمية وابن القيم :

ففي مجموعة الفتاوى ٢٠/ ٣٢ قال ابن تيمية رحمه الله: (وإن كان الله لا يعاقب صاحبه إلا بعد بلوغ الرسالة كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

ثم قال: فالعقاب عليها -أي: المعصية- مشروط بتبليغ الرسول) انتهى.

وفي ٢٢/ ١٠٢ من مجموعة الفتاوى قال ابن تيمية بعد أن استشهد بالآية: (فمن لم يبلغه أمر الرسول في شيء معين لم يثبت حكم وجوبه عليه) انتهى.

وكذلك قال ابن القيم في (إعلام الموقعين) ٤/ ٢٦٩: (فإن الله تعالى لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه) انتهى.

بالإضافة إلى الآية الأولى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ بالآيات التالية:

الآية الثانية: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ [النساء].

قال ابن كثير في التفسير: (.. قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه، مما يكرهه ويأباه، لئلا يبقى لمعتذر عذر كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۝١٣٤﴾ [طه].

وكذا قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [القصص].

وقد ثبت في الصحيحين (١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين».**

---

(١) هذا لفظ مسلم، وأما البخاري والترمذي وأحمد فلم يذكروا الجملة الأخيرة: «ولا أحد أحب إليه...».

وفي لفظ آخر: «من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه» انتهى.

وبهذا ثبت بالكتاب والسنة أن الله تعالى يحب أن يعذر عباده بإبلاغهم عن طريق الرسول المبعوث إلى الناس، بل إن الله تعالى يمهل للظالم المبلغ حتى إذا أخذه لم يفلته، وما ذاك إلا تأكيد رحمته سبحانه بإعذاره لهم.

وقال القرطبي في التفسير: (فيقولوا ما أرسلت إلينا رسولاً وما أنزلت علينا كتاباً)؛ وفي التنزيل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ۝١٥﴾ [الإسراء].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۝١٣٤﴾ [طه]. وفي هذا كله دليل واضح أنه لا يجب شيء من ناحية العقل.

وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان الأنبياء ألفي ألف ومائتي ألف.

وقال مقاتل: كان الأنبياء ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً.

وروى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بعثت على أثر ثمانية آلاف من الأنبياء منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل» ذكره أبو الليث السمرقندي في التفسير له؛ ثم أسند عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث الأعور عن أبي ذر الغفاري قال: قلت: يا رسول الله كم كانت الأنبياء وكم كان المرسلون؟ قال: «كانت الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر».

قلت - أي: القرطبي -: هذا أصح ما روي في ذلك؛ أخرجه الآجري وأبو حاتم البستي في المسند الصحيح له) انتهى.

الآية الثالثة: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۝١٣٤﴾ [طه].

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره: ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم ، **ومن قبل أن نبعث داعياً يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم** فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله ، لقالوا يوم القيامة، إذا وردوا علينا، فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى طاعتك.

(فنتبع آياتك) يقول: فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذل بتعذيبك إيانا ونخزى به، كما حدثني الفضل بن إسحاق، قال: ثنا أبو قتيبة مسلم ابن قتيبة، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله: لم تجعل لي عقلاً أنتفع به؟

ويقول الهالك في الفترة : لم يأتني رسول ولا نبي ، ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك لك . وقرأ : ﴿ لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً ﴾ .

ويقول الصبي الصغير : كنت صغيراً لا أعقل.

قال : فترفع لهم نار ويقال لهم: أوردوها.

قال: فيردها من كان في علم الله أنه سعيد، ويتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي، فيقول : إياي عصيتم، فكيف برسلي لو أتتكم؟. انتهى.

الآية الرابعة : ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[القصص] .

قال ابن جرير الطبري في تفسيره : (يقول تعالى ذكره : ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد إليهم ، لو حل بهم بأسنا ، أو أتاهم عذابنا من قبل أن نرسلك إليهم على كفرهم بربهم ، واكتسابهم الآثام ، واجتراحهم المعاصي :

(ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً من قبل أن يحل بنا سخطك ، وينزل بنا عذابك فنتبع أدلتك، وآي كتابك الذي تنزله على رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك ، المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا ، لعاجلناهم العقوبة على شركهم من قبل ما أرسلناك إليهم، ولكنا بعثناك إليهم نذير بأسنا على كفرهم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. .) انتهى .

الآية الخامسة : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[غافر] .

الآية السادسة : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [الملك] .

قال ابن كثير في تفسير الآية: (يذكر تعالى عدله في خلقه وأنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] .

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الزمر] ، وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة.) انتهى.

وغيرها من الآيات الصريحة الواضحة البينة في إقامة الحجة على الكافرين بتكذيبهم رسل الله، وقد أجاب هؤلاء العلماء عن الآيات الدالة على دخول النار بسبب الكفر، إنما هو الكفر بعد إرسال الرسل وليس قبل الإرسال.

٢- وذهب الفريق الثاني من العلماء إلى وقوع الامتحان يوم القيامة لمن لم تبلغه الدعوة :

- ومذهب الإمام أحمد وتبعه ابن تيمية -رحمهما الله تعالى- بامتحان أطفال المشركين يوم القيامة، لأنهم لم يبلغوا سن التكليف، فمن باب أولى امتحان من لم تبلغه الدعوة بنفس الدليل الذي احتج به الإمامان أحمد وابن تيمية رحمهما الله تعالى.

لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القلم] ولورود الأحاديث الصحيحة في ذلك - والتي سيأتي ذكرها- وذهب إلى هذا كل من البيهقي في كتابه (الاعتقاد) ونقله عن أبي الحسن الأشعري وابن كثير في تفسيره لآية : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] وكذلك الشنقيطي في أضواء البيان وابن حجر، ومنعه ابن القيم وابن عبد البر، محتجين بأن الآخرة هي دار جزاء وليست دار تكليف، وأجاب المجيزون بأن الآخرة دار جزاء بعد دخول الجنة أو النار، وأما قبلها فيمكن أن يحصل الامتحان.

أورد ابن تيمية - رحمه الله - في درء تعارض العقل مع النقل ٨/ ٣٩٥ موضوع أهل الفترة وأطفال المشركين فقال :

(وأبو هريرة نفسه الذي روى هذا الحديث عن النبي ﷺ [1] قد ثبت عنه ما رواه غير واحد منهم عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره وغيره من حديث عبد الرَّزاق أنبأ معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال:

« **إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ثم أرسل إليهم رسولاً أن ادخلوا النار** » فيقولون : كيف ولم يأتنا رسل .

(١) حديث لما سئل الرسول ﷺ عن أطفال المشركين؟ قال: « **الله أعلم بما كانوا فاعلين** » .

قال: « **وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً ثم يرسل إليهم رسولاً فيطيعه من كان يريد أن يطيعه** » . ثم قال أبو هريرة ﷺ [1] : اقرؤوا إن شئتم : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] .

وروى هذا الأثر عن أبي هريرة أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره من رواية محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر ومن رواية القاسم عن الحسين عن أبي سفيان عن معمر وقال فيه : والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا ، ثم قال ابن تيمية :

(فبيَّن أبو هريرة أن الله لا يعذب أحداً حتى يبعث إليه رسولاً، وأنه في الآخرة يمتحن من لم تبلغه الرسالة في الدنيا) .

وقد روى هذا الحديث الإمام أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ وعن الأسود ابن سريع أيضاً.

قال أحمد في المسند: حدثنا علي بن عبد الله ثنا معاذ بن هشام ثنا أبي عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود بن سريع أن نبي الله ﷺ قال : « أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة .

فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً؟

وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر؟

وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ؟

وأما الذي مات في الفترة فيقول : رب ما أتاني لك رسول » .

(١) انظر لاحتجاج الصحابي أبي هريرة ﷺ بمعنى الآية.

فيأخذ مواثيقهم ليُطيعُنّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار قال: فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً).

وبالإسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة بمثل هذا الحديث غير أنه قال في آخره : فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها.

وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة إلى النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين بأنه في الآخرة يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة في الدنيا وهذا تفسير قوله: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»** .

ثم قال ابن تيمية رحمه الله : وهذا هو الذي ذكره الأشعري في المقالات عن أهل السنة والحديث وذكر أنه يذهب إليه، وهذا التفصيل يذهب الخصومات التي كره الخوض فيه لأجلها من كرهه، فإن من قطع لهم بالنار كلهم جاءت نصوص تدفع قوله، ومن قطع لهم بالجنة كلهم جاءت نصوص تدفع قوله.

ثم إذا قيل : هم مع آبائهم لزم تعذيب من لم يذنب، وانفتح باب الخوض في الأمر والنهي والوعد والوعيد والقدر والشرع والمحبة والحكمة والرحمة فلهذا كان أحمد يقول: هو أصل كل خصومة.) انتهى قول الإمام ابن تيمية رحمه الله.

وإلى هذا مال ابن القيم في إعلام الموقعين ٤/ ٢٧٢.

وقال النووي في (شرح صحيح مسلم) في مسألة أطفال المشركين: (المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون أنهم في الجنة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ الآية، وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى) انتهى كلام النووي رحمه الله.

وبهذا القول: **(وإذا كان لا يعذب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى)** يتعارض مع ما فهمه البعض من ظاهر قول النووي في شرحه لصحيح مسلم[1] **«إن أبي وأباك في النار»** حيث قال: **«وفيه أن من مات كافراً في النار ولا تنفعه قرابة الأقربين»**، فتمسك بعضهم بهذه العبارة، مع أن تفسيرها فيمن تبلغه الدعوة، أو حملها على أب السائل.

ومع ذلك فلم يذكر النووي لفظ والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشيء، وإنما وضع قاعدة عامة صحيحة، أما مذهبه فالذي قاله في أطفال المشركين والبالغ الذي لم تبلغه الدعوة الآنف الذكر ولذلك قال: والصحيح المختار[2].

وقال السيوطي موضحاً فهم عبارة النووي رحمها الله: (الذي عندي أنه لا ينبغي أن يفهم من قول النووي أنه أراد بذلك الحكم على أبي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل ينبغي أن يفهم أنه أراد الحكم على أبي السائل، وكلامه ساكت عن الحكم على الأب الشريف).

وقال ابن كثير في تفسيره للآية :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] وبعد أن ذكر الأحاديث السابقة قال رحمه الله:

- **فمن العلماء من ذهب إلى الوقوف فيهم لهذا الحديث.**

- **ومنهم من جزم لهم بالجنة** لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري أنه عليه السلام، قال في جملة ذلك المقام؛ حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة، وحوله ولدان، فقال له

(١) والإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم لا يحرر المسألة في كثير من الأحيان، وإنما يذكر ما يستنبط من الحديث فقط، وقد يكون الحديث أحياناً منسوخاً أو مرجوحاً، أي: إنه لا يجوز أخذ حكم منه لأنه لا يذكر الأحكام وإنما ما يستنبط منه، وما يفعل ابن حجر في فتح الباري في شرح صحيح البخاري يختلف عنه.

(٢) وانظر مناقشة الأُبي لشرح صحيح مسلم فإنه ناقش النووي بأكثر مما ذكرت. وانظر إلى تعقب ابن حجر الهيتمي الشافعي الإمام النووي الشافعي في كتابه المنح المكية في شرح همزية البوصيري ١/ ١٥١ كما ذكرناه في الباب الثاني عن أهل الفترة.

جبريل: هذا إبراهيم عليه السلام وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين، قالوا: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: «**نعم وأولاد المشركين**»، ومنهم من جزم لهم بالنار؛ لقوله ﷺ: «**هم مع آبائهم**».

- **ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات** فمن أطاع دخل الجنة، وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة، ومن عصى دخل النار، وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة.

وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب (الاعتقاد) وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد.

ويتابع ابن كثير قوله: وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمري بعد ما تقدم من أحاديث الامتحان فقال:

(وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكلف نفساً إلا وسعها).

(**والجواب عما قال** - والكلام لابن كثير: إن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء، ومنها ما هو حسن، ومنها ما هو ضعيف، يقوى بالصحيح والحسن، **وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها.**

وأما قوله: إن الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال وقد قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القلم].

وقد ثبت في الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة، وأن المنافق لا يستطيع ذلك، ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقاً واحداً كلما أراد السجود خر لقفاه.

وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار خروجاً منها أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه ألا يسأل غير ما هو فيه ويتكرر ذلك مراراً، ويقول الله - تعالى: «**يا ابن آدم ما أغدرك**» ثم يأذن له في دخول الجنة.

وأما قوله: فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم؟

فليس هذا بمانع من صحة الحديث، فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط، وهو جسر على جهنم أحد من السيف، وأدق من الشعرة، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم: كالبرق؛ وكالريح؛ وكأجاويد الخيل؛ والركاب؛ ومنهم الساعي؛ ومنهم الماشي؛ ومنهم من يحبو حبواً؛ ومنهم المكدوش على وجهه في النار، وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا، بل هذا أطم وأعظم. وأيضاً فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى أنه نار، فإنه يكون عليه برداً وسلاماً، فهذا نظير ذاك.

وأيضاً فإن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضاً حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين ألفاً، يقتل الرجل أباه وأخاه وهم في عماية غمامة أرسلها الله عليهم، وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل، وهذا أيضاً شاق على النفوس جداً، لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله أعلم) انتهى كلام ابن كثير.

وقال الحافظ ابن حجر في بعض كتبه [1]: (**والظن بآله صلى الله عليه وآله وسلم - يعني الذين ماتوا قبل البعثة كما قال القسطلاني وهو تلميذه- أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له صلى الله عليه وآله وسلم لتقر عينه** [2]).

---

(١) انظر شرح المواهب اللدنية للزرقاني ١/٣٥١، ط١ دار الكتب العلمية بيروت، وانظر: الإصابة عن أبي طالب.

(٢) هكذا الأدب مع رسول الله ﷺ.

ثم عقب الحافظ الزرقاني عليه بقوله: (وكفى بظن هذا الحافظ حجة إذ لا يقوله إلا عن أدلة كالنهار[1]).

ومما يؤكد قول ابن حجر أحاديث الشفاعة العامة الثابتة في الكتاب والسنة، والتي ستأتي في الباب الخامس.

فعلى قول المجيزين للامتحان فقد أجاب العلماء بأن الله تعالى يكرم والدي النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- بتجاوز الامتحان وخاصة أن الله تعالى وعد نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم- بقوله : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ ﴾ [الضحى] .

وبذلك ينضم هذا الفريق إلى نجاة والدي النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- إلى الفريق الأول ولله الحمد والمنة.

٣- التوقف في الحكم على أهل الفترة ومن لم تبلغه الدعوة :

ذهب فريق ثالث إلى التوقف وعدم النطق بالحكم على أهل الفترة وعلى من لم تبلغه الدعوة، وأطفال المشركين، وإليه ذهب كل من :

* ابن حجر العسقلاني. ذكره الزرقاني في شرح المواهب اللدنية.

* الشيخ التاج الفاكهاني في كتابه (الفجر المنير): الله أعلم بحال أبويه.

قلت- محمد نور : فعلى الحكم بالتوقف يبقى معنا الشفاعة العظمى ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ ﴾ [الضحى] .

رابعاً: شهادات العلماء ببراءة الإمام أبي حنيفة النعمان من القول بكفرهما، ورجوع ملا علي القاري عن قوله بتكفيرهما إلى نجاتهما:

شاع بدون تحقيق علمي عميق في بعض النسخ المطبوعة لكتاب (الفقه الأكبر) برواية ابنه حماد ، عبارة أوهمت عدداً من العلماء ، أدى بهم القول بخلاف ما يعتقده

(١) انظر : شرح المواهب اللدنية للزرقاني ١/ ٣٥٢.

الإمام أبو حنيفة النعمان ، وإليك شهادات العلماء والباحثين ، ورؤيتهم للمخطوط الأصلي :

١- **نص عبارة الإمام** : قال أبو حنيفة رحمه الله: (ووالدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما ماتا على الكفر) وفي نسخة أخرى (ماتا على الفطرة) ، وتحقيق وشهادة ذلك كما يلي :

٢- **شهادة العلامة الشيخ مصطفى الحمامي - رحمه الله - في كتابه : (النهضة الإصلاحية)** : قال عن عبارة الإمام أبي حنيفة في الفقه الأكبر (ووالدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماتا على الفطرة) :

(هذا الذي رأيته بعيني في الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة رأيته بنسخة بمكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة ترجع كتابة هذه النسخة إلى عهد بعيد حتى قال لي بعض العارفين هناك: إنها كتبت في عهد العباسيين، وهذه النسخة ضمن مجموعة رقمها (٣٣٠) من قسم المجاميع بتلك المكتبة، فمن أراد أن يرى هذه النسخة من الفقه الأكبر بعينه فعليه بتلك المكتبة، وهو يجدها هناك بهذا النص الذي نقلناه هنا)[1] انتهى.

٣- **شهادة الإمام محمد زاهد الكوثري رحمه الله في مقدمته لتحقيقه كتاب (رسالة العالم والمتعلم) للإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى فقال:**

(ففي بعض تلك النسخ: وأبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم **(ماتا على الفطرة)** و**(الفطرة)** سهلة التحريف إلى **(الكفر)** في الخط الكوفي، وفي أكثرها: **(ما ماتا على الكفر)**، كأن الإمام الأعظم يريد به الرد على من يروي حديث **(إن أبي وأباك في النار)** ويرى كونهما من أهل النار، لأن إنزال المرء في النار لا يكون إلا بدليل يقيني، وهذا الموضوع ليس بموضوع عملي حتى يكتفى فيه بالدليل الظني.

(١) انظر : كتاب (الإمام علي القاري وأثره في الحديث) ص ١١٠ ط دار البشائر بيروت.

٤- شهادة العلامة محمد مرتضى الزَّبيدي:

ويتابع الكوثري قوله: ويقول الحافظ محمد مرتضى الزبيدي شارح الإحياء والقاموس في رسالته (**الانتصار لوالدي النبي المختار**)، وكنت رأيتها بخطه عند شيخنا أحمد بن مصطفى العمري الحلبي [1] مفتي العسكر العالم المعمر، ما معناه:

(إن الناسخ لما رأى تكرر (ما) في (**ما ماتا**) ظن أن إحداهما زائدة فحذفها فذاعت نسخته الخاطئة، ومن الدليل على ذلك: سياق الخبر لأن أبا طالب والأبوين لو كانوا جميعاً على حالة واحدة جمع الثلاثة في الحكم بجملة واحدة لا بجملتين، مع عدم التخالف بينهم في الحكم).

ثم يقول الإمام الكوثري - رحمه الله: (وهذا رأي وجيه من الحافظ الزبيدي إلا أنه لم يكن رأى النسخة التي فيها (**ما ماتا**) وإنما حكى ذلك عمن رآها، وإني بحمد الله رأيت لفظ (**ما ماتا**) في نسختين بدار الكتب المصرية قديمتين، كما رأى بعض أصدقائي لفظي (**ما ماتا**) و(**على الفطرة**) في نسختين قديمتين بمكتبة شيخ الإسلام [2] (تحت رقم ٢٢٦).

وذكر في الهامش عن نسخ الفقه الأكبر السليمة والصحيحة فقال: راجع المجموعتين: (٦٤ م و ٢١٥ م بدار الكتب المصرية) انتهى.

٥- شهادة شيخنا الدكتور عناية الله إبلاغ أستاذ العقيدة في جامعة الكويت حيث ذكر في رسالته للماجستير في الأزهر (الإمام أبو حنيفة المتكلم) والمطبوع من قبل المجلس

(١) نسبة إلى مدينة حلب الشهباء شمال سورية، ثم سافر إلى طرابلس الشام والقسطنطينية وأقام فيها توفي ١٣٣٤ هـ. انظر ترجمته في معجم المؤلفين ٢/ ١٧٩ عن كتاب (الإمام ملا علي القاري) للدكتور خليل إبراهيم قوتلاي ص ١١٠، وحلب مدينة كاتب هذه السطور حرسها الله وحفظها وسائر بلاد المسلمين، والتي خرج منها في ١٦/ شوال/ ١٤٠٠ هـ. الذي يوافقه ٢٧/ ٨/ ١٩٨٠ ولم يجرب العودة إليها حتى تاريخه، وقد رشحت منظمة المؤتمر الإسلامي بالتعاون مع المنظمة الإسلامية الثقافية مدينة حلب عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م. أسأله سبحانه أن ييسر لي حضور مؤتمرها.

(٢) أي: مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وذكر الكوثري (وفي مكتبة شيخ الإسلام هذه نسختان من الفقه الأكبر رواية حماد قديمتان وصحيحتان).

الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر طبعتين باسم (الإمام الأعظم أبو حنيفة المتكلم) ط ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م. ص ١٠٢ ثم طبع طبعة ثالثة في الكويت نشر دار الترجمة ص ١٨٥ حيث صرح بأنه شاهد بأم عينيه عبارة الإمام في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٤٢٠٥) فقال: (وقد راجعتها أنا فوجدتها كما ذكر الكوثري) [1].

إن النسخ المطبوعة أوهمت الإمام ملا علي القاري في شرحه لكتاب (الفقه الأكبر) حيث اعتمد على نسخ غير محققة، فقال ما قال، ثم لما علم بالحقيقة قال رأيه الأخير، في شرحه لكتاب (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى) طبعة استانبول، في موضعين قلت - محمد نور- وقد رأيتها بعيني:

- **الموضع الأول ١/ ٦٠١: (وأما إسلام أبويه ففيه أقوال، والأصح إسلامهما على ما اتفق عليه الأجلة من الأئمة كما بينه السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة)** [2] انتهى.

- **الموضع الثاني** من شرحه للشفا ١/ ٦٤٨ طبعة استانبول حيث قال الشيخ ملا علي القاري رحمه الله: **(وأما ما ذكروا من إحيائه عليه الصلاة والسلام أبويه، فالأصح أنه وقع على ما عليه الجمهور الثقات، كما قال السيوطي في رسائله الثلاث المؤلفة)** [3] انتهى.

(١) فأصبح لدينا خمس مخطوطات صحيحة اثنتان في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام تحت رقمي: ٢٢٦ و ٣٣٠، قسم المجاميع، وثلاث مخطوطات في دار الكتب المصرية المجموعتين: (٦٤ م) و (٢١٥ م) ورقم ٢٤٢٠٥ فاللهم يسر خروجهن للطباعة.

(٢) علق شيخنا الدكتور أحمد الحجي الكردي على مسودة كتابي هذا، عند كتابته لي مقدمته الكريمة بقوله: (كنت أظن أن ملا علي القاري ممن يرجح خلاف ذلك) أحمد.

(٣) انظر شرح (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم- نهاية فصل المعجزات تأليف الشيخ ملا علي القاري رحمه الله تعالى طبع دار السعادة باستانبول الصادرة ١٣١٦ هـ. ففيها مقولته هذه، وهو رأيه الأخير، حيث ألف الشرح قبل وفاته بثلاث سنوات، وبذلك يسقط قول من يحتج برأي الشيخ ملا علي القاري الأول المخالف لهذا الرأي، كما أن قيام دور النشر بطباعة الكتاب وبدون هاتين العبارتين يعتبر من الخيانة العلمية، وتضليلاً لأهل العلم، وخيانة للمؤلف رحمه الله.

فلله الحمد والمنة على ظهور الحقائق تباعاً، ورجوع أهل العلم إليها، لأنه هو الحق، وهو الفطرة التي لا تحتاج إلى دليل، **كما أدركها علامة العصر محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى في كتابه خاتم النبيين ١/ ١٢٣** حيث قال:

(ولا شك أن الخبر الذي يقول : إن أبا محمد عليه الصلاة والسلام في النار خبر غريب في معناه، كما هو غريب في سنده ؛ لأن الله تعالى يقول :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] وقد كان أبو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمه على فترة من الرسل، فكيف يعذبون؟

(إن هذا مخالف للحقائق الدينية، لقد مات أحدهما قبل أن يبرز الرسول إلى الوجود، وماتت الأخرى وهو غلام لم يبعث رسولاً، ولذلك كان الخبر الذي يقول إنهما في النار مردوداً لغرابة سنده أولاً، ولبعد معناه عن الحقيقة ثانياً.

ولعل نهي النبي عليه الصلاة والسلام عن الاستغفار، لأن الاستغفار لا موضع له، إذ إنه لم يكن خطاب بالتكليف من نبي مبعوث، وليس كاستغفار إبراهيم لأبيه[1] الذي نهي عنه، لأن أبا إبراهيم قد خوطب برسالة إبراهيم فعلاً، فهو مكلف أن يؤمن بالله، ويكفر بالأوثان . **ثم يتابع أبو زهرة قوله بطريقة فطرية سليمة ، وعقل مستنير ، وحجة قوية:**

(وفي الحق أني ضرست في سمعي وفهمي عندما تصورت أن عبد الله وآمنة يُتصور أن يدخلا النار، لأنه عبد الله الشاب الصبور الذي رضي بأن يذبح لنذر أبيه[2]، وتقدم

(١) انظر لدقة العبارة: لأبيه، ولم يقل والده . م. نور.

(٢) انظر إلى رضا عبد الله بالذبح وفاء لنذر والده، وكان بإمكانه الهرب، أو التمرد، أو تأليب قريش على والده، أو على أقل تقدير أن يعبر عن سخطه وعدم رضاه، إلا أنه لم يفعل كل ذلك، وكأن نور النبوة الذي يحمله في جبينه، يحس بوجوده ويطمئن إليه، ثم انظر إلى رضا سيدنا إسماعيل عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات] أليس كلا الذبيحين من صنعة واحدة، ونسب واحد، وتربية واحدة؟

راضياً، ولما افتدته قريش استقبل الفداء راضياً، وهو الذي كان عيوفاً عن اللهو والعبث، وهو الذي برزت إليه المرأة تقول: هيتَ لك ، فيقول لها: أما الحرام فالممات دونه .، ولماذا يعاقب بالنار ، وهو لم تبلغه دعوة رسول ، ونفى الله تعالى العذاب إلا بعد أن يرسل رسولاً ، ولما تكن الرسالة قد وجدت، ولم يكن الرسول قد بعث) .

(وأما الأم الرؤوم الصبور التي لاقت الحرمان من زوجها فصبرت، ورأت ولدها يتيماً فقيراً، فصبرت، وحملته صابرة راضية في الذهاب إلى أخواله، أيتصور عاقل أن تدخل هذه النار من غير أن يكون ثمة رسالة إلهية تهديها، ودعوة إلى الوحدانية توجهها).

ثم قال أبو زهرة بعد أن أيد حديث إحياء الوالدين الشريفين:

(وخلاصة القول وهو ما انتهينا إليه بعد مراجعة الأخبار في هذه المسألة:

إن أبوي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فترة ، وإنهما كانا قريبين إلى الهدى، وإلى الأخلاق الكريمة التي جاء به شرع ابنهما من بعد ، وإنهما كانا على فترة من الرسل، ونعتقد أنه بمراجعة النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة لا يمكن أن يكونا في النار، فأمه المجاهدة الصبور، الحفية بولدها، لا تمسها النار، لأنه لا دليل على استحقاقها، بل الدليل قام على وجوب الثناء عليها هي وزوجها الذبيح الطاهر.

(وما انتهينا إلى هذا بحكم محبتنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كنا نرجوها ونتمناها، ولكن بحكم العقل والمنطق والقانون الخلقي المستقيم، والأدلة الشرعية القويمة، ومقاصد الشريعة وغايتها)انتهى.

وإني أُعجبت كل الإعجاب لطريقة الإمام أبي زهرة في التحليل، فهو ناقش الموضوع بطريقة أصولية حديثية عقلية فطرية، بالإضافة إلى الحب والتقدير لرسول الله الأمين، فهو لم يستطع أن يتقبل من أي ناحية، وأية حجة أنهما في النار، وأن ذلك مخالف لفهم النصوص ومقاصد الشريعة، وروح التشريع، والعدالة الإلهية ورحمتها وفضلها، فهل من مدكر!!

الباب الثالث

إثبات إيمان والد وجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الشريفين :عبد الله وعبد المطلب رحمهما الله تعالى وأنهما ماتا على ملة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

الفصل الأول: اتفاق روايات الحديث على عبارة السائل (أين أبى) واختلافها فى جواب النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

الفصل الثانى: مخالفة رواية حماد لصريح القرآن والسنة لمشهور الملة الحنيفية لوالد وجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

الفصل الثالث : رواية حماد إما أن ترد لمخالفتها القرآن والسنة وإما أن تؤول للخروج من التعارض .

الباب الثالث

إثبات إيمان والد وجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم الشريفين

الفصل الأول

اتفاق روايات الحديث على عبارة السائل (أين أبي)

واختلافها في جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وترجيح رواية الزهري على رواية حماد

قال الإمام الحافظ صلاح الدين العلائي (ت: ٦٦٠ هـ) في كتابه (الدرة السنية في مولد خير البرية) : كان سن عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحو ثمانية عشر عاماً ، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمراً لأهله ، فمات بها عند أخواله من بني النجار، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حمل على الصحيح)[1] انتهى.

تمهيد :

لا بد للباحث وللفقيه حتى يصدر حكماً شرعياً من جمع وتتبع الروايات والطرق التي وردت فيها ألفاظ الحديث، والوقوف عليها ودراستها والتوفيق بينها أو ترجيح بعضها أو ثبوت النسخ فيما بينها، ثم يستنتج الحكم.

ولدى تتبع روايات الحديث فقد وجد اتفاقها على مجيء أعرابي أو رجل وتوجيهه السؤال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (أين أبي)؟ وقد جاءت الروايات بجوابين مختلفين من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكلتا الروايتين صحيحتان من حيث السند، فبقي دراسة المتن، وفي هذه الحالة يتم أخذ الرواية التي توافق القرآن، وروح التشريع، مع ضرورة الإجابة على الرواية الأخرى.

---

(١) انظر مسالك الحنفا في والدي المصطفى – المسلك الأول للسيوطي رحمه الله.

أما أخذ إحدى الروايات بدون دراسة متأنية مع الكتاب والسنة فهو الهوى أعاذنا الله منه، فلنستعرض هذه الروايات وأقوال العلماء فيها:

الرواية الأولى: للإمام مسلم واللفظ له وأبي داود في سننه[1] وابن حبان[2] وأحمد في مسنده[3] **كلهم عن حماد بن سلمة :**

استنبط المعارض من رواية حماد فقط وبدون النظر في الروايات الأخرى من غير طريق حماد ولم يعرض رواية حماد على القرآن:

روى مسلم في صحيحه فقال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ الله : أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «**فِي النَّارِ**» فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**».

وفي عون المعبود شرح أبي داود قال: (وهذا الرجل هو حصين بن عبيد والد عمران ابن حصين، وقيل : هو أبو رزين لقيط بن عامر العقيلي) انتهى.

*** الرواية الثانية لأبي جعفر الطحاوي ليس فيها حماد ولا الزهري:**

روى أبو جعفر الطحاوي في كتابه (مشكل الآثار) فقال : حدثنا أبو أمية قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال: ثنا محمد بن بشر العبدي قال: ثنا زكريا بن أبي زائدة قال: ثنا منصور ابن المعتمر قال: ثنا ربعي بن حراش عن عمران بن حصين قال:

---

(١) سنن أبي داود ج٤/ ص٢٣٠ ٤٧١٨ حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: (أبوك في النار)، فلما قفى قال: «**إن أبي وأباك في النار**».

(٢) صحيح ابن حبان ج٢/ ص٣٤٠ (ذكر الاستحباب للمرء استمالة قلب أخيه المسلم بما لا يحظره الكتاب والسنة: ٥٧٨ أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي قال :حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال:أخبرنا عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رجلا قام إلى النبي ﷺ فقال: أين أبي قال:« في النار» فلما قفى دعاه فقال ﷺ : « **إن أبي وأباك في النار**».

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٣/ ص١١٩ - ١٢٢١٣ حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا وكيع عن حماد عن ثابت عن أنس قال: قال رجل للنبي ﷺ : أين أبي؟ قال: «**في النار**»، قال: فلما رأى ما في وجهه!! قال: «**إن أبي وأباك في النار**» .

جاء حصين إلى النبي ﷺ قبل أن يسلم فقال: يا محمد كان عبد المطلب خيراً لقومه منك كان يطعمهم الكبد، والسنام، وأنت تنحرهم.

فقال له رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم إن حصيناً قال: يا محمد ماذا تأمرني أن أقول؟

قال : قل : (**اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي وأسألك أن تعزم لي على رشد أمري**).

قال: ثم إن حصيناً أسلم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: إني كنت سألتك المرة الأولى، وإني الآن أقول ما تأمرني أن أقول؟.

قال: (**قل: اللهم اغفر لي ما أسررت، وما أعلنت، وما أخطأت، وما عمدت، وما جهلت، وما علمت**).

ثم تابع الإمام أبو جعفر الطحاوي قوله: فقال قائل: هذا الحديث قد روي ما يخالفه عن عمران بن حصين وذكر:

ما قد حدثنا فهد بن سليمان قال: حدثنا محمد بن سعيد بن الأصبهاني قال: حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن العباس بن عبد الرحمن وهو ابن ربيعة بن الحارث الهاشمي، عن عمران بن الحصين أن أباه الحصين بن عبيد أتى النبي ﷺ ، وكان مشركاً فقال: أرأيت رجلاً كان يقري الضيف ويصل الرحم مات قبلك؟

قال أبو جعفر: كأنه يعني بذلك أباه.

فقال رسول الله ﷺ : « **إن أبي وأباك في النار**» .

قال: فما مرت عشرون ليلة حتى مات مشركاً.

قال : ففي هذا الحديث أن حصيناً أبا عمران بن حصين مات مشركاً.

وفي الحديث الأول ذكر إسلامه وتعليم النبي ﷺ إياه ما ذكر تعليمه إياه فيه، وهذا اختلاف شديد؟

فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه: **أن هذا، وإن كان اختلافاً كما ذكر في هذين الحديثين فإنه ليس من رسول الله ﷺ، وإنما هو من رواة هذين الحديثين**، والله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك ما هو؟

غير أنا تأملناهما فوجدناهما قد يخرجان بما لا اختلاف فيه، وذلك أن يكون عمران هو ابن حصين بن حصين بن عبيد فيكون أبوه حصين المذكور بالإسلام في الحديث الأول؛ من الحديثين اللذين ذكرناهما؛ في هذا الباب أباه الأدنى؛ هو الذي أسلم وعلمه رسول الله ﷺ ما علمه؛ في الحديث المذكور فيه إسلامه ؛ من الحديثين اللذين رويناهما في هذا الباب.

ويكون الذي مات مشركاً هو حصين بن عبيد أباه الأقصى من أبويه اللذين اسم كل واحد منهما حصين، فيصح الحديثان جميعاً ولا يتضادان، وذلك أولى مما حملا عليه؛ حتى لا يدفع واحد منهما صاحبه؛ ولا يخالفه؛ ولا يضاده، والله عز وجل نسأله التوفيق) انتهى .

قلت – محمد نور– فانظر إلى براعة الإمام الطحاوي الحنفي في التوفيق بين الأدلة، ولم يذكر والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسوء.

الرواية الثالثة للبزار عن الزهري:

أخرج البزار فقال: حدثنا زيد بن أخزم ومحمد بن عثمان بن مخلد قالا: نا يزيد بن هارون قال: نا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، أين أبي ؟ قال:«في النار»، قال: فأين أبوك؟ قال: «**حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**».

الرواية الرابعة للطبراني في معجمه الكبير، وللبيهقي في دلائل النبوة وزيادتها على رواية البزار، كلهم من رواية الزهري:

قال الطبراني في معجمه الكبير ١ / ١٠٧ برقم ٣٢٦ فقال: حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا محمد بن أبي نعيم الواسطي ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن

أبيه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أين أبي؟ قال : «**في النار**» ، قال: فأين أبوك ؟ قال : «**حيثما مررتَ بقبرِ كافرٍ فبشره بالنار**» -وسند رجاله رجال الصحيح[١] .

وزاد الطبراني والبيهقي -في دلائل النبوة[٢] :

فأسلم الأعرابي بعد، فقال: لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

الرواية الخامسة لابن ماجه ليس فيها حماد ، وإنما الزهري:

قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَعِيلَ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ الْوَاسِطِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ إبراهيم بْنِ سَعْدٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبِي كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَكَانَ؛ وَكَانَ؛ فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: «فِي النَّارِ» قَالَ: فَكَأَنَّهُ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَيْثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ**» قَالَ: فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ بَعْدُ ، وَقَالَ : **لَقَدْ كَلَّفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَباً مَا مَرَرْتُ بِقَبْرِ كَافِرٍ إِلا بَشَّرْتُهُ بِالنَّارِ** .

فنلاحظ عدداً من الروايات للحديث كان الجواب« **إن أبي وأباك في النار**».

ومنها كان الجواب «**حيثما مررتَ بقبر كافر فبشره بالنار**» .

فأصبح روايتان للجواب نحتاج للتوفيق بينهما، فوجدنا الإمام الطحاوي والسيوطي قالا :

---

(١) قاله ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد.

(٢)انظر البيهقي في دلائل النبوة ١/ ١٩١ تحقيق د. القلعجي طبع دار الكتب العلمية، بيروت، وقال حمدي السلفي في تحقيقه لمعجم الطبراني الكبير: رواه المقدسي في الضياء في الأحاديث المختارة ١/ ٣٣٣ وقال: سنده صحيح.

قال أبو جعفر الطحاوي: **(وإن كان اختلافاً كما ذكر في هذين الحديثين فإنه ليس من رسول الله ﷺ، وإنما هو من رواة هذين الحديثين والله أعلم بحقيقة الأمر في ذلك ما هو؟).**

وقال السيوطي: فلماذا لا يحمل الجواب على اختلاف الرواة، وخاصة أن له نظائر كثيرة في كتب السنة!!

ترجيح رواية الزهري على رواية حماد التي يتمسك بها المعارض:

وجدنا أن الروايات التي يتمسك بها المعارض تدور حول رواية حماد، إلا أن الروايات الأخرى تدور حول الزهري، والزهري أعلم وأوثق من حماد بكثير، بل الزهري أول من أسس وقعد علم الحديث، بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى.

والزهري هو التابعي أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب عاش أغلب حياته في المدينة (٥٨ – ١٢٤هـ). شافه عشرة من الصحابة، قال عنه الخليفة الراشد السادس عمر بن عبد العزيز: عليكم بابن شهاب هذا، فإنكم لا تَلْقَون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه.

وقال مالك: كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد من العلماء حتى يخرج[1].

وهو مجمع على توثيقه وعدالته، أخرج له البخاري في صحيحه ١١٦٦ حديثاً، ومسلم ٦٠٤ أحاديث، وخرج له التسعة ٥٥٠٠ حديثٍ، وهو من أكثر رواة التابعين، وبالتالي فإن رواية الزهري مقدمة على رواية حماد، وتعتبر رواية حماد شاذة بالنسبة لرواية الزهري لأنه أوثق منه.

ولأن علماء الحديث يقولون –كما هو معروف– في تعريف الحديث الشاذ: (مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، أو مخالفة الثقة للثقات).

بينما حماد، وإن كان ثقة في ذاته، إلا أن علماء الجرح أخذوا عليه مآخذ منها ما قاله الذهبي كما نقله الإمام السيوطي رحمه الله:

(١) انظر للمزيد عن عالم الشام والحجاز الإمام ابن شهاب الزهري سلسلة أعلام المسلمين رقم ٤٤، تأليف محمد شُرَّاب، نشر دار القلم دمشق، وانظر موسوعة الحديث لشركة حرف.

(قال الذهبي: حماد ثقة، له أوهام ومناكير كثيرة، وكانوا يقولون: إنها دست في كتبه من ربيبه ابن أبي العوجاء[1]، وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم، ومن ثم لم يخرج له البخاري، فحديث معمر[2] أثبت، وقد وجدناه ورد بمثل رواية معمر[3] من حديث سعد ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما -كما في رواية البزار والطبراني في الكبير وابن ماجه بسند صحيح – كما سبق بيانه في أولاً:

(١) من مناكيره: روايته لأحاديث التجسيم منها التي ذكرها السيوطي في (التعظيم والمنة) ص ٤٠: حماد عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قرأ: (فلما تجلى ربه للجبل) قال: أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه فساخ الجبل) رواه أحمد والترمذي والحاكم، وأورده ابن الجوزي في (الموضوعات) وقال: (إنه لا يثبت، وإنه مما دسه ربيبه عليه) انتهى، أقول: ومن مناكيره ما جاء في كتابه (الفتن)، كما أن الدس واللعب بالكتب أثناء استنساخها في القديم من قبل النساخ، وتحقيقها في العصر الحديث، من مذهب أهل الأهواء والبدع من المجسمة والباطنية وغيرهم، ولذلك وجب التحقق والتحقيق، ومن أمثلته المشهورة وجود ما يسمى بالأحاديث الموضوعة، فإذا كان الدس والكذب والافتراء وجد على رسول الله ﷺ، فهو على غيره أولى، وإلا فما فائدة طلب العلم إلا إظهار الحقائق والصدق في التحقيق.

(٢) **تحمس أحد المعاصرين للدفاع عن حماد، ونسي أن معمراً أحفظ منه، وأن الزهري أحفظ منهما، وكنت أود أن يزداد حماسه للدفاع عن والد رسول الله صلى عليه وآله وسلم بمثل حماسه في الدفاع عن حماد، ومما يؤكد تفضيل معمر على حماد** مطلقاً الإحصائية العملية الواقعية التالية التي قمت بها بواسطة برنامج الحديث الشريف لشركة صخر ثم حرف:

*روى البخاري في صحيحه عن معمر ٢٦٣ ثلاثة وستين بعد المائتين حديثاً وعن حماد حديثين وذكره في المتابعات في ١٧ مرة.

*وروى مسلم عن معمر ٣٠٠ ثلثمائة حديثٍ، وعن حماد ١٠٥ خمسة بعد المائة أحاديث.

* فيكون مجموع روايات الصحيحين لمعمر ٥٦٣ حديثاً ولحماد ١٢٤ حديثاً.

(٣) **قلت –محمد نور عفا الله عنه ربه الغفور: لم أعثر على رواية معمر عن سعد كما قال الإمام السيوطي، رغم استخدامي كافة برامج الحديث الشريف الكومبيوترية، ولكن الصحيح رواية الزهري عن سعد، كما وجدناه، قبل قليل.**

ثم قال السيوطي: (ولو كان الجواب باللفظ الأول – أي: « **إن أبي وأباك في النار** » – لم يكن فيه أَمْرٌ بشيء البتة – أي: أمر للأعرابي، فعلم أنه تصرف الرواة، وأن هذه الطريق في غاية الإتقان.

(ولذا قال بعض الحفاظ: لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عقلناه، أي: لاختلاف الرواة في إسناده وألفاظه، فهذا الحديث معلل من هذه الحيثية، وليس ذلك قد جافى صحته من أصله بل في هذه اللفظة فقط. .)[1]. ثم قال السيوطي رحمه الله: وقد روى معمر بن راشد الحديث الذي في مسلم بغير هذا اللفظ). انتهى من رسالة (السبل الجلية) للسيوطي رحمه الله.

---

(١) انظر :شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١/ ٣٣٣-٣٣٧ طبع دار الكتب العلمية.

الفصل الثاني

مخالفة متن رواية حماد لصريح القرآن والسنة ولمشهور الملة الحنيفية لوالد وجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الأول

مخالفة رواية حماد لصريح القرآن الكريم

أولاً: إثبات القرآن أنه لم يأت رسول للعرب قبل أو بعد إبراهيم عليه السلام:

بينت الآيات القرآنية أنه لم يأت للعرب رسول يذكرهم ويدعوهم للإيمان من قبل أو بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام :

الآية الأولى : قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

[القصص]

الآية الثانية : قول الله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [السجدة] .

الآية الثالثة : قول الله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾

[يس]

الآية الرابعة قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [سبأ] .

ثانياً: مخالفة رواية حماد للآيات القرآنية التي تذكر أن عذاب الله للبشر بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام :

بينا في الباب الثاني عن حكم أهل الفترة والتي تتصدرها الآية الكريمة : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] .

ثالثاً : مخالفة رواية حماد لآيات وأحاديث الاصطفاء، ودعاء سيدنا إبراهيم لبنيه:

إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآباءه هم من اصطفاء الله تعالى، وهم دعوة سيدنا إبراهيم ﷺ ، حيث ينتج من مجموع:

آيات وأحاديث الاصطفاء الإلهي+ آيات دعاء إبراهيم لذريته + أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كان في خير الفرق يساوي = أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم المعنيون بالاصطفاء والدعاء وكلهم مؤمنون،وإليك البيان:

١ - آيات الاصطفاء الإلهي:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران] .

أورد ابن جرير بسنده عن الحسن قال: فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم كانوا هم الأنبياء الأتقياء المطيعين لرب العالمين.

وقال القرطبي في تفسيره:

وخص هؤلاء بالذكر من بين الأنبياء لأن الأنبياء والرسل بقضهم وقضيضهم من نسلهم. ومعنى قوله: «على العالمين» أي: على عالمي زمانهم، في قول أهل التفسير، وقال الترمذي الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي: جميع الخلق كلهم.

وقيل: « على العالمين» : على جميع الخلق كلهم إلى يوم الصور، وذلك أن هؤلاء رسل وأنبياء فهم صفوة الخلق ؛ فأما محمد ﷺ فقد جازت مرتبته الاصطفاء لأنه حبيب ورحمة.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء] فالرسل خلقوا للرحمة، ومحمد ﷺ خلق بنفسه رحمة، فلذلك صار أمانا للخلق، لما بعثه الله أمن الخلق العذاب إلى نفخة الصور. وسائر الأنبياء لم يحلوا هذا المحل؛ ولذلك قال عليه السلام: **(أنا رحمة مهداة)**[1] يخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله. وقوله (مهداة) أي: هدية من الله للخلق.

---

(١) ورد في تفسير ابن كثير ج٣/ ص٢٠٢ : (عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله : ادع على المشركين؟ قال: «**إني لم أبعث لعاناً، إنما بعثت رحمة**» انفرد بإخراجه مسلم انتهى من ابن كثير رحمه الله.

وفي المستدرك على الصحيحين ج١/ ص٩١ وأسنده: عن **مالك بن سعير** ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «**يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة**» هذا حديث صحيح على شرطهما، قد احتجا جميعاً **بمالك بن سعير**، والتفرد من الثقات مقبول.

قلت - م نور عفا الله عنه: والحديث رواه: الدارمي في سننه ج١/ ص٢١، ومصنف ابن أبي شيبة ج٦/ ص٣٢٥، والمعجم الأوسط ج٣/ ص٢٢٣، والمعجم الصغير ج١/ ص١٦٨، ومسند الشهاب ج٢/ ص١٨٩،وأيضاً ج٢/ ص ١٩٠،وشعب الإيمان ج٢/ ص١٤٤،وفي مجمع الزوائد ج٨/ ص ٢٥٧ قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط ورجال البزار رجال الصحيح.

وفي نوادر الأصول في أحاديث الرسول ج٣/ ص١٤٩ تفسير لطيف ونفيس للحديث، فقال الحكيم الترمذي: (فهو من الله لنا هدية، والرسل قبله بعثوا على الأمم حجة وعطية، والهدية ليست كالعطية، فمن قبل العطية بورك له، ومن لم يقبل تأكدت الحجة عليه، وعوجل بالعقوبة ورسولنا ﷺ كان عطية وهدية فمن قبل محمداً ﷺ عطية وهدية سعد ورشد، وصار سابقاً ومقرباً، **ومن قبل عطية ولم يفطن** للهدية سُعد ولم يَصب ثمرةَ الرشدِ ونجا بالسعادة، ومن أباه وكفر النعمة وجحدها كان =

=حظه من السعادة النجاة من عقوبات الأمم؛ التي عوجلوا بها في الدنيا، فسعدوا بهذا القدر، وتأخر عنهم العذاب إلى يوم القيامة، والأولون عوجلوا بالعقوبة في الدنيا إلى أن ألحقوا بعذاب الآخرة،من قبل محمداً عطية وهدية اجتباه الله ، ومن قبله عطية هداه الله إليه بالإنابة وذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى] ، والعطية من الرحمة، والهدية من المحبة، فمن رق لعبده ورحمه إذا رآه في بؤس أو ضعف قواه وجبره بما يذهب ضعفه وبؤسه فهذه عطية من الرحمة، ومن أحب عبده أهدى إليه خلعاً وحملاناً، يريد بذلك أن يختصه ويستميل قلبه، ولذلك سميت هدية لاستمالة القلب به، فالرسل إلى الخلق عطايا من ربنا سبحانه وتعالى، رحمهم فبعثهم إليهم؛ ليهديهم ويذهب عنهم بؤس فقر الكفر، ويجبر كسيرهم، وربنا عز وجل قد رحمنا فبعث إلينا محمداً ﷺ عطية وهدية، فجعل الإيمان والإسلام في العطية، وحكمة الإيمان والإسلام في الهدية، وذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة:٢] فحكمة الإيمان والإسلام هدية لهذه الأمة بمبعث محمد ﷺ خاصة، وفضلاً على الأمم، والهدية كنوز المعرفة من خزائن السموات احتظت بها هذه الأمة، حتى صاروا موصوفين في التوراة: (صفوة الرحمن) وفي الإنجيل: (**حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء**)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران :٧٣] ، وقال ﷺ : «**ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي**»فإنما صير محمداً ﷺ لنا ليهدينا إلى أعالي درجات الدنيا عبودة، لنكون غداً في أعالي درجات الجنة بالقرب من رسولنا؛ لتقر عينه ﷺ بنا) انتهى .

وفي أمثال الحديث ج١/ ص٣٤: قال أبو محمد : (واتفقت ألفاظهم في ضم الميم من قوله (**مُهداة**) ، إلا ابن البرتي قال: (**مِهداة**) بكسر الميم من الهداية ، وكان ضابطاً فيهما متصرفاً في الفقه واللغة، والذي قاله أجود من الاعتبار ، لأنه بُعث ﷺ هادياً ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى] وكما قال عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤] ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [إبراهيم:١]، من رواه بضم الميم إنما أراد أن الله أهداه إلى الناس وهو قريب). انتهى.

وقال ابن كثير في تفسيره : (يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض ...واصطفى آل إبراهيم ومنهم سيد البشر وخاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ...).

ويخبر الله تعالى عن حصول السلام والأمان لمن اصطفاه :

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النمل] . قال ابن كثير في تفسيره:

(يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول : «الحمد لله» . وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبياؤه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفى هم الأنبياء.

قال وهو كقوله : ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات] انتهى.

ومن رحمة الله واصطفائه :

- أن اسم والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله وهو خير وأحب الأسماء إلى الله كما في الحديث الصحيح[1].

- واصطفاء الله تعالى لاسم أمه (آمنة) من آمن.

ليدل اسما والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإيمان لمن تشكك في عقله، أو توسوس في نفسه، أو تردد في رأيه، والله أعلم.

وصدق الله :﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص] .

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢١٣٢ ، وفي سنن أبي داود ج٤/ ص٢٨٧، وفي سنن ابن ماجه ج٢/ ص١٢٢٩ ، وفي سنن الترمذي ج٥/ ص١٣٢ وغيرهم.

٢- وأما حديث الاصطفاء: أخرج مسلم عن وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ يَقُولُ: ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسماعيل، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)) ورواه الترمذي وأحمد.

٣- وأما آيات دعاء سيدنا إبراهيم لذريته، والتي أهمها آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهي كالتالي:

- الآية الأولى في إيمان ذرية سيدنا إبراهيم وهم آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم] .

أورد ابن جرير في تفسيره بسنده عن مجاهد قال: فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده، قال: فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته. والصنم: التمثال المصور، ما لم يكن صنماً فهو وثن [1] .

---

(١) التمثال: ما كان على مثال سابق أو لاحق مثل لعب الأطفال فهي تماثيل متكررة لا قدسية لها في القلب ، ولهذا أذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لزوجته السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها باللعب بالتمثال، وكان لعبة عبارة عن (فرس له جناحان) كما أخرجه أبو داود في سننه (باب الأدب- لعب البنات)، ومعلوم أن أمر عقيدة الرسل واحدة، والشريعة مختلفة، وقد أباح الله تعالى لسيدنا سليمان أن يعمل له الجن التماثيل: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ] وحيث إن العمل يسبقه نية لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح: (إنما الأعمال بالنيات) فكل عمل يسبقه نية ، والفعل بلا نية، والنية هي الفارق بين العمل والفعل، فدل عمل التماثيل كان مع نية التقرب وتنفيذ الأمر.

وأما الصنم: فهو تمثال مجسم مصور -كما قال مجاهد-، وله قدسية في القلب ويعبد ظناً من عابده أنه يقربه إلى الله زلفى كما أخبر الله تعالى عن عبادة بعض الكفار: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر] وأحياناً يكون الصنم وثناً يعبد من دون الله لقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الشعراء] . =

= وأما الوثن: فهو كل ما عبد لذاته، أي: جُعل إلهاً من دون الله تعالى، سواء كان حجراً أو شجراً أو إنساناً أو حيواناً أو كوكباً أو شمساً، وسواء كان مجسماً مصوراً، أو مسطحاً، وسواء كان مرئياً أو غير مرئي. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [العنكبوت] وقال تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الحج] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [العنكبوت:٢٥] وكما أخبر الله عن فرعون قوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨] فالحكم الشرعي متعلق بالاعتقاد بالمجسم، فإن اعتقد على أنه تمثال لا قدسية له في القلب فهو مباح، وإن نظر على أنه صنم فهو الكفر أو وثن فهو الشرك، والله أعلم.

ولذلك لما فتح الصحابة رضوان الله عليهم البلاد، كانت الأصنام والأوثان بالنسبة لهم تماثيل، فلذلك لم يحطموها، بعد أن دخل غالبية أهلها في دين الله تعالى، فأصبحت تلك الأصنام والأوثان في ذمة التاريخ لأن الإيمان أزال قدسيتها من النفوس.

وبهذا التفريق في تعريف التمثال والصنم والوثن، نستطيع تفسير توجه الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاته نحو الكعبة وحولها وفوقها الأصنام، في مكة قبل الهجرة وفي المدينة المنورة، أنها كانت بالنسبة إليه تماثيل، وليست أصناماً أو أوثاناً، كيف لا وهو قد جاء بإزالة الأصنام والأوثان، إلى أن تم الفتح المبين فأزالها جميعاً، ولم يعترض عليه أحد من الصحابة أو حتى من تبقى من مشركي مكة، لأنها أصبحت تماثيل بلا قدسية بالإضافة إلى أنهم أيقنوا أنها لا تضر ولا تنفع، فأزالها حتى لا تبقى أية شبهة في قلب أحد، ولأنها موجودة في مكان مقدس وهو الكعبة لكي لا يختلط أمر تقديس الكعبة معها، ولكونها باتجاه قبلة المصلي مباشرة.

وكذلك سيدنا إبراهيم كانت أصنام وأوثان قومه بالنسبة إليه تماثيل فقال لهم: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنبياء] فأجابوه بأنها بالنسبة إليهم أصنام وأوثان وليست تماثيل: ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنبياء] ثم استنكر عليهم اعتقادهم بالأصنام والأوثان: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام] ، ودعا الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم] والله أعلم.

قال: واستجاب الله له، وجعل هذا البلد آمنا، ورزق أهله من الثمرات، وجعله إماماً، وجعل من ذريته من يقيم الصلاة، وتقبل دعاءه، فأراه مناسكه، وتاب عليه.

وقال ابن كثير في تفسيره: وقوله: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ (٣٥) ﴾ [إبراهيم] ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته؛ ثم ذكر أنه افتتن بالأصنام خلائق من الناس وأنه تبرأ ممن عبدها ورد أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم كقول عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (١١٨) ﴾ [المائدة] وليس فيه أكثر من الرد إلى مشيئة الله تعالى لا تجويز وقوع ذلك.

وبين الألوسي في تفسيره أن (من) التبعيضية في قوله تعالى: (من ذريتي) بعض ذريتي وهي ذرية إسماعيل، والذرية الأخرى هي ذرية إسحاق، وليس كلها أسكنها في مكة، وعليه فليس المعنى (من) التبعيضية (من ذريتي) الموجودة في مكة من سلالة إسماعيل، فالدعاء إذاً لكل ذرية إسماعيل. والله أعلم. فيقول الألوسي في تفسيره (روح المعاني) ١٣/ ٢٣٦:

و(من) في قوله: (من ذريتي) بمعنى بعض، وهي في تأويل المفعول به أي: أسكنت بعض ذريتي، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً والجار والمجرور صفته سدت مسده، أي: أسكنت ذرية من ذريتي، و(من) تحتمل التبعيض والتبين) انتهى.

ونقل أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) وكذلك الألوسي عند تفسير الآية أنه سئل سفيان بن عيينة كيف عبدت العرب الأصنام؟ فقال: (ما عبد أحد من ولد إسماعيل صنماً، وكانوا ثمانية، ..)انتهى.

الآية الثانية في إيمان ذرية سيدنا إبراهيم وهم آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ (٤٠) ﴾ [إبراهيم].

قال ابن جرير في تفسيره: (يقول: رب اجعلني مؤدياً ما ألزمتني من فريضتك التي فرضتها علي من الصلاة. (ومن ذريتي) يقول: واجعل أيضاً **من ذريتي مقيمي الصلاة لك**.

وقال ابن كثير في تفسيره: ((ومن ذريتي)): أي: واجعلهم كذلك مقيمين لها، «**ربنا وتقبل دعاء**»: أي: فيما سألتك فيه كله).

الآية الثالثة في إيمان ذرية سيدنا إبراهيم وهم آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ (٢٨) ﴾ [الزخرف].

قال ابن جرير في تفسيره: (وهو قول: لا إله إلا الله، كلمة باقية في عقبه، وهم ذريته، **فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده**. واختلف أهل التأويل في معنى الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

عن مجاهد (**وجعلها كلمة باقية في عقبه**) قال: لا إله إلا الله.

عن قتادة (**وجعلها كلمة باقية**) قال: شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد لم يزل في ذريته **من يقولها من بعده**.

عن قتادة (**وجعلها كلمة باقية في عقبه**) قال: التوحيد والإخلاص، ولا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده.

عن السدي (**وجعلها كلمة باقية في عقبه**) قال: لا إله إلا الله.

وبنحو ما قلنا في معنى العقب قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

عن مجاهد، قوله: (في عقبه) قال: ولده.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يعني من خلفه.

وعن السدي (في عقبه) قال: في عقب إبراهيم آل محمد ﷺ .

وعن ابن شهاب أنه كان يقول: العقب: الولد، وولد الولد.

وقال ابن زيد (في عقبه) قال: عقبه: ذريته.

وقال القرطبي في تفسيره: (وجعل الله هذه الكلمة والمقالة باقية في عقبه وهم ولده وولد ولده، أي: **إنهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله وأوصى بعضهم بعضاً في ذلك** والعقب من يأتي بعده) .

وقال ابن كثير في تفسيره:

(أي: هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهي: (لا إله إلا الله) أي : **جعلها دائمة في ذريته يقتدى به فيها** من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم – عليه الصلاة والسلام .﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) ﴾ [الزخرف] أي : إليها.

قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [الزخرف :٢٨] يعني : **لا إله إلا الله لا يزال في ذريته من يقولها** وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال ابن زيد: كلمة الإسلام وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة.).

الآية الرابعة في إيمان ذرية سيدنا إبراهيم وهم آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

دعاء إبراهيم وإسماعيل : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) ﴾ [البقرة] .

قال ابن كثير في تفسيره:

قال ابن جرير: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ قال: مخلصة.

وقال عكرمة : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨] قال الله: قد فعلت، ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ ، قال الله: قد فعلت.

وقال السدي: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ يعنيان العرب قال ابن جرير: والصواب أنه يعم العرب وغيرهم لأن من ذرية إبراهيم بني إسرائيل وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) ﴾ [الأعراف] .

قلت – أي: ابن كثير: وهذا الذي قاله ابن جرير لا ينفيه السدي فإن تخصيصهم بذلك لا ينفي من عداهم والسياق إنما هو في العرب ولهذا قال بعده : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة : ١٢٩] والمراد بذلك محمد ﷺ وقد بعث فيهم كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة:٢] ومع هذا لا ينفي رسالته إلى الأحمر والأسود لقوله تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨] وغير ذلك من الأدلة القاطعة.

وهذا الدعاء من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما أخبرنا الله تعالى عن عباده المتقين المؤمنين في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) ﴾ [الفرقان] وهذا القدر مرغوب فيه شرعاً **فإن من تمام محبة عبادة الله تعالى أن يحب أن يكون من صلبه من يعبد الله وحده لا شريك له.**

ولهذا لما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) ﴾ [البقرة] وهو قوله:

﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) ﴾ [إبراهيم] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :« **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية**

أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[1]. ووجه استدلال ابن كثير بالحديث أن طلب سيدنا إبراهيم ودعاءه لذريته ليزيد من مقامه في عليين، وحرص الخليل على ذريته أن تكون صالحة عابدة لله تعالى.

الآيـة الخامسة في إيمان ذرية سيدنا إبراهيم وهم آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

قال الله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

قال القرطبي في تفسيره:

(واللام في ﴿ لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لام كي؛ هذا هو الظاهر فيها وتكون متعلقة بـ «أسكنت» ويصح أن تكون لام أمر، كأنه رغب إلى الله أن يأتمنهم وأن يوفقهم لإقامة الصلاة) انتهى.

وقال السيوطي في الدر المنثور ج ٥ ص٤٦ :

وأخرج - أي: الحكيم الترمذي في نوادر الأصول- عن سفيان بن عيينة قال: **لم يعبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام** لقوله: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ قيل: فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم؟

---

(1) وهل هناك أصلح من ولد صالح مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو لوالديه، وقد أمره ربه بالدعاء لهما بالرحمة : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء] وأمره بخفض الجناح لهما ولم يدركهما، فسيخفض لهما جناح الذل من الرحمة يوم القيامة في الجنان إن شاء الله تعالى؛ لأنه أمر إلهي لا بد من تنفيذه وتحقيقه، وما لم يتحقق في الدنيا فلا بد إلا أن يتحقق في الآخرة والله أعلم.

قال: لأنه دعا لأهل هذا البلد ألا يعبدوا الأصنام ودعا لهم بالأمن، فقال: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم] ولم يدع لجميع البلدان بذلك.

وقال: ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ فيه، وقد خص أهله وقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [إبراهيم:٣٧] انتهى.

الآية السادسة في إثبات إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

قال الله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء] قال ابن كثير في تفسيره :

- وروى البزار [برقم : ٢٢٤٢] وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : **(يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبياً)** [1] **انتهى.**

وقال الألوسي في تفسيره (روح المعاني) ج ١٩ ص ١٣٧:

(**وتفسير الساجدين** بالأنبياء رواه جماعة منهم الطبراني والبزار وأبو نعيم عن ابن عباس - أيضاً - إلا أنه رضي الله تعالى عنه فسر التقلب فيهم بالتنقل في أصلابهم حتى ولدته أمه عليه الصلاة والسلام وجوز على حمل التقلب على التنقل في الأصلاب أن يراد بالساجدين المؤمنون.

---

(1) وقد ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما كل من المفسرين السادة العلماء: القرطبي في تفسيره، والفراء في معاني القرآن ٥/ ١٠٧، والبغوي في تفسيره، وابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٦/ ١٤٨، والألوسي في تفسيره روح المعاني ١٩/ ١٣٧، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور ٦/ ٣٣٢، والشوكاني في تفسيره فتح القدير ٤/ ١٢٢-١٢٤.

واستدل بالآية على إيمان أبويه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ذهب إليه كثير من أجلة أهل السنة، وأنا أخشى الكفر على من يقول فيهما رضي الله تعالى عنهما على رغم أنف علي القاري وأضرابه بضد ذلك إلا أني لا أقول بحجية الآية على هذا المطلب).

قلت -محمد نور عفا الله عنه : رجع ملا علي القاري عن قوله -كما هو محقق النقل عنه في شرحه على كتاب (الشفا في تعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض في نهاية مبحث معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم- طبعة دار السعادة [1] ؛ كما أثبتناه فيما سبق، ولله الحمد والمنة، أرجو من الله أن يرجع عن قوله كل من خالف ذلك.

وقال السيوطي في تفسيره الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣٢ :

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ قال: (**ما زال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه**).

وقال الشوكاني في تفسيره فتح القدير ج٤ ص ١٢٠ :

(وقيل : يراك فى الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة).

وقال الشوكاني – أيضاً – في فتح القدير ج ٤ ص ١٢٢:

وأخرج ابن أبى عمر العدنى فى مسنده والبزار وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ قال : (من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبياً) وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم عنه فى الآية نحوه) انتهى.

---

(١) من المؤسف أن طبعة (دار السعادة) لم يتكرر طباعتها، وأزيل من الطبعات الأخرى رجوع الشيخ ملا علي القاري، وهذا ليس من الأمانة العلمية، وعليه يكون من يباشر الطبع ولا يأخذ برأيه الذي رجع عنه يكون مزوراً للحقيقة الناطقة، ومساءلاً يوم القيامة، ومضللاً للرأي العام ولطلاب العلم. والله أعلم.

أقول – وبالله التوفيق: **إن مجموع الآيات السابقة تؤكد حرص سيدنا إبراهيم بالدعاء لذريته بالإيمان، وإذا لم يستجب الله تعالى لرسله ولخليله فلمن سيستجيب إذاً؟! ألمثالنا الضعفاء المذنبين العاصين؟!**

وقد يقول قائل: إن هذه الأقوال وهناك عكسها؟

والجواب :إن المحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يختار لوالده ولجده قول من يقول بالإيمان.

الآية السابعة في إثبات إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

قال الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت].

قال ابن كثير في التفسير : (...وقوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ هذه خلعة سنية عظيمة مع اتخاذ الله إياه خليلاً، وجعله للناس إماماً، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم فقام في ملئهم مبشراً بالنبي العربي القرشي الهاشمي خاتم الرسل على الإطلاق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العرباء من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، **ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه عليه أفضل الصلاة والسلام...**) انتهى.

وبذلك يكون معنى تطهير أهل البيت أصولاً وفروعاً :

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب] لأن معنى الرجس هو الكفر على قول الجمهور،

والتطهير من الذنوب، وافتخار النبي صلى الله عليه وآله وسلم باصطفائه وبخياره في كل قرن مضى، وبأنه طاهر النكاحَ في آبائه، دليل على طهارة أصوله من الكفر والفسق والتطهير من الذنوب والله أعلم .

المبحث الثاني
مخالفة رواية حماد للسنة

أولاً : مخالفة رواية حماد لافتخار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ابن الذبيحين - سيدنا إسماعيل الذبيح الأول، ووالده عبد الله الذبيح الثاني- فَجَمَعهما مع بعضهما، كما لا يجوز الافتخار بغير المسلم:

أورد الطبري في تاريخه ١/ ١٥٨ حدثنا محمد بن عمار الرازي قال : حدثنا إسماعيل ابن عبيد بن أبي كريمة قال : حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه قال : حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟

فقال : على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك **يا بن الذبيحين! فضحك رسول الله ﷺ** ، فقيل له : وما الذبيحان يا رسول الله؟

فقال : « **إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله** [1] **لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده**» .

قال : «**فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا: افدِ ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل، وإسماعيل الثاني**».

فافتخار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ابن الذبيحين، وموافقته على اقتران اسم والده مع سيدنا إسماعيل- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام-،دليل على إيمان والده الكريم ، ثم إن عبد المطلب نذر لله تعالى ولم ينذر للأصنام،فليحفظ فإننا سنستشهد به فيما بعد.

---

١) نذر لله ولم ينذر للأصنام، أي: إن عبد المطلب جد النبي على الملة الحنيفية.

ثانياً: مخالفة رواية حماد لأحاديث الامتحان يوم القيامة:

إن أهل الفترة وأطفال المشركين ورد في امتحانهم أحاديث صحيحة وحسنة كما بينا ذلك في الباب الثاني، وبالتالي لا يجوز الاحتجاج برواية حماد لمعارضته لأحاديث صحيحة أخرى، فلا بد من طلب الترجيح بين الحديثين الصحيحين من خارج، فوجدنا القرآن ينص على أن العذاب على من أنكر بعثة الرسول المرسل إليه، وحيث ثبت أن فترة الجاهلية ليس فيها رسول، فصار الأمر إلى رحمة الله بنجاة أهل الفترة والله أعلم.

ثالثاً: مخالفة رواية حماد لما اشتهر من وفاة والد الرسول ﷺ وهو حديث السن، أي في مرحلة إعذار الله تعالى:

إذا علمنا أن عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم توفى عن عمر يناهز الثامنة عشرة - كما نقله السيوطي - والخامسة والعشرين كما قال الواقدي، ولم ينته من مشكلة الذبح - عند بلوغه - حتى تزوج خلال أيام، فأرسله والده - بعد زواجه بأسبوع - في تجارة إلى المدينة ومرض بها وتوفي هناك.

فأي فرصة حصل عليها عبد الله للتأمل، إن قلنا: وجب عليه التأمل والتكليف بالإيمان بملة سيدنا إبراهيم-إن لم يثبت المعارض أنها على الملة الحنيفية وقد أثبتناها- والتي تجاوزت فترتها الألف عام.

إن العرب كانت تعيش على الإيمان إلى أن فشا فيها عبادة الأصنام قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفترة من الزمان. وبقي قوم على الملة الحنيفية ملة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وقد يقول المعارض: إن عمر الشخص خمساً وعشرين سنة هي كافية للتأمل والتفكير فوجب عليه البحث عن الإيمان؟

والجواب: قلنا: إننا أثبتنا أنهما على الملة الحنيفية الإبراهيمية، ومع ذلك فإننا نثبت لك أن القرآن قال بخلاف ما تقول، فقال سبحانه:

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر :٣٧] . قال السيوطي: (قيل: هو ستون سنة، وقيل: أربعون سنة).

وفي صحيح البخاري بَاب مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ لِقَوْلِهِ: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ يَعْنِي الشَّيْبَ(١).

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (وقد اختلف أهل التفسير فيه فالأكثر على أن المراد به الشيب، لأنه يأتي في سن الكهولة فما بعدها، وهو علامة لمفارقة سن الصبى الذي هو مظنة اللهو. وقال علي: المراد به النبي ﷺ، واختلفوا أيضاً في المراد بالتعمير في الآية على أقوال:

* **أحدها: أنه أربعون سنة**: نقله الطبري عن مسروق وغيره، وكأنه أخذه من قوله: ﴿ بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [الأحقاف :١٥].

* **والثاني: ست وأربعون سنة**: أخرجه ابن مردويه من طريق مجاهد عن ابن عباس وتلا الآية، ورواته رجال الصحيح، إلا ابن خثيم فهو صدوق وفيه ضعف.

* **والثالث: سبعون سنة**: أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ فقال: نزلت تعييرا لأبناء السبعين، وفي إسناده يحيى بن ميمون وهو ضعيف.

* **الرابع: ستون**: وتمسك قائله بحديث الباب، وورد في بعض طرقه التصريح بالمراد، فأخرجه أبو نعيم في «المستخرج» من طريق سعيد بن سليمان عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة بلفظ «العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة: أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر» وأخرجه ابن مردويه من طريق حماد بن زيد عن أبي حازم عن سهل بن سعد مثله.

* **الخامس: التردد بين الستين والسبعين**: أخرجه ابن مردويه من طريق أبي معشر عن سعيد عن أبي هريرة بلفظ: «من عمر ستين أو سبعين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر» وأخرجه أيضا من طريق معتمر بن سليمان عن معمر عن رجل من غفار يقال له محمد عن سعيد عن أبي هريرة بلفظ «من بلغ الستين والسبعين» ومحمد الغفاري هو ابن معن الذي أخرجه البخاري من طريقه اختلف عليه في لفظه، كما اختلف على سعيد المقبري في لفظه، وأصح الأقوال في ذلك ما ثبت في حديث الباب ويدخله في هذا حديث: «معترك المنايا ما بين ستين وسبعين» أخرجه أبو يعلى من طريق إبراهيم بن الفضل عن سعيد عن أبي هريرة، وإبراهيم ضعيف). انتهى.

وأخرج البخاري في صحيحه - باب مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَعْذَرَ اللهُ[1] إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَهُ سِتِّينَ سَنَةً» ورواه أحمد في مسنده.

---

(١) قال ابن حجر في الفتح: (قوله: « أعذر الله» الإعذار إزالة العذر، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول: لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به، يقال: أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه .

وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية، **ونسبة الإعذار إلى الله مجازية** والمعنى: أن الله لم يترك للعبد سبباً في الاعتذار يتمسك به. **والحاصل أنه لا يعاقب إلا بعد حجة.**

قوله: ((أخر أجله)) يعني أطاله ((حتى بلغه ستين سنة)) وفي رواية معمر : « **لقد أعذر الله إلى** عبد أحياه حتى يبلغ ستين سنة أو سبعين سنة، لقد أعذر الله إليه، لقد أعذر الله إليه ».

قال ابن بطال: إنما كانت الستون حدا لهذا ؛ لأنها قريبة من المعترك وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية فهذا إعذار بعد إعذار لطفاً من الله بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم **فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة** ، وإن كانوا فطروا على حب الدنيا، وطول الأمل، لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية.

وفي الحديث: إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل. وأصرح من ذلك ما أخرجه الترمذي بسند حسن إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رفعه : « **أعمار أمتي ما بين الستين إلى** السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك » .

قال بعض الحكماء: الأسنان أربعة: سن الطفولية، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان، وغالب ما يكون ما بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة) انتهى.

قلت – م نور عفا الله عنه : إذا كان هذا إعذار الله تعالى لابن الأربعين والستين والسبعين، وقد بلغتهم الدعوة، فكيف بإعذار الله لمن لم تبلغه الدعوة، وعاش في بيئة جاهلية، ولم يقترف حراماً، ومات دون العشرين؟!!! أليس إعذاره أكبر، أم يقصرون رحمة الله لهم فقط!!.

فإذا كان هذا العذر لمن جاء بعد البعثة النبوية المحمدية فما بالك كيف يكون العذر قبل البعثة النبوية، من أهل الفترة، الذين لم يأتهم رسول أكثر من ألف سنة؟!

ولعل معارضاً آخر يقول: إن ذلك العذر هو للعاصي وليس للكافر، حيث يجب على الإنسان الإيمان متى بلغ سن التكليف، ومتى سمع ببعثة رسول؟

والجواب: هذا صحيح بعد بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأما قبل البعثة فقد أعذر الله تعالى أهل الكتاب، عند تباعد فترة الرسل، فكيف بالعرب الذين لم يأت إليهم رسول بعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فقال سبحانه:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾

[المائدة]

قال السيوطي في رسالته - التعظيم والمنة- بعد إيراده الآية:

(فإذا كان الله أعذر أهل الكتاب بأن يبعث رسولاً إليهم بعد الفترة، بيّن لهم ما بدله أهل الكتاب عالمين بشريعة موسى عليه السلام في الجملة، غير أنهم تمسكوا بما لحقه التبديل لكونهم قلدوا فيه أسلافهم، ولم يكونوا أهلاً لتمييز الحق من الباطل، فما ظنك بالعرب الأميين الذين ليسوا أهل كتاب، ولا يدرون ما الكتاب) انتهى.

ونطرح سؤالاً الآن للمعارض: ما حكم من لم تبلغه الدعوة الإسلامية بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة؟ فهل هو مطالب بالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر؟ نرجو تبيان مذهب المعارض؟

إن الإمام أبا حنيفة رحمه الله أوجب -بالأدلة- فرضية الإيمان بالله تعالى على كل الناس، سواء من بلغته الدعوة، أو من لم تبلغه الدعوة، وذلك لكثرة الأدلة على وجوب الإيمان بالله تعالى، ووجود الفترة، ومع ذلك يقول عن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (**ووالدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما ماتا على الكفر**).

وأما غيره من الأئمة فإنهم لا يوجبون الإيمان بالله تعالى على من لم تبلغه الدعوة للآيات السابقة ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء].

والفريق الثالث يقول : بالامتحان، فإن حصل الامتحان للوالدين الشريفين، فهل سيترك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بره لوالديه يوم القيامة ولا يشفع لهم؟ معاذ الله، وهو الرؤوف الرحيم.

ومن أغرب ما قرأت من آراء المعارضين قول أحد المعاصرين: بأنهم يمتحنون يوم القيامة، فيدخلون النار كما أخبر المعصوم.

ليت شعري أي اجتهاد هذا؟! بل أي تفكير هذا؟! بل أي عقل يفكر به؟! ولماذا هذا الإصرار والعناد والعياذ بالله تعالى؟!!

وإن المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم يتكلم بلسان عربي مبين، يحتاج لمن يفقهه فيبحث عن لغته أولاً، ثم يفهم أقوال الفقهاء والمفسرين والمحدثين فيمن سبقه ثانياً، حتى قال أحد الأئمة: بأن على المرء ألا يجتهد في مسألة حتى ينظر في أقوال من سبقه[1]، وهذا ما فعلته في هذا البحث.

أما أن يضرب المعارض بآراء من سبقه، ويَسْخَر بمن يعمل عقله في الحديث الشريف، ولا ينظر بتأمل للآيات والأحاديث المعارضة لفهمه، ويكتفي بظاهر ما فهمه هو من الحديث، ويصر على إدخال والدي النبي ﷺ النار حتى بعد الامتحان فهذا أمر عجيب جداً، لم نقرأه في كتاب ولا يقبله العقل، ولا ترضاه نفس المؤمن المحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويعارض رحمة الله الواسعة التي وسعت السماوات والأرض.

إن تعلم فقه الحديث الشريف مهم جداً، كما فعل الإمام الطحاوي في كتابه القيم: (تأويل مشكل الحديث) وكتابه النفيس (شرح معاني الآثار)، وكما فعل الحافظ ابن حجر

(١) كما ذكره ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين).

في كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري) بإيراد جميع الروايات ودراستها، وكما أخبر المعصوم ﷺ لأهمية فهم وفقه حديثه وقوله[1].

وهذا الفهم الذي قاله المعارض (يمتحنون فيدخلون النار) مخالف لأحاديث الشفاعة وآية ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [الضحى] ومخالف لفهم ابن عباس للآية كما سيأتي.

واسمع كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن أورد حديث الامتحان: **(ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته في جملة من يدخلها طائعاً فينجو)**[2] انتهى.

وإذا علمنا أن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي لأهل النار، فإننا نقول أيضاً: إن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيشفع لهما الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ويخرجهما من النار- حتى إن دخلاها متابعة لرأي المعارض- بإذن الله تعالى.

وإذا علمنا أنه لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فكيف وقد ظهرت حنيفية والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجده كذلك.

(١) أخرج الترمذي عن زيد بن ثابت أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ» قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ. ورواه أبو داود وأحمد وابن ماجه والدارمي.

وأخرج البخاري في صحيحه عن حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ خَطِيبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» ورواه مسلم والترمذي وأبو داود وأحمد وابن ماجه ومالك والدارمي.

فلا بد من التفقه والتعلم وإعمال العقل في النصوص الشرعية.

(٢) في كتابه (الإصابة في تمييز الصحابة) في ترجمة أبي طالب في القسم الرابع من حرف الطاء من الكنى عن (سبل الهدى والرشاد) للصالحي ١/ ٢٥٣.

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَا أَوْ الحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ، - فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً » وأخرجه مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وأحمد والدارمي.

ولماذا المعارض ييأس من رحمة الله، ويُدخل اليأس في قلوب المسلمين، وقد قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

[يوسف]

﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر].

أهكذا تكون الدعوة لدين الله تعالى!

فعلى كل الأقوال يكون والدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناجيين من النار إن شاء الله، وبإذن الله تعالى، فلماذا يصر المعارض على عكس ذلك؟ وما هي مصلحته؟ وهل يرضى أن يقال ذلك في والديه؟!!!

فإذا كانت الحدود الشرعية في الدنيا تدرأ بالشبهات، فما أوردنا من أدلة تثير على أقل تقدير شبهة واحدة في الحكم، فليسكت المعارض وليرح نفسه من المساءلة يوم القيامة، ويبتعد عن إيذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعرض نفسه للتهلكة.

- أم أن المعارض يريد إنشاء رأي جديد مفاده: يجب الإيمان على والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يجب على غيرهما؟! وهذا أعجب العجاب!

- أم يريد المعارض القول: إن عليهما الإيمان بالملة الحنيفية ، ولا يثبتها لهما؟مع أن القرآن أخبر أن العرب كانوا يؤمنون بالله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم

مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

[العنكبوت]

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [العنكبوت].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [لقمان].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر].

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف].

بل يضيف القرآن بأنهم كانوا يؤمنون ببعض صفات الله تعالى العزيز العليم:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

[الزخرف]

وكان العرب يحجون، ويسقون الحجاج، إلا أنهم أشركوا مع الله تعالى الأصنام، جهلاً منهم، لذلك لم يدافعوا عنها بعد البعثة النبوية، فجاءت البعثة المحمدية لتصحح لهم اعتقادهم:

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر].

وقلة قليلة كانوا من الدهريين كما أخبر الله تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية].

ولينقلهم من وجوه الشرك وأنواعه إلى التوحيد الخالص:

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المائدة].

وأثبت القرآن جهلهم، وأنهم أشركوا بغير علم:

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [يونس].

فالعرب بوجه عام مؤمنون بالله تعالى الخالق العزيز العليم، فمن مات منهم قبل البعثة المحمدية فهو من أهل الفترة، ومن ثبت عدم إيمانه بالله تعالى أو اليوم الآخر كما جاء في الأحاديث الصحيحة فهو من أهل النار، على من يذهب إلى ذلك من العلماء.

ووالدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانا مؤمنين بالله تعالى ولله الحمد، على ملة سيدنا إبراهيم كما أثبتنا ذلك، والتي نزل القرآن باتباعها:

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

[النحل]

- أم يوجب المعارض عليهما الإيمان بالرسالة المحمدية ولم يدركاها؟!!! ولا يقبل بالحديث الضعيف في إحيائهما وإيمانهما بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

- وهل لدى المعارض دليل واحد على سجود والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لصنم؟! أو استغاثتهما بصنم؟! أو دليل على شركهما؟!

- وهل لدى المعارض غير حديث: «إن أبي وأباك في النار»، وحديث: «استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي» المتنازع على فهمها؟! في حين أننا أوردنا عشرات الآيات والأحاديث، وعشرات النقول عن الأئمة المعتبرين فيما ترجح من فهم!!!

رابعاً: مخالفة رواية حماد لحديث أخف وأهون عذاب أهل النار أبو طالب:

إذا كانت قرابة أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودفاعه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قد نفعته فخفف الله عنه العذاب يوم القيامة، وقد بلغته الدعوة، فمن باب أولى أن ينتفع والدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشفاعة ولدهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهما لم تبلغهما الدعوة؟!:

أخرج البخاري عن العَبَّاس بْن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟! قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ[1] مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ» ورواه البخاري بأربعة طرق ومسلم بثلاثة طرق، وأحمد بستة طرق، فيكون المجموع أربعة عشر طريقاً.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (.. قوله: «هو في ضحضاح» بمعجمتين ومهملتين هو استعارة، فإن الضحضاح من الماء ما يبلغ الكعب، ويقال أيضاً: لما قد قرب من الماء وهو ضد الغمرة، والمعنى أنه خفف عنه العذاب. وقد ذكر في حديث أبي سعيد ثالث أحاديث الباب أنه «يجعل في ضحضاح يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه».

ووقع في حديث ابن عباس عند مسلم: «إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب له نعلان يغلي منهما دماغه» ... انتهى.

وفي رواية للبخاري عَنْ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟

قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

فانظر إلى كلمات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((ولولا أنا... نعم)) وأنه قد نفع أبا طالب وقد بلغته الدعوة، فكيف سيكون نفعه لوالديه ولم تبلغهما الدعوة؟ لا بد أن يكون نفعه لهما أكثر. والله أعلم.

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُجْعَلَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ[1]».

وإذا كان أبو طالب أهون الناس عذاباً وقد بلغته الدعوة، فمن باب الإشارة أن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ناجيان من النار؛ لأنه لو كانا في النار لكانا أهون وأخف عذاباً من أبي طالب ؛ لأنهما لم تبلغهما الدعوة:

أخرج البخاري عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ وَالقُمْقُمُ» . ورواه مسلم والترمذي وأحمد.

---

(١) وفي أضواء البيان – الشنقيطي ج١/ ص٣٦:

(تنبيه: هذا الذي قررناه من أن الشفاعة للكفار مستحيلة شرعاً مطلقاً، يستثنى منها شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في نقله من محل من النار إلى محل آخر منها، كما ثبت عنه ﷺ في الصحيح ، فهذه الصورة التي ذكرنا من تخصيص الكتاب بالسنة). انتهى.

وفي رواية مسلم -باب شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لأَبِي طَالِبٍ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُ بِسَبَبِهِ- التصريح بأنه أبو طالب: أخرج مسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ» ورواه أحمد بنفس اللفظ[1].

وحيث لم يذكرا أنهما أهون أهل النار، فدل على أنهما من أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

خامساً: مخالفة رواية حماد لما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يفعله من مخاطبة الناس على قدر عقولهم:

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سأله أعرابي وخاف فتنته من إفصاح الجواب له، واضطراب قلبه، أجابه بجواب فيه تورية وإبهام: كالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه – باب الفتن وأشراط الساعة- عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ وَعِنْدَهُ غُلامٌ مِنْ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنْ يَعِشْ هَذَا الغُلامُ فَعَسَى أَنْ لا يُدْرِكَهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)) ورواه أحمد.

قال السيوطي رحمه الله: (قال العلماء: كان الأعراب يسألونه كثيراً عن الساعة، فخشي من قوله: لا أعلمها، فتنتهم وشكهم فأجابهم بجواب فيه تورية، ومراده: إن بلغ

---

(١) حيث صحت الشفاعة لأبي طالب فدل ذلك على إيمانه وعدم كفره، لأن الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين، وحيث يُعذب في الطبقة العليا من النار وهي طبقة عصاة المؤمنين فدل على خروجه من النار مثل عصاة المؤمنين، وحيث لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فدل ذلك على خروج أبي طالب من النار؛ لأنه كان مؤمناً بنبوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وحيث ورد بحديث ضعيف تلفظ أبي طالب للشهادتين كما أخبر العباس النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدل على إيمانه؛ لأن ثبوت الكفر بحاجة إلى دليل مائة بالمائة، وثبوت الإيمان يقبل بوجود الاحتمال، والحديث الضعيف يدل على الاحتمال، فيثبت به إيمان إنسان، والله أعلم، انظر بالتفصيل ومناقشة الموضوع كتاب (سداد الدين) للإمام العلامة البرزنجي الحسيني رحمه الله، وكتاب (أسنى المطالب في نجاة أبي طالب) للعلامة أحمد زيني دحلان الحسني رحمه الله ،والله أعلم.

هذا الغلام أقصى العمر لم يمت حتى تقوم على الحاضرين ساعتهم بأن يموتوا، وقيام ساعة كل واحد موته).

ثم عقب السيوطي بقوله:

(إذا عرف ذلك فالذي عندي في هذا الحديث: «**إن أبي وأباك في النار**» ليس رواية باللفظ بل رواها الراوي بالمعنى فوهم ذلك، وإنما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلام موريّ ففهم منه السامع فقاله).

ثم قال السيوطي رحمه الله:

(وقد وقع في الصحيحين أحاديث كثيرة من هذا النمط، وهم فيها الرواة في بعض الألفاظ فبينها النقاد، منها:

- حديث مسلم في نفي قراءة البسملة وقد أعله الشافعي بذلك، وقال:

إن الثابت من طريق آخر نفي سماعها، ففهم منه الراوي نفي قراءتها، فرواه بالمعنى على ما فهمه نافياً في أشياء أخر في كتب الحديث.

فبان بهذا تعليل الحديث من هذه الجهة، ولا يكون ذلك قدحاً في صحة الحديث من أصله، بل في هذا اللفظ فقط) انتهى كلام السيوطي من رسالة (التعظيم والمنة ص٤١.

وقال شارح الفقه الأكبر القاضي محيى الدين الشهير ببهاء الدين زاده الحنفي (ت:٩٥٢هـ) في شرحه للحديث: «إن أبي وأباك في النار»[1] قالها للأعرابي: (تطييباً لقلبه وإزالة لغضبه، **فإن قيل**: والنبي صادق على كل حال، فكون أبيه في النار قول صدق ولو كان قاله تطييباً لقلب رجل.

(١) في كتابه (القول الفصل شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان) تحقيق د رفيق العجم ط١. دار المنتخب العربي ببيروت.

قلت: يحتمل أن يكون تعريضاً، ويكون مراده ﷺ من النار في الحديث نار التحسّر مثلاً بطريق الاستعارة، فلا يلزم الكذب للنبي ولا الكفر لأبيه، ولو سلم فدخول النار لا يستلزم الكفر.

فإن قيل : عدم إيمانه في صحته وقبل احتضاره مقطوع به، وحين الاحتضار يستلزم عدم دخول النار بحكم أن الإسلام يهدم ما قبله، لا نسلم القطع بعدم إيمانه قبل حال الاحتضار، بل يجوز أن يشرح الله صدره للإسلام في صحته أو مرضه قبل أوان احتضاره بشرف نور النبوة كما شرح صدر جده عبد المطلب إلى القول بدار المعاد -كما بينا- ويكون معذوراً في الإخلال بالإعلان لكونه بين المشركين، لكن يكون مستحقاً للعذاب لموافقته للمشركين في بعض أفعالهم المعتادة لهم.

ولو سلم فيجوز دخول النار على تقدير الإيمان حين الاحتضار بما لا يهدمه الإيمان مثل حقوق العباد) انتهى .

سادساً: مخالفة رواية حماد لحديث الشفاعة الكبرى:

إذا كان الشهيد من الأمة المحمدية يشفع في سبعين من أهله، فلماذا يحرم الخصم المعارض والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شفاعة ولدهما النبي المبعوث رحمة للعالمين السابقين واللاحقين؟

أخرج الترمذي عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

«لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ؛ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنْ الْحُورِ الْعِينِ، **وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ**» قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، ورواه ابن ماجه وأحمد.

وأخرج أبو داود عن نِمْرَانَ بْنِ عُتْبَةَ الذِّمَارِيُّ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ أَيْتَامٌ، فَقَالَتْ: أَبْشِرُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ**» .

بل إن الرجل المؤمن ليشفع للقريب والبعيد، فعلام القنوط من رحمة الله تعالى؟!

أخرج أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أُمَّتِي لَيَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنْ النَّاسِ** فَيَدْخُلونَ الجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ **لَيَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ** مِنْ النَّاسِ فَيَدْخُلونَ الجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ **لَيَشْفَعُ لِلرَّجُلِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ** فَيَدْخُلونَ الجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ» وأخرجه الترمذي.

وأخرج البخاري عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُول: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثاً كل أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولونَ: يَا فُلانُ اشْفَعْ، يَا فُلانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ».

وأخرج البخاري عن عِمْرَان بن حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلونَ الجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ».

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم سيشفع في أهله وأمته، وفي مقدمتهم والداه، وهذا على حسب استنباط الخصم أنهما في النار، لأن الحديث قال: ((في النار)) ولم يقل خالدين في النار -إن سلمنا للخصم فهمه- فسوف يشفع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لهما ويخرجهما من النار إن شاء الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ ﴾ [الضحى]:

(قال السدي عن ابن عباس: من رضاء محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة، وهكذا قال أبو جعفر الباقر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة – وأسنده- عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝ ﴾ [الضحى]» (1).

(1) انظر تفسير ابن كثير للآية.

فدل دخول والديه في شفاعته لأهل بيته إن شاء الله تعالى والله أعلم.

سابعاً: مخالفة رواية حماد لانتساب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبيه وجده مفتخراً بهما:

في موقف شَعَرَ فيه العباس رضي الله عنه أن البعض ينال من قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينبه ويحذر ويغضب لأهل قرابته:

أخرج أحمد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «تَزْعُمُونَ أَنَّ قَرَابَتِي لا تَنْفَعُ قَوْمِي، وَالله **إِنَّ رَحِمِي مَوْصُولَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**، إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يُرْفَعُ لِي قَوْمٌ يُؤْمَرُ بِهِمْ ذَاتَ اليَسَارِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ: يَا مُحَمَّدُ أَنَا فُلانُ بْنُ فُلانٍ، وَيَقُولُ الآخَرُ: أَنَا فُلانُ بْنُ فُلانٍ، فَأَقُولُ أَمَّا النَّسَبُ قَدْ عَرَفْتُ، وَلَكِنَّكُمْ أَحْدَثْتُمْ بَعْدِي، وَارْتَدَدْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ القَهْقَرَى» وانفرد به.

وأخرج الترمذي أَنَّ العَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ مُغْضَباً، فَقَالَ: «مَا أَغْضَبَكَ؟».

قَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا لَنَا وَلِقُرَيْشٍ، إِذَا تَلاقَوْا بَيْنَهُمْ تَلاقَوْا بِوُجُوهٍ مُبْشَرَةٍ، وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لله وَلِرَسُولِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**» قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه أحمد.

جاء في تحفة الأحوذي شرح الترمذي: «من آذى عمي» أي: خصوصاً «فقد آذاني» أي: فكأنه آذاني، «فإنما عم الرجل صنو أبيه»، بكسر الصاد وسكون النون، أي: **مثله**، وأصله أن يطلع نخلتان أو ثلاث من أصل عرق واحد فكل واحدة منهن صنوٌ، يعني ما عم الرجل وأبوه إلا كصنوين من أصل واحد فهو **مثل أبي أو مثلي**) انتهى.

وذلك **تأكيد آخر من النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **أن العم مثل الأب**.

يقول ابن حجر الهيتمي في كتابه المنح المكية في شرح همزية البوصيري ١/ ١٥١:

ولا يَردُ على الناظم – أي: البوصيري [1]– آزر فإنه كافر مع أن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز أنه أبو إبراهيم عليه السلام ،وذلك أن أهل الكتابين أجمعوا على أنه لم يكن أباه حقيقة، إنما كان عمه، والعرب تسمي العم أباً، بل في القرآن ذلك قال الله تعالى:﴿ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ ﴾ [البقرة] مع أنه عم يعقوب، بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا جمعاً بين الأحاديث، وأما من أخذ بظاهره كالبيضاوي وغيره، فقد تساهل واستروح) انتهى كلام الهيتمي.

وفي غزوة حنين عندما هرب بعض المسلمين من القتال، أعلن النبي ﷺ أمام الجميع، بلا خوف ولا وجل، ومتحدياً جميع أبطال المشركين أن يقترب أحد منهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً :

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

منبهاً المشركين بأن الله تعالى الذي نصر جده عبد المطلب على أبرهة بدون قتال، سينصره على المشركين حتى لو هرب الجميع من القتال، وكما كان جده صادقاً في دعائه لله تعالى بأن يحمي بيته، ويرد كيد أبرهة، فإن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم صادق غير كاذب في دعوى النبوة والرسالة.

واختيار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لذكر جده عبد المطلب ؛ لأن حادثة الفيل – وهي تشبه حنيناً من ناحية القتال– ما زالت تذكرها العرب وهي قريبة العهد منهم ، فتذكيره صلى الله عليه وآله وسلم لهم بها للاعتبار والاتعاظ، ولتعريف الجميع بمكانة جده عبد المطلب منه صلى الله عليه وآله وسلم والله أعلم.

---

(١) حيث قال البوصيري في همزيته في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في البيت السادس والتي بلغت ٤٥٦ بيتاً:

لم تزل في ضمائر الكون تُختا   رلكَ الأمهاتُ والآباءُ

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: أَكُنْتُمْ فَرَرْتُمْ يَا أَبَا عُمَارَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟

قَالَ: لا وَاللهِ، مَا وَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ وَأَخِفَّاؤُهُمْ حُسَّرًا لَيْسَ بِسِلاحٍ، فَأَتَوْا قَوْمًا رُمَاةً جَمْعَ هَوَازِنَ وَبَنِي نَصْرٍ، مَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا، مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ، فَأَقْبَلوا هُنَالِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ ثُمَّ قَالَ:

« أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ   أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ »

ثُمَّ صَفَّ أَصْحَابَهُ . ورواه مسلم وأحمد.

وأورد البخاري في صحيحه بَاب مَنْ انْتَسَبَ إِلَى آبَائِهِ فِي الإِسْلامِ وَالْجَاهِلِيَّةِ .وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ ابْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إبراهيم خَليل الله».

وَقَالَ الْبَرَاءُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ : «أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح:

(قوله: (باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية) أي: جواز ذلك خلافاً لمن كرهه مطلقاً فإن محل الكراهة ما إذا أورده على طريق المفاخرة والمشاجرة، **وقد روى أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن من حديث أبي ريحانة رفعه : « من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً أو كرامة فهو عاشرهم في النار»** .

قوله: (وقال ابن عمر وأبو هريرة عن النبي ﷺ : « إن الكريم ابن الكريم ...» إلخ تقدم حديث كل منهما موصولاً في أحاديث الأنبياء، ووجه دلالته للترجمة أنه لما وقع من النبي ﷺ نسبة يوسف عليه السلام إلى آبائه كان دليلاً على جواز ذلك لغيره في غيره، ويكون ذلك مطابقاً لركن الترجمة الأول .

قوله: (وقال البراء عن النبي ﷺ: ((أنا ابن عبد المطلب)) هو طرف من حديث تقدم موصولاً في الجهاد، وهو في قصة غزوة حنين، ووجه الدلالة منه أنه ﷺ انتسب إلى جده عبد المطلب فيكون مطابقاً لركن الترجمة الثاني) انتهى كلام ابن حجر.

فدل الحديث أنه لا يجوز الانتساب للأب الكافر؛ لأنه سيكون عاشرهم في النار، وتخصيص ابن حجر الانتساب مفاخرة ومشاجرة تخصيص بلا مخصص فالحديث لم يخصص ذلك والله أعلم.

ويتجلى أهمية جده صلى الله عليه وآله وسلم عبد المطلب أن الأعراب كانت تنسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جده لما له من منزلة دينية عندهم:

أخرج البخاري في صحيحه عن أَنَس بْن مَالِكٍ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ فِي المَسْجِدِ دَخَل رَجُلٌ عَلى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَال لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ.

فَقُلنَا: هَذَا الرَّجُل الأَبْيَضُ المُتَكِئُ.

فَقَال لهُ الرَّجُل: يَا بْنَ عَبْدِ المُطَّلبِ!

فَقَال لهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((قَدْ أَجَبْتُكَ)).

فَقَال الرَّجُل للنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي سَائِلكَ فَمُشَدِّدٌ عَليْكَ فِي المَسْأَلةِ فَلا تَجِدْ عَليَّ فِي نَفْسِكَ.

فَقَال: ((سَل عَمَّا بَدَا لكَ)) .... الحديث. ورواه النسائي وابن ماجه وأحمد.

وفي حديث آخر ينتسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه وجده للتعريف بخيريهما:

وأخرج الترمذي عَنْ المُطَّلبِ بْنِ أَبِي وَدَاعَةَ قَال جَاء العَبَّاسُ إِلى رَسُول اللهِ ﷺ فَكَأَنَّهُ سَمِعَ شَيْئًا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلى المِنْبَرِ فَقَال: «مَنْ أَنَا؟» فَقَالوا: أَنْتَ رَسُول اللهِ عَليْكَ السَّلامُ.

قَال: «**أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلبِ، إِنَّ اللهَ خَلقَ الخَلقَ فَجَعَلنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلنِي فِي خَيْرِهِمْ فِرْقَةً، ثُمَّ جَعَلهُمْ قَبَائِل فَجَعَلنِي فِي خَيْرِهِمْ قَبِيلةً، ثُمَّ جَعَلهُمْ بُيُوتاً فَجَعَلنِي فِي خَيْرِهِمْ بَيْتاً وَخَيْرِهِمْ نَسَبًا**» قَال أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وفي رواية للترمذي: عَنْ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلبِ قَال: قُلتُ: يَا رَسُول اللهِ إِنَّ قُرَيْشاً جلسُوا فَتَذَاكَرُوا أَحْسَابَهُمْ بَيْنَهُمْ فَجَعَلوا مَثَلكَ مَثَل نَخْلةٍ فِي كَبْوَةٍ مِنْ الأَرْضِ؟! فَقَال النَّبِيُّ ﷺ:

«إِنَّ اللهَ خَلقَ الخَلقَ فَجَعَلنِي مِنْ خَيْرِهِمْ مِنْ خَيْرِ فِرَقِهِمْ وَخَيْرِ الفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ القَبَائِل فَجَعَلنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلةٍ، ثُمَّ تَخَيَّرَ البُيُوتَ فَجَعَلنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا» قَال أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ[1].

وخيرية البيت إن لم تشمل الأب والجد فمن تشمل إذاً ؟!!

وجاء في (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)- وهو أوسع كتاب في السيرة النبوية ، للعلامة محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي رحمه الله تعالى : وروى عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر في التفسير بسند صحيح على شرط الشيخين عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : (لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً، فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها).

(١) وفي تحفة الأحوذي في شرح الترمذي: (وفي رواية أحمد: « إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فرقتين، فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة» . ونحو ذلك في الرواية الآتية.

«ثم خير البيوت » أي: البطون « فجعلني من خير بيوتهم » أي: من بطن بني هاشم « فأنا خيرهم نفساً » أي: روحاً ؛ وذاتاً ؛ إذ جعلني نبياً رسولاً خاتماً للرسل «وخيرهم بيتاً » أي : أصلاً إذ جئت من طيب إلى طيب إلى صلب عبد الله بنكاح لا سفاح) انتهى والافتخار بالنكاح فقط ليس مزية إن لم يشاركها الافتخار بالإيمان والأفضلية في كل شيء ؛ لأن كثيراً من العرب جاءت من نكاح لا من سفاح، حيث كانت العرب أمة الافتخار بالأنساب. والله أعلم.

وروى الإمام أحمد في الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح على شرطهما، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله تعالى بهم عن أهل الأرض).

ثم قال الصالحي: إن كان كل جد من أجداده صلى الله عليه وآله وسلم من جملة السبعة المذكورين في زمانه فهو المدعى، وإن كان غيرهم لزم أحد أمرين:

- إما أن يكون غيرهم خيراً منهم، وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح.

- وإما أن يكونوا خيراً منه وهم على الشرك، وهو باطل بالإجماع ، وفي التنزيل : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ [البقرة:٢٢١] فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الأرض كل في زمانه .

وجاء في السيرة الحلبية ١/ ٤٦ تأليف علي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥-١٠٤٤هـ) بعد إيراد أحاديث الخيرية:

(وفيه أنه ورد النهى في الأحاديث الكثيرة عن الانتساب إلى الآباء في الجاهلية على سبيل الافتخار من ذلك:

«لا تفتخروا بآبائكم الذين ماتوا في الجاهلية فوالذي نفسي بيده ما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية » أي : والذي يدحرجه الجعل وهو النتن .

وجاء في الحديث: « ليدعن الناس فخرهم في الجاهلية أو ليكونن أبغض إلى الله تعالى من الخنافس » وجاء (آفة الحسب الفخر) أي: عاهة الشرف بالآباء التعاظم بذلك.

وأجاب الإمام الحليمي بأنه ﷺ لم يرد بذلك الفخر إنما أراد تعريف منازل أولئك ومراتبهم، أي: ومن ثم جاء في بعض الروايات قوله: «ولا فخر» أي: فهو من التعريف بما يجب اعتقاده وإن لزم منه الفخر وهو إشارة إلى نعمة الله تعالى عليه فهو من التحدث بالنعمة وإن لزم من ذلك الفخر أيضاً) انتهى.

والخيرية تشمل كل شيء فليست هي محددة بالنكاح فحسب، فأغلب الناس يعرفون ذلك، وإنما التنبيه إلى الخيرية الجامعة والشاملة لكل المعاني التي تدل على التميز والتفوق، ولو كان المعنى المراد بالنكاح لا بالسفاح فقط، لما أكد بقوله «**فأنا خيرهم نفساً وبيتاً**»، وخيرية النفس تشمل خيرية أنفس آبائه، وخيرية البيت تشمل الوالدين أيضاً ؛لأنهما أساس البيت، ومن المعلوم أنه صلى الله عليه وآله وسلم أوتي جوامع الكلم، فيقول الكلمة ولها كثير من المعاني[1] .

فدل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (**فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا**) بكل معاني الخيرية التي تشمل الآباء والأجداد في كل شيء، ولو كان غير ما قلناه لعيرت قريش النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أي نقيصة في آبائه وأجداده، ولَمَّا لم تستطع قريش أن تفعل ذلك أكد المعنى الذي قلناه من خيرية الآباء والأجداد في كل شيء على الأقوام الآخرين، والتي منها الإيمان. والله أعلم.

فمع دعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي ثبت بالآيات القرآنية، وأحاديث الاصطفاء التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن اصطفاء آبائه، والتفرقة بين معنى الأب والوالد، يتكون من مجموع ذلك: أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم المعنيون من دعاء سيدنا إبراهيم: بألا يعبدوا الأصنام، وأن يقيموا الصلاة، وأن غيرهم قد يخرج عن ذلك. والله أعلم.

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ) ورواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: (قوله ﷺ : ((أعطيت جوامع الكلم))، وفي الرواية الأخرى: ((بعثت بجوامع الكلم)). قال الهروي: يعني به القرآن؛ جمع الله تعالى في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه ﷺ كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني) انتهى.

المبحث الثالث

مخالفة رواية حماد للمشهور من سيرة والد وجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من كونهما من ملة سيدنا إبراهيم

أولاً : مخالفة رواية حماد للملة الحنيفية التى كان عليها والد وجد الرسول صلى الله وآله وسلم:

إن عبد المطلب مات على الملة الحنيفية، والولد يتبع أباه في تلك الأزمنة ما لم يثبت خلاف ذلك، ودليل الحنيفية لهما ما يلي:

ودليل حنيفية عبد المطلب رحمه الله:

١- حادثة الفيل وما قال فيها تدل على إيمانه بالله تعالى .

٢- وحفره ماء زمزم.

٣- ونذره لله تعالى وليس للأصنام.

٤- إيمان عبد المطلب بالرسالة والشرف.

٥- وإكرامه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم واعتقاده به بقوله: إن لابني هذا لشأناً - كما رواه ابن سعد في طبقاته ١ / ١٠٣ ورواه أبو نعيم في - دلائل النبوة ١ / ١٧٣ .

٦-وتسميته للرسول محمداً لكي يحمده أهل الأرض وأهل السماء مع عمل العقيقة يوم سابعه .

٧- ودخوله بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ولادته إلى الكعبة (فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه).

٨- واعتقاده باليوم الآخر.

٩- وانتساب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآله وسلم إليه في غزوة حنين مع نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن الانتساب والافتخار بالآباء الجاهليين.

كل أمر منفرد مما ذكرنا تدل على حنيفية عبد المطلب، وعدم شركه بالله تعالى، فكيف وهي مجتمعة كلها-(انظر الملل والنحل للشهرستاني)-!!

وإليك بعض بيان ذلك بالتفصيل :

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابيه (الأحكام) و(الإصابة):

(ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب الجنة ، في جملة من يدخلها طائعاً فينجو)، ثم عقب الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ١ / ٣٥٢ بقوله : لأنه ورد ما يدل على أنه كان على الحنيفية والتوحيد ، حيث تبرأ من الصليب وعابديه، ثم ذكر أبياته - الآتية- في حادثة الفيل :

١ - حادثة الفيل، وقوله لأبرهة كلمته المشهورة : إن للبيت رباً يحميه:

وهي كلمة الواثق بحماية الله تعالى لبيته الحرام ، من اعتداء الفيل على البيت ، مع جيش أبرهة ، ودقه لباب الكعبة وهو يتضرع إلى الله تعالى ، وليس إلى الأصنام .

روى عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٣١٣ عن معمر عن الزهري قال: إن أول ما ذكر من عبد المطلب جد الرسول ﷺ أن قريشاً خرجت من الحرم فارة من أصحاب الفيل وهو غلام شاب فقال: والله لا أخرج من حرم الله أبتغي العز في غيره فجلس عن البيت وأجلت عنه قريش فقال:

اللهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوًا محالك

فلم يزل ثابتاً حتى أهلك الله تبارك وتعالى الفيل وأصحابه.

فرجعت قريش وقد عظم فيهم بصبره وتعظيمه محارم الله).

٢- تخصيص الله تعالى عبد المطلب بحفر ماء زمزم لتزداد مكانته الدينية عند العرب:

ثم يتابع عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قوله:

(فبينا هو على ذلك ولد له أكبر بنيه فأدرك وهو الحارث بن عبد المطلب فأتي عبد المطلب في المنام فقيل له: احفر زمزم ، خبيئة الشيخ الأعظم.

قال : فاستيقظ فقال : اللهم بين لي.

فأري في المنام مرة أخرى : احفر زمزم تكتم بين الفرث والدم ، في مبحث الغراب ، في قرية النمل ، مستقبلة الأنصاب الحمر .

قال: فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينظر ما خبئ له من الآيات فنحرت بقرة بالحزورة ، فأفلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى غلبها الموت في المسجد في موضع زمزم ، فجزرت تلك البقرة في مكانها حتى احتمل لحمها ، فأقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث فبحث في قرية النمل.

فقام عبد المطلب يحفر هنالك فجاءته قريش فقالوا لعبد المطلب: ما هذا الصنيع لم نكن نزنك بالجهل لمَ تحفر في مسجدنا؟!

فقال عبد المطلب: إني لحافر هذه البئر ومجاهد من صدني عنها فطفق يحفر هو وابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره فيسعى عليهما ناس من قريش فينازعونهما ويقاتلونهما ، وينهى عنه الناس من قريش لما يعلمون من عتق نسبه وصدقه واجتهاده في دينه يومئذ حتى إذا أمكن الحفر واشتد عليه الأذى **نذر إن وفّى له بعشرة من الولدان ينحر أحدهم** ثم حفر حتى أدرك سيوفا دفنت في زمزم فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف فقالوا لعبد المطلب : أخْذنا مما وجدت.

فقال عبد المطلب : **بل هذه السيوف لبيت الله**[١] .

ثم حفر حتى أنبط الماء فحفرها في القرار ثم بحرها حتى لا تنزف، ثم بنى عليها حوضاً، وطفق هو وابنه ينزعان ، فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج فيكسره ناس من حسدة قريش بالليل ويصلحه عبد المطلب حين يصبح.

فلما أكثروا إفساده **دعا عبد المطلب ربه**[٢] فأرى في المنام فقيل له قل: اللهم إني لا أحلها لمغتسل ولكن هي لشارب حِلّ وبلّ ثم كفيتهم.

فقام عبد المطلب حين أجفلت قريش بالمسجد فنادى بالذي أُري، ثم انصرف فلم يكن يفسد عليه حوضه أحد من قريش **إلا رمى بداء في جسده** حتى تركوا له حوضه ذلك وسقايته..) .

٣- زواج عبد المطلب ونذره لله تعالى وتحقيق الله تعالى أمنيته بعشرة من الولد، وفدائه لعبد الله بمائة من الإبل، التي أصبحت فيما بعد تشريعاً في الإسلام:

ثم يتابع عبد الرزاق عن معمر عن الزهري حديثه بقوله :

(ثم تزوج عبد المطلب النساء فولد له عشرة رهط، فقال: **اللهم**[٣] **إني كنت نذرت لك نحر أحدهم، وإني أقرع بينهم ، فأصب بذلك من شئت!!!** فأقرع بينهم، فصارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب ، وكان أحب ولده إليه.

فقال : **اللهم هو أحب إليك أو مائة من الإبل** .

قال: ثم أقرع بينه وبين مائة من الإبل، فصارت القرعة على مائة من الإبل، فنحرها عبد المطلب مكان عبد الله..) انتهى .

---

(١) انظر تعظيم عبد المطلب لبيت الله تعالى ونزاهة أمانته.

(٢) انظر دعا ربه ولم يدع الأصنام، ثم انظر تأييد الله تعالى.

(٣) انظر لدعائه لله تعالى وليس للأصنام فهو على الملة الحنيفية.

وفي رواية الشهرستاني قال: مما يدل على إثباته المعاد والمبدأ أنه كان يضرب بالقداح على ابنه ويقول :

يا رب أنتَ الملكُ المحمود   وأنتَ ربي الملك المعيد

من عند الطارف والتليد

٤ – إيمان عبد المطلب بالرسالة والشرف :

ثم قال الزرقاني في شرح المواهب ١/ ٢٥٢: ومما يدل على معرفته بحال الرسالة والشرف، أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب أمر – عبدُ المطلب- أبا طالب أن يحضر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير، فاستسقى به) انتهى.

وقد أورد البخاري وأحمد وابن ماجه البيت الذي كان أبو طالب يتغنى به:

أخرج البخاري في صحيحه -كتاب الجمعة/ باب يستسقى الإمام إذا قحطوا- عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: **سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ أَبِي طَالِبٍ:**

وَأَبْيَض يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ   ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ: حَدَّثَنَا سَالِمٌ عَنْ أَبِيهِ رُبَّمَا ذَكَرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَسْقِي فَمَا يَنْزِل حَتَّى يَجِيشَ كُل مِيزَابٍ :

وَأَبْيَض يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ   ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

وَهُوَ قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ . ورواه أحمد وابن ماجه.

قال ابن حجر في الفتح:

(قال السهيلي: فإن قيل كيف قال أبو طالب « يستسقى الغمام بوجهه » ولم يره قط استسقى، إنما كان ذلك منه بعد الهجرة! وأجاب بما حاصله: أن أبا طالب أشار إلى ما وقع

في زمن عبد المطلب، حيث استسقى لقريش، والنبي ﷺ معه غلام. انتهى) والبيت من قصيدة مؤلفة من ثمانين بيتاً، أورد بعضها الحافظ ابن حجر في الفتح.

٥ – اعتقاد عبد المطلب بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأن له شأناً وأنه نبي الأمة كما سمعه من أهل الكتاب ، ولما شاهد منه من الآيات البينات:

روى عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٣١٨ عن معمر عن الزهري تكملة ما سبق :

(ثم توفيت أمه ، فهم في حجر جده ، فكان وهو غلام ؛ يأتي وسادة جده ؛ فيجلس عليها ، فيخرج جده ، وقد كَبُرَ ، فتقول الجارية التي تقوده : انزل عن وسادة جدك!

فيقول عبد المطلب : دعي ابني فإنه محسن بخير ، ثم توفي جده ورسول الله ﷺ ، غلام فكفله أبو طالب ، وهو أخو عبد الله لأبيه وأمه....) .

وروى ابن سعد في طبقاته بأسانيده: أن عبد المطلب قال لأم أيمن:

يا بركة ! لا تغفلي عن ابني، فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة، **وإن أهل الكتاب يقولون: إن ابني نبي هذه الأمة** [1]) .

وقال الزرقاني في شرح المواهب ١/ ٣٥٣ :

(روي أنه لما ماتت – أي : آمنة- ضمه جده إليه ، ورق قلبه عليه ، رقة لم يرقها على ولده ، وكان يقربه ، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ، ويجلس على فراشه وأولاده لا يجلسون عليه .

(١) ورواه ابن كثير في (البداية والنهاية) ٢/ ٢٨٢ فقال: (وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به، فإنا لم نر قدماً أشبه بالقدم الذي في المقام منه، فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به، وقال عبد المطلب لأم أيمن وكانت تحضنه: يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريبًا من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة، وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا يقول: علي بابني فيؤتى به إليه) انتهى.

وذكر ابن إسحاق: إنه كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، وكان لا يجلس عليه من بنيه أحد إجلالاً له، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي حتى يجلس عليه، فتذهب أعمامه يؤخرونه، فيقول عبد المطلب: دعوا ابني، ويمسح على ظهره بيده، ويقول: إن لابني هذا لشأناً)انتهى فدلت تلك الروايات على تعدد الحادثة.

هذا وقد مات عبد المطلب عن عمر يناهز العشر بعد المائة، كما ذكره القسطلاني في المواهب اللدنية وقدمه المغلطاي في مصنفه، وقيل غير ذلك.

٦- إشارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن عبد المطلب من أهل الجنة:

روى النسائي -كتاب الجنائز/ باب النعي- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ بَصُرَ بِامْرَأَةٍ لا تَظُنُّ أَنَّهُ عَرَفَهَا فَلَمَّا تَوَسَّطَ الطَّرِيقَ وَقَفَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ فَإِذَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ لَهَا: «مَا أَخْرَجَكِ مِنْ بَيْتِكِ يَا فَاطِمَةُ!».

قَالَتْ: أَتَيْتُ أَهْلَ هَذَا الْمَيِّتِ فَتَرَحَّمْتُ إِلَيْهِمْ وَعَزَّيْتُهُمْ بِمَيِّتِهِمْ.

قَالَ: «لَعَلَّكِ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى».

قَالَتْ: مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَكُونَ بَلَغْتُهَا وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ فِي ذَلِكَ مَا تَذْكُرُ.

فَقَالَ لَهَا: «**لَوْ بَلَغْتِهَا مَعَهُمْ مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَرَاهَا جَدُّ أَبِيكِ**» [1].

---

(١) قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ (أي النسائي): رَبِيعَةُ ضَعِيفٌ. ورواه الإمام أحمد - في مسند المكثرين من الصحابة- وأبو داود في سننه ولم يذكر الجملة الأخيرة لو بلغت ... إلخ.

وربيعة الذي ضعفه النسائي وثقه العجلي ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ كثيراً؛ وقال الدارقطني: صالح؛ وقال البخاري: عنده مناكير. والكدى: أراد المقابر كما في النهاية لابن الأثير؛ وذلك؛ لأنها كانت مقابرهم في مواضع صلبة، وهي جمع كدية ويروى بالراء، والكدية: قطعة غليظة صلبة لا يعمل فيها الفأس.

قال السيوطي في شرحه على سنن النسائي:

(لا دلالة في هذا على ما توهمه المتوهمون، لأنه لو مشت امرأة مع جنازة إلى المقابر لم يكن ذلك كفراً موجباً للخلود في النار كما هو واضح).

وغاية ما في ذلك أن يكون من جملة الكبائر التي يعذب صاحبها ثم يكون آخر أمره إلى الجنة.

وأهل السنة يؤولون ما ورد من الحديث في أهل الكبائر أنهم لا يدخلون الجنة والمراد لا يدخلونها مع السابقين الذين يدخلونها أولا بغير عذاب.

فأكثر ما يدل الحديث المذكور على أنها لو بلغت معهم الكدى (المقابر) لم تر الجنة مع السابقين بل يتقدم ذلك عذاب أو شدة أو ما شاء الله من أنواع المشاق ثم يؤول أمرها إلى دخول الجنة قطعاً.

ويكون المعنى به كذلك لا ترى الجنة مع السابقين بل يتقدم ذلك الامتحان وحده أو مع مشاق أخر.

ويكون معنى الحديث لم ترى الجنة حتى يأتي الوقت الذي يراها فيه جد أبيك فترينها حينئذ، فتكون رؤيتك لها متأخرة عن رؤية غيرك من السابقين لها.

هذا مدلول الحديث لا دلالة له على قواعد أهل السنة غير ذلك.

والذي سمعته من شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي وقد سئل عن عبد المطلب فقال: هو من أهل الفترة الذين لم تبلغ لهم الدعوة وحكمهم في المذهب معروف).

كل ذلك الفضل الإلهي على عبد المطلب من حفر ماء زمزم وحادثة الفيل، لإعادة توجيه الأنظار إلى مكانته الدينية، ولتتعرف القبائل العربية على تلك المكانة.

٧- تسمية عبد المطلب للرسول محمداً:

لكي يحمده أهل الأرض وأهل السماء مع عمل العقيقة يوم سابعه -كما في زاد المعاد ١/ ٨٢ ورواه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ١١٣ وذكره المتقى الهندى في كنز العمال ١٢/ ٤٤٤.

٨- دخول عبد المطلب بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ولادته إلى الكعبة:

(فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه) كما رواه ابن هشام ١/ ١٧٢.

٩ - اعتقاد عبد المطلب باليوم الآخر :

كما مر معنا في بند رقم (٣) حيث نذر لله تعالى بذبح أحد أولاده إذا بلغوا عشرة، ثم عندما ضرب القداح للقرعة دعا الله تعالى ولم يدع الأصنام، وفي قوله الشعر:

يا رب أنتَ الملكُ المحمود وأنتَ ربي الملك المعيد

من عند الطارف والتليد

دليل إيمانه بأن الله تعالى هو المعيد للأجسام في يوم القيامة.

وكان يقول بأن الظالم لا بد أن ينتقم الله منه، فلما قيل له: إن فلاناً مات ولم ينتقم الله منه، قال على الفور: لا بد من وجود يوم آخر يحاسب فيه الظالم على ظلمه.

١٠ - انتساب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إليه في غزوة حنين مع نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن الانتساب والافتخار بالآباء الجاهليين.

ثانياً : مخالفة رواية حماد لما عرف عن والد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من طهارة سلوكه :

ثم يشب عبد الله وينشأ في بيئة جاهلية، **فلا يقترف الحرام** المنتشر في أزقة مكة، وتتوجه قلوب قريش في الحنو عليه لئلا يذبحه والده فداء لنذره لله تعالى، **فهل تحنو قلوب قريش على عدم ذبحه؟!، ولا تحنو قلوب بعض المسلمين على نجاته من النار، والأدلة كالنهار - لمن هداه الله؟! فعلاً إن هذا لشيء عجاب!!!**

أورد ابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٢٥٠ فقال :

وقال أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي - وأسنده - عن ابن عباس قال: لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من أهل تبالة متهودة قد قرأت الكتب يقال لها: فاطمة بنت مر الخثعمية فرأت نور النبوة في وجه عبد الله.

فقالت : يا فتى هل لك أن تقع علي الآن وأعطيك مائة من الإبل؟

فقال عبد الله :

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه(١)

ثم مضى مع أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فأقام عندها ثلاثاً..) انتهى.

وفي رواية عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٣١٧ عن معمر عن الزهري قوله:

(وكان عبد الله أحسن رجل رئي في قريش قط، فخرج يوماً على نساء من قريش مجتمعات، فقالت امرأة منهن: يا نساء قريش أيتكن يتزوجها هذا الفتى، فنصطت النور الذي بين عينيه.

قال: وكان بين عينيه نور(٢) فتزوجته آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجمعها ، فالتقت فحملت برسول الله ﷺ ، ثم بعث عبد المطلب عبد الله بن عبد المطلب يمتار له تمراً من يثرب، فتوفي عبد الله بها.

وولدت آمنة رسول الله ﷺ فكان في حجر عبد المطلب فاسترضعته امرأة من بني سعد بن بكر ، فنزلت به التي ترضعه سوق عكاظ **فرآه كاهن من الكهان فقال: يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فإن له ملكاً**، فراعت به أمه التي ترضعه، فنجاه الله، ثم شب عندها، حتى إذا سعى وأخته من الرضاعة تحضنه، فجاءته أخته من أمه التي ترضعه

(١) انظر كيف أن عبد الله يؤمن بالملة الحنيفية ، وإلا فأي دين يحميه وهو في بيئة جاهلية تطوف عراة حول الكعبة!!.

(٢) يا سبحان الله! امرأة جاهلية ترى النور في وجه عبد الله، وبعض المسلمين لا يؤمنون بنور عبد الله؟!

فقالت: أي: أمتاه إني رأيت رهطاً أخذوا أخي آنفا فشقوا بطنه فقامت أمه التي ترضعه فزعة ،حتى أتته فإذا هو جالسٌ منتقعاً لونـه لا تـرى عنـده أحـداً، فارتحلـت بـه حتـى أقدمته على أمه فقالت لها: اقبضي عني ابنك فإني قد خشيت عليه!

فقالت أمه : لا والله! ما بابني ما تخافين، لقد رأيت وهو في بطني أنه خرج نور مني أضاءت منه قصور الشام[1] ، ولقد ولدته حين ولدته فَخَرَّ معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء فافتصلته أمه وجده عبد المطلب.) انتهى من مصنف عبد الرزاق.

(١) لا تنس قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «وأمي التي رأت النور، وكذلك ترى أمهات النبيين» !!

الفصل الثالث

رواية حماد إما أن ترد لمخالفتها للقرآن والسنة، وإما أن تؤول للخروج من التعارض

تمهيد :

تقدم معنى مخالفة رواية حماد لصريح القرآن والسنة ، وبالتالي إما أن ترد بذلك، وإما أن نعمل العقل للجمع بينها وبين صريح القرآن والسنة ، فوجدنا أن المجاز خير وسيلة للخروج من التعارض ، جمعاً بين الأدلة ؛لأن أصل الوحي القرآني لا يتعارض مع الوحي النبوي، وإنما يرد التعارض بسبب الرواة، وهـذا موجـود بكثـرة، وقـد اسـتطاع العلـماء الفقهاء أن يوجدوا طرقاً كثيرة لحل التعارضات.

وقد يقـول معارض : لماذا لا تخصص رواية حماد عام القرآن ، ولمـاذا لا تقيـد روايـة حماد مجمـل القـرآن الـذي استشـهدت بـه وأوردتـــه بأنهـا تعـارض القـرآن فـيمكن التخصيص أو الاستثـناء أو التقييـد، ولا حاجة للمجاز، وبالتالي تجتمع الأدلة ويعمل بها جميعاً؟

والجواب بسيط جداً : إن رواية حماد عارضت السنة نفسها، وبالتـالي يكـون القـرآن مرجحاً.

وجواب آخر : إن رواية حماد لا يمكن لها أن تخصـص أو تقيـد آيـات كثـيرة جـداً، ويمكن للتخصيص أو التقييد أن يخصص أو يقيد آية أو آيتين ، أمـا أن تخصـص أو تقيـد عشرات الآيات فهذا مستحيل عقلاً، وشرعاً ؛ لأنـه لم يحصـل ولا في مـذهب أصـولي أن تخصص رواية عشرات الآيـات ، وإلا بطـل العمـل بـالقرآن ، وهـذا محـال، وإذا عـددنا روايات السنة المخصصة أو المقيدة لوجدناها معدودة، ومحدودة العدد .

فإذًا لا بد من اللجوء إلى التأويل بالمجاز، أو إبطال العمل برواية حماد لمخالفتها لصريح القرآن والسنة كما أسلفنا.

والعمل بالمجاز معمول به عند كافة الأئمة والمذاهب الفقهية والعقدية المعتبرة، ولولا المجاز لما وسعت اللغة العربية كلام الله تعالى. والله أعلم.

وعليه فلا بد أن نتعرف على المجاز في اللغة والشريعة لكي نفهم حمل رواية حماد على المجاز، وأنها تحقق شروط العمل بالمجاز.

المبحث الأول

الحقيقة والمجاز في اللغة والشريعة

تمهيد :

إن فهم موضوع الحقيقة والمجاز في القرآن والسنة ، يمهد لنا فهم موضوعنا، ولقد تتبعت كتب أصول الفقه التي شرحت الحقيقة والمجاز، فوجدت كتاب (المَدْخَل) للشيخ عبد القادر بن بدران الدمشقي (ت ١٣٤٦ هـ) رحمه الله [1] خير من وضحه بأسلوب قريب يفهمه القارئ المعاصر، وها هو بين يديك، فقال المؤلف رحمه الله تعالى:

القسم الأول: فصل: اعلم أن الأسماء على أربعة أضرب:

١ – وضعية وعرفية وشرعية ومجاز مطلق:

- **فأما الوضعية** فهي الثابتة بالوضع وهو تخصيص الواضع لفظاً باسم ، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ فهم منه ذلك المسمى ، كما أنه متى أطلق لفظ الأسد فهم منه حد الحيوان الخاص المفترس.

- **والعرفي** ما خص عرفاً ببعض مسمياته التي وضع لها في أصل اللغة عند ابتداء وضعها:

- **كلفظ الدابة** الذي هو في أصل الوضع لكل ما دب لاشتقاقه من الدبيب ثم خص في عرف الاستعمال بذوات الأربع وإن كان باعتبار الأصل يتناول الطائر لوجود الدبيب منه.

- ومنه ما شاع أي: اشتهر استعماله في غير ما وضع له في الأصل:

(١) تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، نشر مؤسسة الرسالة بيروت ج١/ ص١٧٣.

كالغائط: فهو في أصل الوضع اسم للمطمئن أي: المنخفض من الأرض، ثم اشتهر استعماله عرفاً في الخارج المستقذر من الإنسان.

وكالرَّاوية: التي هي في الأصل اسم للبعير الذي يستقى عليه ثم اشتهر استعمالها في المزادة: التي هي وعاء الماء[1]، وهذا اللفظ العرفي هو مجاز بالنسبة إلى الوضعي الذي هو الموضوع الأول، وحقيقة فيما خص به في العرف لاشتهاره فيه.

- **والشرعية** ما نقله الشرع أي: خرج بها الشارع عن وضع أهل اللغة، ثم وضعها بإزاء معنى شرعي؛ كالصلاة والصيام، وقيل: إن الشارع أبقى في الصلاة معنى الدعاء، ثم ضم إليه شروطاً: كالوضوء؛ والوقت؛ والسترة؛ وغير ذلك، وهذه الألفاظ عند إطلاقها تصرف إلى معناها الشرعي؛ لأن الشارع مبين للشرع لا للغة، وكذا في كلام الفقهاء. ومتى ورد اللفظ وجب حمله على الحقيقة في بابه لغة أو شرعاً أو عرفاً، ولا يحمل على المجاز إلا بدليل يمنع حمله على الحقيقة من معارض قاطع أو عرف مشهور، كمن قال: رأيت راوية، فإن إرادة المزادة منه ظاهرة بالعرف المشهور.

- **وأما المجاز المطلق** فهو اللفظ المستعمل في غير موضوع أُوِّل على وجه يصح فاللفظ المستعمل جنس يعم الحقيقة والمجاز، وفي غير موضوع أول.

٢- فصل مخرج للحقيقة:

وذلك كاستعمال لفظ الأسد في الرجل الشجاع، فإنه غير موضوع للأسد الأول؛ إذ موضوعه الأول هو السبع.

وقولنا على وجه يصح نريد به شرط المجاز وهو أنه لا بد له من علاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي والعِلاقة بكسر العين هي ما ينتقل الذهن بواسطته عن المجاز إلى الحقيقة، وذلك كالشجاعة التي ينتقل الذهن بواسطتها عن الرجل الشجاع؛ إذا أطلقنا

---

(١) في مختار الصحاح ١/ ١١١: **الرَّاوِيةُ**: البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه والعامة تسمي المزادة راوية، وهو جائز استعارة والأصل ما ذكرناه.

عليه لفظ أسد إلى السبع المفترس؛ إذ لولا هذه العلاقة وهي صفة الشجاعة لما صح التجوز، ولما انتقل الذهن إلى السبع المفترس عند إطلاق لفظ الأسد على الرجل الشجاع، ولو كان لفظ الأسد عليه علمية ارتجالاً.

والمعتبر في العلاقة أن تكون ظاهرة يسرع الفهم إليها عند إطلاق لفظ المجاز حرصاً على سرعة التفاهم وحذراً من إبطائه؛ لأن ذلك عكس مقصود الواضع والمتجوز والمخاطبين فيما بينهم، كإطلاق لفظ الأسد على الشجاع بجامع الشجاعة وهي صفة ظاهرة، لا كإطلاق لفظ الأسد على الحيوان الأبجر؛ لخفاء صفة البجر في الأسد؛ فإنه لا يكاد يعلمها فيه إلا القليل من الناس، بخلاف الشجاعة، فإنه لا يجهلها إلا القليل النادر.

واعلم أن للمجاز علاقات كثيرة وهي وإن كان استيفاء الكلام عليها محله علم البيان وذلك العلم مشهور بين أهل العلم في زمننا أكثر من شهرة علم الأصول إلا أننا لا بد لنا من ذكر جمل منها لاستدعاء المقام لها فنقول:

- **يتجوز بالسبب عن المسبب**: نحو قول القائل: فعلت هذا لأبلو ما في ضميرك، أي: أعرفه، تجوز بالابتلاء عن العرفان؛ لأن الابتلاء سببه؛ إذ من ابتلى شيئاً عرفه.

٣- أصناف السبب أربعة:

قابلي وصوري وفاعلي وغائي وكل واحد منها يتجوز به عن سببه:

مثال الأول وهو تسمية الشيء باسم قابله، قولهم: سال الوادي، والأصل: سال الماء في الوادي، لكن لما كان الوادي سبباً قابلاً لسيلان الماء فيه صار الماء من حيث القابلية كالسبب له، فوضع الوادي موضع الماء.

ومثال الثاني وهو تسمية الشيء باسم صورته هذه صورة الأمر والحال، أي: حقيقته.

ومثال الثالث وهو تسمية الشيء باسم فاعله حقيقة أو ظناً، قولهم في الكتاب الجامع لنوع علمه هو شيخ جالس على الكرسي أو على الرف؛ لأن الشيخ أعني المصنف هو فاعل الكتاب.

وقولهم للمطر: سماء ؛ لأن السماء فاعل مجازي للمطر، بدليل إسناد الفعل إليها في قولهم: أمطرت السماء.

ومثال الرابع : وهو تسمية الشيء باسم غايته ، تسمية العنب خمراً، والعقد نكاحاً ؛ لأنه غايته، ويؤول إليه.

القسم الثاني: التجوز بالعلة عن المعلول، كالتجوز بلفظ الإرادة عن المراد لأنها علة: كقوله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [النساء:١٥٠] أي : يفرقون ، بدليل أنه قوبل بقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء :١٥٢] ولم يقل: ولم يريدوا أن يفرقوا.

وكذلك قول القائل : رأيت الله في كل شيء ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو موجد كل شيء وعلته ، فأطلق لفظه عليه ، ومعناه : رأيت كل شيء فاستدللت به على وجود الله سبحانه، لظهور آثار القدرة الإلهية فيه ، فدل عليه سبحانه دلالة العلة على معلولها، والمفعول على فاعله.

القسم الثالث: التجوز باللازم عن الملزوم: كتسمية السقف جداراً ؛ لأن الجدار لازم له، وتسمية الإنسان حيواناً ؛ لأن الحيوان لازم له.

القسم الرابع: التجوز بلفظ الأثر عن المؤثر: كتسميتهم ملك الموت موتاً ؛ لأن الموت أثر له ، وقول الشاعر يصف ظبية : « فإنما هي إقبال وإدبار » ، لأن الإقبال والإدبار من أفعالها ، وهي آثار لها ، وكذلك قولهم : زيد عدل ، أو صوم ؛ أو كرم ؛ أو خير ؛ أو بر .

وكقولهم: الطريق جورأي: مائل، فهو وصف للطريق ، فينزل منزلة الأثر، وزيد عدل ونحوه سمي باسم فعل من أفعاله.

القسم الخامس : التجوز بلفظ المحل عن الحال فيه : كتسمية المال كيساً في قولهم: هات الكيس، والمراد المال الذي فيه؛ لأنه حال في الكيس، وكذلك تسمية الخمر كأساً

أو زجاجة، والطعام مائدة أو خِواناً، والميت جنازة والمكتوب ورقة؛ وكتاباً؛ وبطاقة، لأن هذه الأشياء حالة في المحال المذكورة، فهذه خمسة أقسام وإذا قابلتها بعكسها حصل لك خمسة أقسام أخرى وإليك بيانها .

القسم السادس: التجوز بلفظ المسبب عن السبب : كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة :١٨٨] .

أي : لا تأخذوها، فتجوز بالأكل عن الأخذ ؛ لأنه مسبب عن الأخذ ؛ إذ الإنسان يأخذ فيأكل.

القسم السابع : التجوز بلفظ المعلول عن العلة : كالتجوز بلفظ المراد عن الإرادة كقوله تعالى : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ [آل عمران : ٤٧] أي : إذا أراد أن يقضي ، فالقضاء معلول الإرادة ، فتجوز به عنها.

وكقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم ﴾ [المائدة :٤٢] أي: إذا أردت أن تحكم.

القسم الثامن: التجوز بالملزوم عن اللازم: كتسمية العلم حياة؛ لأنه ملزوم الحياة؛ إذ الحياة شرط للعلم؛ والمشروط ملزوم للشرط، فكذلك التجوز بكل مشروط عن شرطه؛ هو تجوز بالملزوم عن اللازم له.

القسم التاسع: التجوز بلفظ المؤثر عن الأثر: كقول القائل: رأيت الله، وما أرى في الوجود إلا الله، يريد آثاره الدالة عليه في العالم.

وكقولهم في الأمر المهم وغيره هذه إرادة الله، أي: مراده، فأطلق لفظ الإرادة على المراد إطلاقاً لاسم المؤثر على الأثر؛ لأن الإرادة مؤثرة في المراد.

القسم العاشر: التجوز بلفظ الحال عن المحل: كتسمية الكيس مالاً، والكأس خمراً، والمائدة طعاماً، والجنازة ميتاً، والورقة مكتوباً.

فهذه الخمسة عكس التي قبلها وبها صار الكل عشرة.

القسم الحادي عشر: تسمية الشيء باعتباره وصفاً زائلاً، أي: كان به وزال عنه: كإطلاق العبد على العتيق؛ باعتبار وصف العبودية الذي كان قائماً به؛ فزال عنه، وكذا تسمية الخمر عصيراً، والعصير عنباً باعتبار ما كان.

القسم الثاني عشر: تسمية الشيء باعتبار وصف يؤول ويصير إليه كإطلاق الخمر على العصير في قوله تعالى حكاية:﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا ﴾ [يوسف:٣٦] .

وإنما كان يعصر عنباً، فيحصل منه عصير؛ لكن لما كان العصير يؤول إلى وصف الخمر به؛ أطلق عليه لفظ الخمر.

القسم الثالث عشر: إطلاق ما بالقوة على ما بالفعل : كتسمية الخمر في الدن مسكراً؛ لأن فيه قوة الإسكار، وتسمية النطفة إنساناً؛ لأن الإنسان فيه بالقوة أي: قابل لصيرورته إنساناً.

القسم الرابع عشر: عكس الذي قبله : وهو إطلاق ما بالفعل على ما بالقوة كتسمية الإنسان الحقيقي نطفة أو ماء مهينا وهو أيضاً من باب التسمية باعتبار وصف زائل.

القسم الخامس عشر: التجوز بالزيادة : كقوله تعالى:﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورى:١١] . أي : ليس مثله - شيء- والكاف زائدة على رأي من ذهب إلى هذا ، والتحقيق أن لا زيادة في الآية وأن المعنى : لو فرضنا أن له مثلاً، فليس لمثله مثل ؛ فانتفت المماثلة عنه تعالى بطريق الأولوية ؛ لأن انتفاء مثل المثل يوجب انتفاء المثل ، والمثال الجيد أن يقال : ليس كزيد إنساناً.

القسم السادس عشر: التجوز بالنقص : كقوله تعالى حكاية: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾ [يوسف:٨٢] أي: أهل القرية.

﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ [البقرة :٩٣] أي: حب العجل.

﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِ ﴾ [يوسف:٣٢] أي: في حبه.

القسم السابع عشر: تسمية الشيء باسم ما يشابهه وهو المسمى بالاستعارة بالاتفاق: كقولك: رأيت أسداً في الحمام، تريد رجلاً شجاعاً، وكلمت حماراً؛ تريد به رجلاً بليداً، وهذا النوع يحتاج إلى شرح وبيان، ومحله كتب البيان واستيفاء بحثه هنا يخرجنا عن المقصود.

القسم الثامن عشر: تسمية الشيء باسم ضده: كقوله تعالى:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى:٤٠] .

﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ ﴾ [البقرة :١٩٤] .

حيث سمى الجزاء سيئة وعدواناً، ويجوز أن يجعل من باب المجاز للمشابهة ؛ لأن جزاء السيئة يشبهها في صورة الفعل، وفي كونها تسوء من وصلت إليه، وكذلك جزاء العدوان، ويجوز أن يكون هذا من باب التجوز بلفظ السبب عن المسبب، حيث يسمى عقوبة السيئة، والاعتداء سيئة واعتداء؛ لأن العقوبة مسببة عن السبب والاعتداء.

القسم التاسع عشر: تسمية الجزء باسم الكل، كإطلاق لفظ العام والمراد الخاص: كقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [آل عمران:١٧٣] والمراد واحد معين .

وقولنا: كلم الرجال ، والمراد بعضهم، ورأيت زيداً، وإنما رأيت بعضه.

القسم العشرون: عكس ذلك كتسمية الكل باسم الجزء: كقولهم للزنجي: أسود، وإن كان الأسود إنما هو جُزؤه، وهو أكثره، فأطلق الأسود على جميعه، وإن كان أسنانه وأخمصه ليسا أسودين، لكن هذا المثال ليس بجيد، وإن ذكره صاحب المحصول، والمثال الجيد قوله ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم »[1] فسمى المسلمين باسم جزء يسير منهم وهو اليد ، إشارة إلى أنه ينبغي لهم أن يكونوا في الائتلاف والاجتماع كيد واحدة .

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢/ ١٥٣ وأبو داود في سننه ٣/ ٨٠ وابن ماجه والبيهقي في سننه.

القسم الحادي والعشرون إطلاق اللفظ المشتق بعد زوال المشتق منه : كقولنا للإنسان بعد فراغه من الضرب : ضاربٌ ، وهذا محل خلاف .

القسم الثاني والعشرون المجاز بالمجاورة : كتسمية مزادة الماء راوية.

القسم الثالث والعشرون المجاز العرفي : كاستعمال الدابة في الحمار ونحوه.

القسم الرابع والعشرون تسمية المتعلق : بفتح اللام باسم المتعلق بكسرها كتسمية المعلوم علماً، والمقدور قدرةً ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة :٢٥٥] أي: معلومه .

وقولهم : رأينا قدرة الله، أي: مقدوره، وقد يتجوز بلفظ المعلوم عن العلم، والمقدور عن القدرة ، عكس الأول، كما لو حلف حالف بمعلوم الله ومقدوره وأراد العلم والقدرة جاز وانعقدت يمينه.

واعلم أن وجوه المجاز أكثر مما ذكرناه هنا، وكلها ناشئة عن تعدد أصناف العلاقة الرابطة بين محل المجاز والحقيقة، فكل مسميين بينهما علاقة رابطة جاز التجوز باسم أحدهما عن الآخر، سواء نقل ذلك التجوز الخاص عن العرب أو لم ينقل، كما هو الأصح عند البلغاء.

نعم يتفاوت المجاز قوة وضعفاً؛ بحسب تفاوت ربط العلاقة بين الحقيقة والمجاز، وذلك التفاوت قد يكون بدرجة واحدة؛ كما ذكر في الراوية بالنسبة إلى الجمل، وقد يكون بدرجتين كقول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

ففيه مجاز إفرادي من جهة أنه سمى الغيث سماء، لحصوله عن الماء النازل من السحاب المجاور للسماء وهو العلو .

ومجاز إسنادي وهو وصفه العشب بالنزول لحصوله عن الماء المتصف بالنزول من الغمام إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتأمل .

وينبغي لمن حاول علم الشريعة النظر والارتياض في هذه الأنواع المجازية، ليعرف مواقع ألفاظ الكتاب والسنة ، وقد صنف فيه العلماء كتباً كثيرة كـ : (الإيجاز في المجاز) للحافظ ابن القيم ، و(إعجاز القرآن) للخطابي ؛ وللرماني ؛ ولابن سراقة ؛ ولأبي بكر الباقلاني ؛ ولعبد القاهر الجرجاني ؛ وللفخر الرازي ؛ ولابن أبي الأصبع واسمه (البرهان)، وغير ذلك مما يطول ذكره .

وقال نجم الدين سليمان الطوفي : (كتاب المجاز) للشيخ عز الدين بن عبد السلام، أجود ما رأيت في هذا الفن ، ولقد أحسن فيه غاية الإحسان ، وضمنه من ذلك النكت البديعة ، والفرائد الحسان ، فجزاه الله وسائر العلماء عما أفادوا به جزيل الإحسان) انتهى.

وحكى السيوطي في (الإتقان) أنه لخص هذا الكتاب وضم إليه زيادات كثيرة وسمى ملخصه (**مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن**)، ثم لخصه أيضاً في كتابه (**الإتقان**)، وللطوفي (**كتاب فواصل الآيات**) ، وأقرب ما ذكر تناولاً ووجوداً كتاب (**الإيجاز في المجاز**) لابن القيم، فإنه الضالة المنشودة، وقد طبع في مصر، فيسهل تناوله وجني جنته لمتناوله دان فجزاه الله خيراً.

تنبيه : اختلف العلماء في وقوع المجاز في القرآن فذهب الجمهور إلى وقوعه فيه، وأنكره جماعة منهم: الظاهرية؛ وابن القاص من الشافعية؛ وابن خويز منداد من المالكية، واستدلوا لمذهبهم بأن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى، **ورد عليهم المثبتون بأنه لو سقط المجاز من القرآن لسقط منه شطر الحسن .**

فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها.

ومن منع أن في القرآن مجازاً من أصحاب أحمد: أبو الحسن الخرزي؛ وابن حامد؛ وأبو الفضل التميمي ابن أبي الحسن التميمي، **وللإمام أحمد بن تيمية بحث طويل في**

الحقيقة والمجاز في كتاب (الإيمان) تنبغي مراجعته، ونقله هنا يخرجنا عن المقصود، وبكل حال فالمسألة ليست بذي بال.

إذا تقرر هذا فاعلم أن الحقيقة تعرف:

١ - بمبادرتها إلى الفهم بدون قرينة.

٢ - وبأن يكون اللفظ مما يصح الاشتقاق منه والتصريف إلى الماضي والمستقبل واسم الفاعل والمفعول.

٣ - وبأن يكون أحد اللفظين يستعمل وحده من غير مقابل والآخر لا يستعمل إلا في المقابلة كالمكر في حق الله تعالى فإنه يصح أن يقال: مكر زيد بعمر ولا يصح ذلك في حق الله تعالى إلا مقابلة لمكر المخلوق نحو: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران].

وكقوله تعالى: كـ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة:٦٧].

٤ - وتعرف أيضاً بأن استحالة نفي اللفظ يدل عليها بخلاف المجاز فإنه يجوز نفيه وذلك؛ لأنه يستحيل أن تقول للإنسان البليد: ليس بإنسان ويجوز أن تقول عنه: ليس بحمار.

٥ - وتعرف الحقيقة أيضاً بصحة الاستعارة من لفظها فلما صح استعارة لفظ الأسد للرجل الشجاع علم أن لفظ الأسد حقيقة في الحيوان المفترس، مجاز في الرجل الشجاع.

- واعلم أنه لا يلزم أن يكون لكل حقيقة مجاز عقلاً، والصحيح أنه يلزم كل مجاز أن تكون له حقيقة.

- ولا تتوقف صحة المجاز على نقل استعماله في محله عن العرب على الأظهر اكتفاء بالعلاقة المجوزة كما بيناه سابقاً.

- كما أن الاشتقاق والقياس الشرعي واللغوي لا يستلزم ذلك.

- والحق أن أصل المجاز ثابت: مطلقاً؛ مفرداً؛ ومركباً، في عموم اللغة وخصوص القرآن.

- وأنه ثابت أيضاً في المفرد والمركب على الأظهر فيه، وذلك أنك ترى العرب يستعملون لفظ الأسد في الشجاع، وأنت خبير بأن الأسد لفظ مفرد دل على مسمى مفرد، والشجاع كذلك، فهذا يسمى مجازاً إفرادياً ومجازاً في المفردات.

- **والمجاز التركيبي** هو الواقع في الألفاظ المركبة نحو قول الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشي

فلفظ الزمان الذي هو مرور الليل والنهار حقيقة في مدلوله، ولفظ الإشابة حقيقة في مدلوله أيضاً؛ وهو تبييض الشعر؛ لنقص الحرارة الغريزية لضعفها بالكبر، لكن إسناد الإشابة إلى الزمان مجاز إذ المُشَيِّب للناس في الحقيقة هو الله تعالى، فهذا مجاز في التركيب أي: في إسناد الألفاظ بعضها إلى بعض لا في نفس مدلولات الألفاظ.

- وهكذا كل لفظ كان موضوعاً في اللغة ليسند إلى لفظ آخر أسند إلى غير ذلك من اللفظ، فإسناده مجاز تركيبي، وهذا النوع من المجاز يسميه علماء فن المعاني **بالمجاز العقلي**، وحَدُّه عندهم: **إسناد الفعل أو معناه إلى مُلابِسٍ له غير ما هو له بتأول.**

وحاصل قوله: (بتأول): أن ينصب المتكلم قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له.

- ثم اعلم أن التحقيق أن الخلاف ليس في جواز المجاز مطلقاً ولا في وقوعه **وإنما الخلاف في أن المنقول في هذا المجاز هل هو حكم عقلي أو لفظ وضعي** وأنت إذا حققت ذلك وجدت الخلاف لفظياً.) انتهى كلام المدخَل لابن بدران الدمشقي -رحمه الله.

وقال القرافي في (الذخيرة ج٦/ ص٣٥٣): (وقد ذكر العلماء في ضوابط الحقيقة والمجاز أن كل لفظ يصح سلبه فهو مجاز، فإن من رأى شجاعاً فقال: رأيت أسداً، يصح أن يقال: ما رأيت أسداً، ولو رأى الحيوان المفترس ما حسن أن يقال: ما رأى أسداً).

وفي العقود الدرية لابن تيمية ١/ ٢٤١ : (أن المجاز يصح نفيه).

قلت – محمد نور عفا الله عنه : وعليه عندما نقول : إن أبا النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أبو طالب أو أبو لهب يصح نفيها ، فنقول : إن أبا طالب ليس أباه؛ أو إن أبا لهب ليس أباه، وبالتالي فإن معنى الأب هو من المجاز .

وقال ابن تيمية في مجموعة الفتاوى ٥/ ٢٦٣ : (ولا مانع لأهل اللغة من أن يستعملوا اللفظ في غير موضوعه بطريق المجاز).

وفي كتاب (تأويل مشكل القرآن) لأبي محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة [1] كثير من استخدام القرآن للمجاز، وقد رد على ملحدي عصره، عن طريق استخدام القرآن للمجاز.

---

(١) اعتبر ابن تيمية رحمه الله ابن قتيبة هو جاحظ أهل السنة، ويقول ابن خلدون في مقدمته ص ٥٥٣ أثناء كتابه على علم الأدب:

(وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم، أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي:

١ – (أدب الكاتب) لابن قتيبة (٢١٣–٢٧٦ هـ).

٢ – و(كتاب الكامل) للمبرد (٢١٠–٢٨٥ هـ).

٣ – و (كتاب البيان والتبيين) للجاحظ (١٥٩–٢٥٥ هـ).

٤ – و (كتاب النوادر) لأبي علي القالي.

وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها) انتهى من مقدمة المحقق السيد أحمد صقر لكتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ط ٣، نشر المكتبة العلمية في المدينة المنورة.

قلت – محمد نور وفقه الغفور– وفي معجم الأدباء ج٥/ ص٣٨٩:

(ولما دخل أبو علي القالي الأندلس اجتمع به (ابن القوطية)، وكان يبالغ في تقديمه وتعظيمه حتى قال له الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن: من أنبل من رأيته ببلدنا في اللغة؟ فقال : أبو بكر ابن القوطية، ومما كان يزيد علمه وفضله اتصافه بالزهد والتقوى والنسك وكان في أول أمره ينظم الشعر بالغاً فيه حد الإجادة ...). وفي معجم الأدباء (ج٥/ ص٦٥٠): ولما دخل أبو علي القالي الأندلس لزمه الرمادي، وامتدحه بقصيدة، وروى عنه كتاب النوادر من تأليفه.

وفي عصرنا الحاضر بدأت صيحات بإنكار المجاز، لكنها لا تصمد أمام قوة إعجاز البيان القرآني والنبوي، لأنه بحذف المجاز يحذف شطر جمال اللغة على الأقل، ويحذف الإعجاز القرآني وهذا لا يقول به عاقل فضلاً عن عالم.

المبحث الثاني

حمل رواية حماد على المجاز وليس على الحقيقة جمعاً بين الأدلة

إن رواية حماد محمولة على المجاز وليس على الحقيقة، وإليك البيان:

القرينة الأولى : أن أبا النبي صلى الله عليه وآله وسلم المقصود به في الحديث هو العم: أبو لهب أو أبو طالب بالأدلة التالية:

١ - الدليل الأول على أن معنى الأب هو العم :

أن قريشاً أتت أبا طالب وقالت لـه: نعطيك ابناً وتعطينا ابنك فنقتله ، فرفض وأجابهم : تقتلون ابني وأربي ابنكم . . حيث إن أبا طالب ربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعرفوه بابنه، وخاصة أن العرب تعتبر العم أباً.

أورد ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٤٨ ،قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوته، مشوا إليه بـ (عمارة بن الوليد بن المغيرة) فقالوا له فيما بلغني: يا أبا طالب؛ هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامنا فنقتله، فإنما هو رجل برجل قال: والله لبئسما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني فتقتلونه، هذا والله ما لا يكون أبدا...) انتهى.

ومشهور في كتب السيرة لما سافر أبو طالب إلى الشام ومعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل عند بحيرى فقال: ما هذا منك؟ قال: هو ابني ، فقال: ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً.

وذكر الواقدي أن عيال أبي طالب كانوا إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل المصطفى معهم شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول: كما أنتم حتى يأتي ابني، فيأتي فيأكل معهم فيفضل من طعامهم، وإذا كان لبناً شرب أولهم ثم يشربون..فيقول أبو طالب: إنك لمبارك [١] .

ونعلم أن التبني كان سارياً في الجاهلية وصدر الإسلام ، حتى كان يسمى زيد بن حارثة بزيد بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم نسخ ذلك .

أخرج البخاري في صحيحه -كتاب التفسير- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُول الله ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إلا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ القُرْآنُ : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٥] ورواه مسلم والترمذي وأحمد.

فما الذي يمنع من حمل الحديث على عمه أبي طالب؛ عمه أولاً، ورباه ثانياً، وكفله ثالثاً كفالة أفضل من حالة التبني، وورد أنه في النار؟!

أو حمله على عمه أبي لهب الذي نزلت فيه آيات واضحات :﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ [المسد] .

٢ - الدليل الثاني على أن معنى الأب هو العم: استخدام القرآن للأب مكان الجد والعم:

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة] ، فإبراهيم جدهم وإسماعيل عمهم وسماهما القرآن أبوان.

---

(١) انظر : شرح المواهب اللدنية للحافظ الزرقاني ١/ ٣٥٤.

قال ابن كثير في تفسير الآية [1] : (وهذا من باب التغليب ؛ لأن إسماعيل عمه، قال النحاس: والعرب تسمي العم أباً نقله القرطبي. .) انتهى.

ويكرر القرآن أن الأب جد أو جد الأب في قوله تعالى إخباراً عن سيدنا يوسف ﷺ للفتيين اللذين كانا معه في السجن: ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يوسف] .

قال ابن حجر الهيتمي في كتابه المنح المكية في شرح الهمزية للبوصيري ١/ ١٥١: (وحديث مسلم : قال رجل: أين أبي يا رسول الله؟ قال: «في النار» ! فلما ولى دعاه فقال: « إن أبي وأباك في النار» يتعين تأويله، وأظهر تأويل له عندي أنه أراد بأبيه عمه أبا طالب لما تقرر أن العرب تسمي العم أباً، وقرينة المجاز فيه الآية الآتية الشاهدة بخلافه على أصح محاملها عند أهل السنة، وأن عمه الذي كفله بعد جده عبد المطلب، أو أنه قصد بذلك أن يطيب خاطر ذلك الرجل خشية أن يرتد، لوقوع ذلك في سمعه أولاً، أن أباه في النار، بدليل أنه إنما قال له بعد أن ولى، أو كان ذلك قبل أن ينزل عليه : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره: (يقول تعالى محتجاً على المشركين من العرب أبناء إسماعيل وعلى الكفار من بني إسرائيل - وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام - بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له فقال لهم : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [البقرة:١٣٣] وهذا من باب التغليب لأن إسماعيل عمه: قال النحاس والعرب تسمي العم أبا نقله القرطبي.

ثم ذكر ابن كثير بسبب إطلاق الأب على العم والجد اختلاف الفقهاء في توزيع الإرث فيقول: (قد استدل بهذه الآية الكريمة من جعل الجد أباً،وحجب به الإخوة كما هو قول الصديق،حكاه البخاري عنه،من طريق ابن عباس وابن الزبير،ثم قال البخاري: ولم يختلف عليه،وإليه ذهبت عائشة أم المؤمنين،وبه يقول الحسن البصري،وطاووس،وعطاء،وهو مذهب أبي حنيفة،وغير واحد من السلف والخلف.

وقال مالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه أنه يقاسم الإخوة وحكي ذلك عن: عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وجماعة من السلف والخلف، واختاره صاحبا أبي حنيفة: القاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، ولتقريرها موضع آخر.

نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] كما وقع له أنه سئل عن أطفال المشركين، فقال: هم مع آبائهم، ثم سئل عنهم فذكر أنهم في الجنة.

وأما قول النووي - رحمه الله تعالى - في شرحه لحديث مسلم: « إن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان ، فهو في النار، وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره عليه الصلاة والسلام» انتهى. فبعيد جداً للاتفاق على أن إبراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب، ورسالة إسماعيل إليهم انتهت بموته ؛ إذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وآله وسلم عموم بعثته بعد الموت، وقد يؤول كلامه بحمله على عباد الأوثان الذين ورد فيهم أنهم في النار، وبهذا يرد كلام الرازي القريب من كلام النووي.

ويتابع الهيتمي رحمه الله قوله: (ثم رأيت الأُبِّي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بأن كلامه متناف لحكمه بأنهم أهل فترة وبأن الدعوة بلغتهم، ومن بلغتهم الدعوة ليسوا أهل فترة ؛ لأنهم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول، ولا أدركوا الثاني، ثم لما قال: إنه لما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أن أهل الفترة غير معذبين)انتهى. وهو موافق لما ذكرته.

وتابع ابن حجر الهيتمي قوله : وما أحسن قول بعض المتوقفين في هذه المسألة: الحذر الحذر، من ذكرهما بنقص ، لأن ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وآله وسلم لخبر الطبراني : **«لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»** .

٣- الدليل الثالث على أن معنى الأب هو العم أن آزر هو عم سيدنا إبراهيم وليس والده على القول الصحيح الراجح:

إن سيدنا إبراهيم ﷺ دعا لوالديه (والده ووالدته)، بينما وعد أبيه آزر بالاستغفار له؛ وقيامه بذلك، وشتان بين لفظ الوالدين اللذين لا يطلقان إلا على الوالدين الحقيقيين، اللذين تسببا في وجود الابن بالولادة، وبين الأب الذي يتردد إطلاقه بين الوالد والعم

والجد والأب من الرضاعة، وليس للوالدين إطلاقات أخرى لا في اللغة ولا في العرف على مر الزمان[1]، بينما الأب فإنه يطلق على العم، وعلى الجد أيضاً عند بعض الفقهاء، وحيث وجد الاحتمال لمعاني الأب بطل به الاستدلال، وبقي الاستدلال بالوالدين، وهو بيت القصيد، ومحل النزاع، وهذا فارق كبير لمن تدبر بعمق:

قال الله تعالى -حكاية عن دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ **رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ** ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ** ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة].

وهذه الدعوة التي وعدها إياه كما أخبر القرآن:

﴿ **وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ** ﴿٨٦﴾ ﴾ [الشعراء].

ونلاحظ الفرق أنه قال (لأبي)؛ و (لأبيه) ولم يقل لوالده، بينما نرى الدعاء شمل والديه (**رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ**) وفي حالة عمه: (**وَاغْفِرْ لأَبِي**) فالفرق واضح لمن تدبر **وهداه الله، حيث هنا شمل الوالدة أيضاً.**

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح- قاله السيوطي في (مسالك الحنفا):

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ما زال إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات، فلما تبين له أنه عدو لله لم يستغفر له).

وقال قتادة في الآية: ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: يا نبي الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم؟

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة ولد 3/ 467 ط: دار صادر.

قال: فقال النبي ﷺ « **بلى والله إني لأستغفر لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه** ».

فأنزل الله: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ** ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة] ثم عذر الله تعالى إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ **وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ** ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة][1].

(1) قال ابن جرير في تفسيره: (اختلف أهل العلم في المعنى بآزر، وما هو؟ اسم أم صفة؟ وإن كان اسما، فمن المسمى به؟ فقال بعضهم: هو اسم أبيه.

وقال آخرون: إنه ليس أبا إبراهيم.

عن مجاهد، قال: ليس آزر أبا إبراهيم.

وقال آخرون: هو سب وعيب بكلامهم، ومعناه: معوج. كأنه تأول أنه عابه بزيغه واعوجاجه عن الحق) انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: (تكلم العلماء في هذا؛ فقال أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجويني الشافعي الأشعري في النكت من التفسير له: وليس بين الناس اختلاف في أن اسم والد إبراهيم تارخ، والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر.

وقال مجاهد: إن آزر ليس باسم أبيه وإنما هو اسم صنم. وهو إبراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام.

وقال ابن كثير في تفسيره: (قال الضحاك عن ابن عباس إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه زر وإنما كان اسمه تارخ رواه ابن أبي حاتم.

وأبو إبراهيم اسمه تارخ؛ وأمه اسمها شاني؛ وامرأته اسمها سارة، وأم إسماعيل اسمها هاجر؛ وهي سرية إبراهيم. وهكذا قال غير واحد من علماء النسب أن اسمه تارخ.

وقال مجاهد والسدي: آزر اسم صنم، قلت – أي: ابن كثير- كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم فالله أعلم.

وقال ابن جرير وقال آخرون: هو سب وعيب بكلامهم، ومعناه: معوج، ولم يسنده ولا حكاه عن أحد.

وثبت في الصحيح أن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة فيقول له آزر: **يا بني اليوم لا أعصيك!** فيقول إبراهيم: أي: رب ألم تعدني **أنك لا تخزني يوم يبعثون**، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقال: يا إبراهيم، انظر ما وراءك، فإذا هو بذيخ ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه، فيلقى في النار).

فانظر إلى دقة عبارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « أبي » ولم يقل : والدي ، فأخرج البخاري في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَي: عَمِّ قُلْ : لا إِلَهَ إِلا اللهُ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ».

فَنَزَلَتْ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة] .

فنلاحظ أن كلاً من سيدنا إبراهيم وسيدنا محمد - عليهما الصلاة والسلام - دعا واستغفر لعميهما: آزر وأبي طالب، لأن كلاً من العميّن بلغتهما الدعوة، ولا عذر لمن بلغته الدعوة أو الرسول.

وهذا الحديث، يدل على أن ملة عبد المطلب هي الملة الحنيفية [1] ، وهي منسوخة بعد بعثة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يجوز بعد البعثة سوى الإسلام، مثله كمثل أى : يهودي أو نصراني قبل بعثة سيدنا محمد هو مؤمن بشريعته، وبعد بلوغه بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو كافر حتى يؤمن برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فالتسرع في التكفير مهلكة ومضلة ؛ لأن التكفير يجب أن يكون دليله كالنهار، وذلك خشية أن يكون من المؤمنين فيقع الإنسان في الوعيد الإلهي:

كما روى الإمام مسلم في صحيحه- في كتاب البر والصلة والآداب- عَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ : « أَنَّ رَجُلاً قَالَ : وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ :

(١) ستأتي أدلة حنيفية عبد المطلب وإثبات إيمانه.

مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» ، أَوْ كَمَا قَالَ. وانفرد به مسلم.

ومن الذين قالوا : إن آزر هو عم سيدنا إبراهيم -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- كل من السادة الأجلاء: الصحابي الجليل حبر الأمة وترجمان القرآن **سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وابن جريج، والسدي، وغيرهم** ، وأن والد سيدنا إبراهيم اسمه تارخ [1] .

ونلاحظ فيما يلي من الآيات التفرقة بين الأب والوالد:

١ - ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم] .

٢- ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الشعراء] .

٣- ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة] .

٤- ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنبياء]

٥- ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الشعراء] .

٦- ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الصافات] .

٧- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الزخرف] .

٨- ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ

(١) انظر البرزنجي، سَداد الدِّين في سِداد الدَّين في نجاة الوالدين ص ١٥٧ .

وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٤) ﴾

[الممتحنة]

فكل الآيات ذكرت لفظ (أبيه)، ولم تذكر (والده) ولا (والدته) إلا في الدعاء لهما في المغفرة.

وقد اهتم القرآن بذكر الوالد والولد والمولود للتأكيد على معانيهم الحقيقية:

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٣٣) ﴾ [لقمان] .

٢- ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) ﴾ [البلد] .

ووردت الآيات في بر الوالدين ولم ترد في بر الأبوين، وذلك للتأكيد على معنى الوالدين، ولا يذهب السامع إلى معنى الأبوين:

١- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ (٨٣) ﴾ [البقرة] .

٢- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ (١٨٠) ﴾ [البقرة] .

٣- ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ (٢١٥) ﴾ [البقرة] .

٤- ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ﴾ [النساء] .

٥- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥) ﴾ [النساء] .

٦- ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾ [الأنعام] .

٧- ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) ﴾ [الإسراء] .

وأما آية الإرث فعبر عن الوالد بالأب ليدخل الجد ويكون الوالد إن وجد حاجباً للجد وكلاهما سمي أباً، وفي ذلك دقة البيان لمن تدبر:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ

ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ [النساء].

٤- الدليل الرابع على أن معنى الأب هو العم قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((فإنما عم الرجل صنو أبيه)) :

أخرج الترمذي باب المناقب- مناقب العباس عن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُغْضَبًا وَأَنَا عِنْدَهُ فَقَالَ: ((مَا أَغْضَبَكَ؟)).

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا وَلِقُرَيْشٍ؟ إِذَا تَلاقَوْا بَيْنَهُمْ؛ تَلاقَوْا بِوُجُوهٍ مُبْشَرَةٍ؛ وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ:

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ)) .

ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي، فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ)) قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ورواه الإمام أحمد في مسند الشاميين [1] .

فدل الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ)) أي: العم مثل الأب، وبالتالي يمكن حمل كلمة (أبي) أي: عمي.

٥- الدليل الخامس على أن معنى الأب هو العم: التصريح بعمه في رواية الطبراني وطرق الحديث يفسر بعضها بعضاً:

قال السيوطي في – مسالك الحنفا في والدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : إنه وقع في حديث شبه هذا ذكر أبي طالب في دلائل القصد.

(١) في تحفة الأحوذي بشرح الترمذي: ((فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ)) بِكَسْرِ الصَّادِ وَسُكُونِ النُّونِ أَيْ: مِثْلُهُ، وَأَصْلُهُ أَنْ يَطْلُعَ نَخْلَتَانِ أَوْ ثَلاثٌ مِنْ أَصْلِ عِرْقٍ وَاحِدٍ فَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ صِنْوٌ يَعْنِي: مَا عَمُّ الرَّجُلِ وَأَبُوهُ إِلا كَصِنْوَيْنِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ فَهُوَ مِثْلُ أَبِي أَوْ مِثْلِي.

أخرج الطبراني عن أم سلمة أن الحارث بن هشام أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم حجة الوداع فقال: يا رسول الله إنك تحث على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإبرار اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المساكين، وكل هذا كان يفعله هشام بن المغيرة، فما ظنك به؟ يا رسول الله!؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو في جذوة من النار، وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار، فأخرجه الله لمكانه مني، وإحسانه إلي فجعله في ضحضاح من النار)).

٦- الدليل السادس على أن معنى الأب هو العم: تفسير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمعنى الأب بالجد البعيد:

أخرج الترمذي عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي.

فَقَالَ: ((مَا يُبْكِيكِ؟)) .

فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((إِنَّكِ لابْنَةُ نَبِيٍّ وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ)) .

ثُمَّ قَالَ: ((اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ)) قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، ورواه أحمد.

قال في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذى : ((وإنك لابنة نبي)) أي: هارون بن عمران عليه السلام (وإن عمك لنبي) أي: موسى بن عمران عليه السلام (وإنك لتحت نبي) أي: الآن (ففيم تفخر عليك) بفتح الخاءأي: فبأي شيء تفخر حفصة عليك » انتهى.

فهذا دليل على تفسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأب بأنه غير الوالد.

فكل الأدلة السابقة من القرآن والسنة واللغة وأقوال المفسرين تدل على أن المقصود بـ (الأب) هو عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس والده والله أعلم.

القرينة الثانية: حمل رواية حماد على أبيه من الرضاعة وليس والده (عبد الله): وهو أحد آبائه من الرضاعة حيث إن مرضعات النبي صلى الله عليه وآله وسلم كن أربعاً:

١- **ثُويبة** (وهي التي أرضعت حمزة بن عبد المطلب)، كما رواه البخاري في صحيحه باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم). ورواه ابن سعد ١/ ١٠٨.

٢- **وامرأة من بني سعد غير حليمة** : (وهي التي أرضعت حمزة بن عبد المطلب) كما رواه ابن سعد ١/ ١٠٩.

٣- **وحليمة السعدية** كما رواه ابن هشام في سيرته ١/ ١٧٢، ٢٧٨، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/ ٢٠٣، وابن سعد ١/ ١١٣، ١١٤، ومستدرك الحاكم ١/ ١٦٤ وهذه أسلم زوجها وهو الحارث بن عبد العزى كما ذكره أبو داود باب بر الوالدين، وذكره السهيلي في الروض الأنف ١/ ١٨٥.

أخرج أبو داود في سننه -كتاب الأدب/ باب بر الوالدين- قال :حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ الهَمْدَانِيُّ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَال حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ الحَارِثِ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ السَّائِبِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ بَلَغَهُ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ جَالِسًا فَأَقْبَلَ **أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ**، فَوَضَعَ لَهُ بَعْضَ ثَوْبِهِ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ **أُمُّهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ**، فَوَضَعَ لَهَا شِقَّ ثَوْبِهِ مِنْ جَانِبِهِ الآخَرِ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَقَامَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ) وانفرد به أبو داود [1] . فإذا كان بره صلى الله عليه وآله وسلم لأبويه من الرضاعة هكذا، فكيف سيكون بره لوالديه الحقيقيين صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة؟!.

---

(١) قال المنذري: هذا معضل، عمر بن السائب يروي عن التابعين، وعمر بن السائب لم يلق الصحابة توفي ١٣٤ هـ. وثقه ابن حبان والذهبي.

٤- **وخولة بنت المنذر** كما ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر ١/ ٣٧.

فبقي معنا آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة هم: زوج ثويبة وزوج امرأة من بني سعد، وزوج خولة بنت المنذر، ولم تذكر الروايات عنهم شيئاً حول إيمانهم وإسلامهم - فيما أعلم.

ومعلوم أن إطلاق الأب على الأب من الرضاعة لا يختلف عليه اثنان: لا شرعاً ولا عرفاً ولا لغة، فقد يكون قد قصده صلى الله عليه وآله وسلم، فلماذا لا يحمل ((إن أبي وأباك في النار)) على أحد آبائه من الرضاعة هؤلاء؟ وكذلك الحديث الضعيف: ((أمي مع أمكما)) إحدى أمهاته من الرضاعة التي لم يثبت إيمانها؟

وأما حديث ((اسأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي)) فسيأتي الجواب عليه إن شاء الله تعالى.

الباب الرابع

إثبات إيمان أم النبى ﷺ

آمنة بنت وهب رحمها الله تعالى

الفصل الأول : أدلة المعارض .

الفصل الثانى : معنى حديث « استأذنت ربى فى أن أستغفر لأمى فلم يأذن لى » وإجابة العلماء على المعارض .

الباب الرابع

إثبات إيمان أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

آمنة بنت وهب رحمها الله تعالى

الفصل الأول

أدلة المعارض

احتج المعارض على زعمه بما فهمه مما يلي:

أ- من القرآن:

ويحتج المعارض بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة]، وأن الآية نزلت في آمنة أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ب- من السنة:

ما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: ((اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ)).

ويستنبط هذا الفريق كونه صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤذن له أن يستغفر لها، دليل على أنها ماتت على الشرك أو الكفر أو أنها في النار، والعياذ بالله تعالى.

الفصل الثاني

معنى حديث: «استأذنت ربي في أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي»

وإجابة العلماء على المعارض

والجواب من وجوه :

أولاً : تحقيق سبب نزول الآية في أبي طالب وليس في آمنة أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

١- أخرج البخاري في صحيحه -كتاب الجنائز- عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأَبِي طَالِبٍ: « يَا عَمِّ قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ » .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لا إِلَهَ إِلا اللهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أَمَا وَاللهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ)، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية [التوبة:١١٣] .

وفي رواية أخرى للبخاري:

وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : ((إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)) ورواه: مسلم والترمذي والنسائي وأحمد كلهم يذكرون سبب نزول الآية في أبي طالب.

وقد احتج المعارض بالاحتمال الذي أورده ابن حجر في شرح الحديث، وسأضع ما نقله هذا الفريق بين قوسين هكذا [ ] وأذكر كلام ابن حجر كاملاً:

(قال ابن حجر في الفتح: قوله: ((والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك)) قال الزين ابن المنير: ليس المراد طلب المغفرة العامة والمسامحة بذنب الشرك، وإنما المراد تخفيف العذاب عنه كما جاء مبيناً في حديث آخر.

قلت – أي: ابن حجر: وهي غفلة شديدة منه ، فإن الشفاعة لأبي طالب في تخفيف العذاب لم ترد ، وطلبها لم ينه عنه ، وإنما وقع النهي عن طلب المغفرة العامة ، وإنما ساغ ذلك للنبي ﷺ اقتداءً بإبراهيم في ذلك ، ثم ورد نسخ ذلك كما سيأتي بيانه واضحاً.

قوله : (فأنزل الله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة :١١٣] أي : ما ينبغي لهم ذلك ، **وهو خبر بمعنى النهي** هكذا وقع في هذه الرواية.

وروى الطبري من طريق شبل عن عمرو بن دينار قال: قال النبي ﷺ : ((استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربي)) . **فقال أصحابه : لنستغفرن لآبائنا كما استغفر نبينا لعمه، فنزلت .**

وهذا فيه إشكال، لأن وفاة أبي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقاً، وقد ثبت أن النبي ﷺ **أتى قبر أمه لما اعتمر**، فاستأذن ربه أن يستغفر لها فنزلت هذه الآية، **والأصل عدم تكرر النزول** .

وقد أخرج الحاكم وابن أبي حاتم من طريق أيوب بن هانئ عن مسروق عن ابن مسعود قال: (خرج رسول الله ﷺ يوماً إلى المقابر فاتبعناه، فجاء حتى جلس إلى قبر منها، فناجاه طويلاً ثم بكى، **فبكينا لبكائه**، فقال: ((إن القبر الذي جلست عنده قبر أمي، واستأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي، فأنزل علي:﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [التوبة] وأخرج أحمد من حديث ابن بريدة عن أبيه نحوه وفيه :

(نزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب) **ولم يذكر نزول الآية** .

وفي رواية الطبري من هذا الوجه: (لما قدم مكة أتى رسم قبر) ، ومن طريق فضيل ابن مرزوق عن عطية:

(لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت) .

وللطبراني من طريق عبد الله بن كيسان عن عكرمة عن ابن عباس نحو حديث ابن مسعود وفيه:

(لما هبط من ثنية عسفان " **وفيه نزول الآية في ذلك**. [**فهذه طرق يعضد بعضها بعضاً**، وفيها دلالة على تأخير نزول الآية عن وفاة أبي طالب، ويؤيده أيضاً أنه ﷺ قال يوم أحد بعد أن شج وجهه : ((رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) .

- **لكن يحتمل في هذا** أن يكون الاستغفار خاصاً بالأحياء وليس البحث فيه .

- **ويحتمل أن يكون نزول الآية تأخر وإن كان سببها تقدم**، ويكون لنزولها سببان: متقدم وهو أمر أبي طالب ومتأخر وهو أمر آمنة] (١) .

ويتابع ابن حجر قوله: (ويؤيد تأخير النزول ما تقدم في تفسير براءة من استغفاره ﷺ للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك، فإن ذلك يقتضي تأخير النزول وإن تقدم السبب.

ويشير إلى ذلك أيضاً قوله في حديث الباب : (وأنزل الله في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ

(١) نقل أحد المعارضين محتجاً ومستدلاً على رأيه عبارة الحافظ ابن حجر المشار إليها بين القوسين [ ] وترك الباقي!!

بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص] لأنه يشعر بأن الآية الأولى نزلت في أبي طالب وفي غيره، والثانية نزلت فيه وحده.

ويؤيد تعدد السبب : ما أخرج أحمد من طريق أبي إسحاق عن أبي الخليل عن علي قال : (سمعت رجلاً يستغفر لوالديه **وهما مشركان** ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ [التوبة :١١٣] .

وروى الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: وقال المؤمنون ألا نستغفر لآبائنا كما استغفر إبراهيم لأبيه ؟ فنزلت.

ومن طريق قتادة قال: (ذكرنا له أن رجالاً) فذكر نحوه .

وفي الحديث: أن من لم يعمل خيراً قط إذا ختم عمره بشهادة أن لا إله إلا الله، حكم بإسلامه وأجريت عليه أحكام المسلمين، فإن قارن نطق لسانه عقد قلبه نفعه ذلك عند الله تعالى، بشرط أن لا يكون وصل إلى حد انقطاع الأمل من الحياة، وعجز عن فهم الخطاب، ورد الجواب، وهو وقت المعاينة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [النساء :١٨] والله أعلم) انتهى كلام ابن حجر رحمه الله.

والجواب على استدلال المعارض بكلام الحافظ ابن حجر - رحمه الله- ما يلي :

- قال السيوطي يرد على رواية ابن جرير:

(وله علتان: مخالفته الحديث الصحيح في نزول الآية في أبي طالب.

والثانية : قال ابن سعد في الطبقات: هذا غلط كبير ليس قبرها بمكة، قبرها بالأبواء) انتهى (١) .

(١) انظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ١/ ٣٣٣ طبع دار الكتب العلمية.

ثم رد السيوطي رواية الحاكم فقال عنها:

(قال الحاكم: هذا حديث صحيح ورده الذهبي في اختصار المستدرك بأن فيه أيوب ابن هانئ ضعفه ابن معين.

قال السيوطي: فهذه علة تقدح في صحته. .

وقال: وله علة ثانية هي مخالفته لما في البخاري وغيره من أن هذه الآية نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي ﷺ له، ووردت أحاديث أخر في الترمذي وغيره فيها سبب غير قصة آمنة) انتهى.

ونرى اضطراب قول الحافظ ابن حجر في الاستدلال بالسبب:

- **لأنه قرر القاعدة أولاً وهي: عدم تكرار السبب،** ثم ذكر احتمال السبب فأورد عدة روايات ضعيفة وترك الصحيحة، وقال عن الروايات الضعيفة (يعضد بعضها بعضاً)، فكيف خالف قاعدته بعدم تكرار السبب!!! ثم خالف نفسه بالاحتجاج بالضعيف وترك الصحيح وهو الإمام الحافظ؟! وخاصة في مسألة كفر وإيمان؟! ثم في مسألة تتعلق بأم النبي ﷺ؟ بالفعل إن هذا لشيء عجاب؟! مع العلم أن مذهب ابن حجر -رحمه الله- التوقف، وأن أهل الفترة وأطفال المشركين ومن لم تبلغه الدعوة يمتحنون يوم القيامة لورود الأحاديث بذلك كما قدمنا.

ومن هنا نجد أن الصحابة فهموا الاستغفار لآبائهم المشركين، ولم يفهموا زيارة قبور آبائهم المشركين ، ومن هنا نفهم أن زيارة النبي ﷺ قبر أمه دليل إيمانها والله أعلم.

ثانياً: الجواب على معنى الحديث:

الوجه الأول: عدم صلاة الرسول ﷺ على من عليه دين لا تعني كفر صاحبها، وكذلك عدم استغفاره لأمه:

- **قال الحافظ الزرقاني:** إن حديث عدم الإذن في الاستغفار لا يلزم منه الكفر بدليل أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان ممنوعاً في أول الإسلام من الصلاة على من مات وعليه دين، ولم يترك له وفاء، ومن الاستغفار له؛ وهو من المسلمين.

- **وقال القاضي عياض:** بكاؤه ﷺ أي: ليس لتعذيبها، إنما هو أسف على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به.

قال الزرقاني: وما ألطف عبارة القاضي فإنها صريحة في أن البكاء إنما هو لكونها لم تحز شرف الدخول في هذه الأمة، لا لكونها على غير الحنيفية [1] .

وقال الشيخ السندي في شرح الحديث من رواية النسائي:

(قوله (فبكى وأبكى.. إلخ) كأنه أخذ ما ذكر في الترجمة من المنع عن الاستغفار أو من مجرد أنه الظاهر على مقتضى وجودها في وقت الجاهلية لا من قولة بكى وأبكى ؛ **إذ لا يلزم من البكاء عند الحضور في ذلك المحل العذاب أو الكفر، بل يمكن تحققه مع النجاة والإسلام أيضاً**[2]، لكن من يقول بنجاة الوالدين لهم ثلاثة مسالك فى ذلك :

- مسلك أنها ما بلغتها الدعوة ،ولا عذاب على من لم تبلغه الدعوة ؛ لقوله تعالى :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء] فلعل من سلك هذا المسلك يقول في تأويل الحديث: إن الاستغفار فرع تصوير الذنب، وذلك في أوان التكليف، ولا يعقل ذلك فيمن لم تبلغه الدعوة، فلا حاجة إلى الاستغفار لهم، فيمكن أنه ما شرع الاستغفار إلا لأهل الدعوة لا لغيرهم وإن كانوا ناجين.

---

(١) شرح الزرقانى على المواهب ١/ ٣٣٥.

(٢) وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي في مواطن الرحمة وليس العكس: ففي صحيح ابن خزيمة ج٤/ ص٢١٢/ ٢٧١٢ عن ابن عمر قال : استقبل رسول الله ﷺ الحجر فاستلمه ، ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً ، فالتفت فإذا هو بعمر يبكي ، فقال: ((يا عمر ها هنا تسكب العبرات)).

– وأما من يقول: بأنها أُحييا له صلى الله تعالى عليه وسلم ،فآمنا بـه فيحمـل هـذا الحديث على أنه كان قبل الإحياء.

– وأما من يقول: بأنه تعالى يوفقهما للخير عند الامتحان يوم القيامة، فهو يقول بمنع الاستغفار لهما قطعاً ، فلا حاجة له إلى تأويل.

فاتضح وجه للحديث على جميع المسالك والله تعالى أعلم) انتهى كلام السندي.

الوجه الثاني في معنى الحديث: حيث جاز زيارة قبر أمه، فقد كانت سبباً في نسخ عدم زيارة القبور ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في نهاية حديث زيارته لقبر أمه: ((فَزُورُوا القُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ المَوْتَ))، فإن بكاءه من أجل ذكره الآخرة وليس لأن أمه كـافرة فبكـى عليها، وإن من فهم عدم الإذن بالاستغفار دليل الكفر ، إنـما فهـم ذلـك بطريـق مفهـوم المخالفة ، وهو مختلف فيه بين العلماء ، ومن قال به – وهم الشافعية- وضـع لـه شروطـاً كثيرة،ولعل هذا الفريق لا يقـول بمفهـوم المخالفـة كليـاً، فلـماذا يحتج بـه الآن في هـذه المسألة!!

الوجه الثالث: كان قد سبق زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه نزول قوله تعالى:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة] .

نزلت في رئيس المنافقين عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول، بعد وفاته، بعد غزو تبوك، وهـي آية صريحة بعدم جواز زيارة قبر الكفار والمنافقين، فكيف يطلب الرسول صـلى الله عليـه وآله وسلم أمراً نزل فيه أمر ونهي؟ إلا أن يكون أمر أمه غير ذلك؟

أخرج البخاري في صحيحه –كتاب تفسير القرآن- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ إِلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ فَأَعْطَـاهُ قَمِيصَـهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يُكَفِّنَهُ فِيهِ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي عَلَيْهِ فَأَخَذَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ بِثَوْبِهِ فَقَالَ: تُصَلِّي عَلَيْهِ وَهُـوَ مُنَافِقٌ وَقَدْ نَهَاكَ اللهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ؟

قَال: ((إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ أَوْ أَخْبَرَنِـي اللهُ فَقَـال: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[التوبة:٨٠] فَقَـال: (سَأَزِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ).

قَال: فَصَلى عَلَيْهِ رَسُول الله ﷺ وَصَلَيْنَا مَعَهُ ثُمَّ أَنْزَل اللهُ عَلَيْهِ:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة]. وأورده البخاري في خمسة مواضع، ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد.

قال ابن حجر في الفتح:

ذكر الواقدي ثم الحاكم في « الإكليل» أنه مات بعد منصرفهم من تبوك، وذلك في ذي القعدة سنة تسع، وكانت مدة مرضه عشرين يوماً، ابتداؤها من ليال بقيت من شوال، قالوا: وكان قد تخلف هو ومن تبعه من غزوة تبوك، وفيهم نزلت: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة] وهذا يدفع قول ابن التين أن هذه القصة كانت في أول الإسلام قبل تقرير الأحكام) انتهى.

فلو كانت غير مؤمنة –حسب زعم المعارض- لما أذن الله تعالى للنبي صـلى الله عليـه وآله وسلم بزيارة قبر أمه، بعد نزول الآية، ولا قام على قبرها، ولفهم الصحابة رضي الله **عنهم جواز زيارة قبور آبائهم الكفار ولفعلوا ذلك!**

الوجه الرابع: ولو كانت غير مؤمنة –كما يقول الخصم والعياذ بالله- لما بكـى عليهـا وهو يعلم أصحابه التبرئة من الكفار والمشركين، وخاصة أن زيارته صـلى الله عليـه وآلـه وسلم كانت بعد نزول قوله تعالى:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[المجادلة]

والتي نزلت بعد غزوة أحد.

– ذكر القرطبي في تفسيره عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى]:

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم] وقول عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة] فرفع يديه وقال: ((اللهم أمتي أمتي)) وبكى. فقال الله تعالى لجبريل: ((اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟)) فأتى جبريل النبي ﷺ، فسأل فأخبره.

فقال الله تعالى لجبريل: (اذهب إلى محمد، فقل له: إن الله يقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك)).

فإذاً بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أمته لا يعني كفرها، كذلك بكاؤه على أمه لا يعني كفرها، وجواب الله تعالى على بكائه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يسوؤه يوم القيامة، يدخل فيه شفاعته لوالديه بعدم الإساءة، وسيأتي بيان ذلك والله أعلم.

الوجه الخامس: ومن إشارات إيمانها عندما شملها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الرسل في حديثه، وعطفها عليهم وهو يحدث عنها:

أخرج أحمد – مسند الشاميين برقم ١٦٥٢٥ – بإسناد حسن عن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قُلتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ مَا كَانَ أَوَّلَ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: « **دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنهَا نُورٌ أَضَاءتْ مِنهَا قُصُورُ الشَّامِ** ».

وفي رواية لأحمد: «**وَرُؤْيَا أُمِّي التِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنهَا نُورٌ أَضَاءتْ لهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِم**».

بل إنها رأت النور خرج منها وهو ما رواه الإمام أحمد – مسند الشاميين برقم ١٦٥٣٧ – عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنِّي عَبْدُ اللهِ لخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَام لمُنجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: **دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى بِي، وَرُؤْيَا أُمِّي التِي رَأَتْ وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ تَرَيْنَ**).

وفي رواية: وَزَادَ فِيهِ إِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُوراً أَضَاءتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ.

وأخرج أحمد أيضاً عَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ قَالَ سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنِّي عَبْدُ اللهِ فِي أُمِّ الكِتَابِ لخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لمُنجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ وَسَأُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ دَعْوَةِ أَبِي إبراهيم وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ **وَرُؤْيَا أُمِّي التِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنهَا نُورٌ أَضَاءتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ وَكَذَلِكَ تَرَى أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِم**)).

وأمهات النبيين المذكورين في القرآن مؤمنات: مريم أم عيسى، وأم موسى، وأم إسماعيل، وأم نوح – عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام – قال الله تعالى عن دعاء سيدنا نوح:

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنٗا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح].

قال القرطبي في التفسير: (دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين. وهما: لمك بن متوشلخ وشمخى بنت أنوش؛ ذكره القشيري والثعلبي. وحكى الماوردي في اسم أمه منجل.

وقال سعيد بن جبير: **أراد بوالديه أباه وجده. وقرأ سعيد بن جبير «لوالدي» بكسر** الدال على الواحد.

قال الكلبي: كان بينه وبين آدم عشرة آباء كلهم مؤمنون.

وقال ابن عباس: **لم يكفر لنوح والد فيما بينه وبين آدم عليهما السلام)** انتهى.

فالدعاء للوالدين لا ينصرف إلا للوالدين الحقيقيين المباشرين وإن علوا، أما الأبوان فيمكن أن ينصرفا إلى غيرهما حتى آدم وحواء عليهما السلام والله أعلم.

فكل هذه الروايات تؤكد منقبة سيدتنا آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتكريم الله تعالى لها، ثم ذكرها مع سيدنا إبراهيم وعيسى، وأن أمهات الأنبياء يكرمهن الله تعالى بسبب حملهن لرسله، وجميع أمهات النبيين مؤمنات لم يرد نص بخلاف ذلك.

كما أن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ)) هو معنى قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة].

وهذا يدل على إيمان آبائه صلى الله عليه وآله وسلم حتى إبراهيم، حتى خرج صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأننا وجدنا أن سلالة سيدنا إسحاق كلهم أنبياء ورسلاً حتى عيسى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، فكيف يُجوز المخالف خلاف ذلك!!

ولو كان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على غير الملة الحنيفية لعيرته قريش بهم، ولهذا وجدنا القرآن يعيرهم باتباعهم آباءهم بلا تدبر أو تفكير:

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

[الزخرف]

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف].

وأما المؤمن فيتبع آباءه المؤمنين بتدبر وتفكير، بدليل وجوب تلقي الإيمان عند البلوغ بالدليل سواء بالدليل العقلي أو النقلي أو الفطري على خلاف بين العلماء.

الوجه السادس: ولو كانت آمنة تعتقد باعتقاد الجاهلية لما أرجعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو صغير مع مرضعته حليمة عندما قصت عليها حديث شق الصدر، وقالت آمنة لحليمة: أتخافين عليه! والله لن يكون للشيطان على ابني سبيل.

وفي بيئة تنتشر فيها قصص الشياطين والجن، ترى أمه النور وتشعر بخفة حمله وترى كراماته ومعجزاته المتعاقبة وهو ما زال ﷺ في مرحلة الصغر:

روى عبد الرزاق في مصنفه ٥/ ٣١٧ عن معمر عن الزهري قوله:

(..فتوفي عبد الله بها وولدت آمنة رسول الله ﷺ فكان في حجر عبد المطلب فاسترضعته امرأة من بني سعد بن بكر، فنزلت به التي ترضعه سوق عكاظ، **فرآه كاهن من الكهان فقال: يا أهل عكاظ، اقتلوا هذا الغلام فإن له ملكاً**، فراعت به أمه التي ترضعه، فنجاه الله، ثم شب عندها حتى إذا سعى وأخته من الرضاعة تحضنه، فجاءته أخته من أمه التي ترضعه فقالت: أي أمتاه! إني رأيت رهطاً أخذوا أخي آنفاً؛ فشقوا بطنه، فقامت أمه التي ترضعه فزعة حتى أتته، فإذا هو جالس منتقعاً لونه لا ترى عنده أحداً.

فارتحلت به حتى أقدمته على أمه فقالت لها: اقبضي عني، ابنك فإني قد خشيت عليه.

فقالت أمه: لا والله ما بابني ما تخافين لقد رأيت وهو في بطني أنه خرج نور مني أضاءت منه قصور الشام ولقد ولدته حين ولدته فخرَّ معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء فافتصلته أمه وجده عبد المطلب، ثم توفيت أمه...) انتهى.

الوجه السابع: قال السيوطي رحمه الله: (وإذا كان قد صح في أبي طالب أنه أهون أهل النار عذاباً لقرابته منه صلى الله عليه وآله وسلم وبره به، مع إدراكه الدعوة وامتناعه

من الإجابة وطول عمره، فما ظنك بأبويه اللذين هما أشد منه قرباً، وآكد منه حباً، وأبسط عذراً وأقصر منه عمراً؟!

فمعاذ الله أن يظن بهما أنهما في طبقة أهل الجحيم وأن يشدد عليهما العذاب العظيم! هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق)(١) انتهى، وقد سبق بيان أدلة ذلك.

الوجه الثامن: قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ [التوبة :٢٨] ، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم طاهر خرج من صلب ورحم طاهرين، بدليل:

قول الله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء] . قال ابن عباس: أي: في أصلاب الآباء: آدم؛ ونوح؛ وإبراهيم؛ حتى أخرجه نبياً(٢) .

وقال ابن كثير في تفسيره للآية: وروى البزار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية: (يعني تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي حتى أخرجه نبياً) انتهى.

- ودليل طهارته اصطفاء الله تعالى لآباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران] .

قال ابن كثير في تفسيره للآية: (يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض ،فاصطفى آدم عليه السلام ،خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة.

---

(١) انظر كتاب : سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي الدمشقي ٢/ ١٢٥، وشرح المواهب اللدنية ١/ ٣٥٢.

(٢) تفسير القرطبي سورة الشعراء آية ٢١٩.

واصطفى نوحاً عليه السلام وجعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض لما عبد الناس الأوثان وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وانتقم له لما طالت مدته بين ظهراني قومه يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، فلم يزدهم ذلك إلا فراراً، فدعا عليهم فأغرقهم الله عن آخرهم ولم ينج منهم إلا من اتبعه على دينه الذي بعثه الله به.

واصطفى آل إبراهيم ومنهم سيد البشر خاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ، وآل عمران والمراد بعمران هذا هو والد مريم بنت عمران أم عيسى ابن مريم عليه السلام .) انتهى.

أخرج مسلم عن وَاثِلَةَ بْنَ الأَسْقَعِ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**) ورواه الترمذي وأحمد.

قال في عون المعبود شرح أبي داود -باب الصدقة على بني هاشم : (وبنو هاشم هم: آل علي، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب، وهاشم هو: ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة). فهذا الاصطفاء ليس له معنى إن لم يكن آباء نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من المؤمنين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله قسم خلقه قسمين **فجعلني في خيرهما قسماً** ، ثم جعل القسمين أثلاثاً، **فجعلني في خيرها ثلثاً**، ثم جعل الأثلاث قبائل، **فجعلني في خيرها قبيلة** ، ثم جعل القبائل بيوتاً، **فجعلني في خيرها بيتاً**، فذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب](١) .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٥١، وأبو حاتم الرازي في العلل(٢٦٩٣)، وابن كثير في البداية والنهاية ٢/ ٢٥٧ ،وذكره الهيثمي في المجمع ٨/ ٢١٤، انظر سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تأليف الإمام: محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي، تحقيق الشيخين: عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض ،ط دار الكتب العلمية بيروت . ١/ ٢٣٥-٢٣٦.

الوجه التاسع : دليل إيمان آمنة بنت وهب -أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم - بالله تعالى، وأنها على الملة الحنيفية:

روى أبو نعيم في (دلائل النبوة) - بسند ضعيف قاله السيوطي - من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في علتها التي ماتت فيها، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيك الله من غلام   يا بن الذى من حومة الحمام

نجا بعون الملك المنعام   فودى غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام   إن صح ما أبصرت فى المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام   من عند ذى الجلال والإكرام

دين أبيك البر إبراهام   فالله ينهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميّت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة، وذكري باق، وقد تركت خيراً ، وولدت طهراً ، ثم ماتت ، وكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاةَ البَرَّة الأمينهْ   ذات الجمال العفة الرزينهْ

وصاحب المنبر في المدينهْ   صارت لدى حفرتها رهينهْ

ثم علق السيوطي - في مسالك الحنفا :

(وأنت ترى هذا الكلام منها صريحاً في النهي عن موالاة الأصنام مع الأقوام، والاعتراف بدين إبراهيم ﷺ ، ويبعث ولدها إلى الأنام، من عند ذي الجلال والإكرام بالإسلام، وهذه الألفاظ منافية للشرك، وقولها: تبعث بالتحقيق، كذا هو في النسخة، وعندي أنه تصحيف، وإنما هو بالتخفيف).

ويتابع السيوطي رحمه الله بحثه فيقول :

(ثم إني استقرأت أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات، فأم إسحاق وموسى وهارون وعيسى وحواء أم شيث عليهم السلام مذكورات في القرآن، بل قيل بنبوتهن، وورد بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم يعقوب وأمهات أولاده، وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذي الكفل عليهم السلام، ورجحه ابن حبان في تفسيره) انتهى كلام السيوطي.

الوجه العاشر: جمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه أباه وأمه:

أخرج البخاري في صحيحه -كتاب الجهاد/ باب المجن ومن يترس صاحبه بترس صاحبه ، وكتاب المغازى باب إذ همت طائفتان، وكتاب الأدب/ باب قول الرجل فداك أبي وأمي - والطحاوي في شرح مشكل الآثار- عن عَليٍّ ﷺ قَال : مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لأَحَدٍ إلا لسَعْدِ بنِ مَالِكٍ فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُول يَوْمَ أُحُدٍ: ((يَا سَعْدُ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)) ورواه مسلم.

- أخرج البخاري في صحيحه -كتاب المغازي/ باب إذ همت طائفتان- عَنْ ابْنِ المُسَيبِ أَنَّهُ قَال: قَال سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَقَدْ جَمَعَ لي رَسُول الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَبَوَيْهِ كِليْهِمَا، يُرِيدُ حِينَ قَال: ((فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)) وَهُوَ يُقَاتِل [1] .

---

(١) وقال الحافظ ابن حجر في الفتح باب قول الرجل: ((فداك أبي وأمي)): أي: هل يباح أو يكره؟(وقد استوعب الأخبار الدالة على الجواز أبو بكر بن أبي عاصم في أول كتابه « آداب الحكماء » وجزم بجواز ذلك فقال: للمرء أن يقول ذلك لسلطانه ولكبيره ولذوي العلم ولمن أحب من إخوانه غير محظور عليه ذلك ، بل يثاب عليه إذا قصد توقيره واستعطافه، ولو كان ذلك محظوراً لنهى النبي ﷺ قائل ذلك ولأعلمه أن ذلك غير جائز أن يقال لأحد غيره) انتهى.

- أخرج مسلم في صحيحه -كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل طلحة والزبير- والطحاوي في شرح مشكل الآثار عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ مَعَ النِّسْوَةِ فِي أُطُمِ حَسَّانَ فَكَانَ يُطَأْطِئُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ، وَأُطَأْطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ، فَكُنْتُ أَعْرِفُ أَبِي إِذَا مَرَّ عَلَى فَرَسِهِ فِي السِّلَاحِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ.

قَالَ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الله بْنُ عُرْوَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لأَبِي فَقَالَ: وَرَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟

قُلتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا وَالله لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ أَبَوَيْهِ! فَقَالَ: ((فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي)).

وعن زر : كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ساجداً فجعل الحسنُ والحسين يركبان على ظهره ، قال: فلما انصرف ، قال: ((**بأبي أنتما وأمي**، من أحبني فليحب هذين)).

وأخرج الطحاوي في شرح مشكل الآثار ١٤/ ٢٨٣ -باب بيان مشكل فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن فداه أباه وأمه) أورد بعض الأحاديث السابقة بسنده ثم علق أبو جعفر الطحاوي بقوله:

(يدل على ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد لمن قال له هذه الأقوال المذكورة في هذه الآثار وهو:

لو أقدرُ على أن أجعل أبي وأمي فداء لمن جعلتهما فداء له لفعلت، فيكون ذلك **قد بلغ من قلبه نهاية ما يبلغ مثله منه، ويكون من قال ذلك له قد علم منه أنه من قلبه في نهاية ما يكون منه مثله من قلب مثله، والله الموفق**).

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم:

قوله: (**فيه جواز التفدية بالأبوين**، وبه قال جماهير العلماء، وكرهه عمر بن الخطاب والحسن البصري رضي الله عنهما، وكرهه بعضهم في التفدية بالمسلم من أبويه.

والصحيح الجواز مطلقا ؛ لأنه ليس فيه حقيقة فداء، **وإنما هو كلام وألطاف وإعلام بمحبته له، ومنزلته**، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالتفدية مطلقاً) انتهى كلام النووي.

وفي تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي في شرح حديث سعد:

(قوله: ((فِداك أبي وأمي)) بكسر الفاء، أي: أبي وأمي مفدى لك، **وفي هذه التفدية تعظيم لقدره، واعتداد بعمله، واعتبار بأمره، وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيبذل نفسه؛ أو أعز أهله له)** انتهى.

وهنا لا بد أن نشير إلى الفرق بين أن يقول الأعلى للأدنى: فداك أبي وأمي، فله أهمية خاصة، واعتبار مهم، ومنقبة كبيرة يفضل بها على أقرانه.

وبين أن يقولها الأدنى للأعلى، فهو أمر عادي، فقول الأعلى للأدنى ذلك دليل التأكيد والأهمية والمثلية كما ذكر الطحاوي، أو بذل نفسه أو أعز أهله له، حسب قول ابن حجر.

ولو كانت كلمة تقال ولا افتخار بها، لما افتخر بها سعد وفرح بها فقال: **لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَبَوَيْهِ كِلَيْهِمَا**.

ولما افتخر بها الزبير فقال لابنه: أَمَا وَالله لَقَدْ جَمَعَ لِي رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ أَبَوَيْهِ . والله أعلم.

ولو كانت أمراً عادياً لما اختلف فيه العلماء كما نقلناه عن ابن حجر والنووي، والله أعلم.

وقول المخالف بأنها كلمة عادية وأن عادة العرب قولها: (فداك أبي وأمي) لورد ذلك بكثرة، ولما رأينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم خص بها بعض أصحابه ، ولما افتخر أولئك الأصحاب بها. وبهذا التخصيص لبعض صحابته علمنا مكانة أولئك الصحابة منزلتهم بمنزلة أبويه، وقد قالها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أحلك الظروف وأصعبها وذلك في المعركة حيث رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفدية أولئك

الصحابة بأرواحهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان جوابه صلى الله عليه وآله وسلم ورده لهم بالمثل.

الوجه الحادي عشر: إذا كان الله تعالى سيخفف عن أبي طالب العذاب وقد بلغته الدعوة، لمدافعته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفلا يكون تقديم الخير للتي حملت تسعة أشهر، وربت ست سنوات، وفقدت الزوج والمعيل، ولم تبلغها الدعوة لها أولى؟!

وإذا كان الله يخفف العذاب كل يوم اثنين عن أبي لهب لفرحه بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم – كما هو في صحيح البخاري- وهو الذي نزلت في كفره آيات ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المسد] ، أفلا تنجو الأم التي حملت، وربت ولم تبلغها الدعوة؟!!.

– وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرد الجميل لكل من أسدى إليه معروفاً، ولو بحمل ماء الوضوء، أفلا يرد جميل أمه التي حملته وأرضعته وربته ست سنوات، وعاشت أيماً وحبست نفسها ولم تتزوج، وقامت على تربية طفلها اليتيم حتى ماتت مهاجرة بعيدة عن مدينتها؟!! وهو القائل من كانت صفتها كذلك فهي معه في الجنة .

أخرج أبو داود -كتاب الأدب- عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوْمَأَ يَزِيدُ بِالْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ، امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا)) ورواه الإمام أحمد.

– ولماذا لا تكون المرأة التي يتحدث عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سفعاء الخدين هي أمه، وأنها هي معه في الجنة، وقد تحققت بها صفات الحديث؟!

– وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي ببر الوالدين، فأين بره لوالديه إن لم يشفع لهما، وهما لم تبلغهما الدعوة؟! وهو القائل:

فيما رواه مسلم -كتاب العتق- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إلا أَنْ يَجِدَهُ مملوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ)) ورواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

أفلا يعتقهما يوم القيامة ويشفع لهما!!

– وإذا كان الله تعالى وصف نبيه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ [الأنبياء] لكل العالمين لمن سبقه ولمن بعده ، فأين رحمته بوالديه، إن لم يشفع لهما؟!

– وهكذا قل في كل أمر، فسوف تجد أن رحمة الله تعالى بعباده، ورحمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بوالديه يؤكدان نجاتهما من النار إن شاء الله تعالى، وما ذلك على الله بعزيز، وقد قال الله تعالى :

﴿ ما يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ۝١٤٧ ﴾ [النساء]

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة :١٨٥] .

﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧ ﴾ [يوسف]

﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦ ﴾ [الحجر] .

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦ ﴾ [الأعراف] .

وقد أحسن والدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه غاية الإحسان، حيث ماتا كليهما بعيداً عن الوطن، مريضين:

– فمات والده في المدينة وقد خرج من مكة للسعي على رزق والديه وزوجته وجنينه، ومات مريضاً مهاجراً بعيداً عن وطنه.

- وماتت أمه مريضة بعيدة عن الوطن مهاجرة من أجل تعريف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصلة رحمه، وبقبر والده[1]، فماتت راجعة من المدينة إلى مكة المكرمة فأدركها الموت بالأبواء ودفنت هناك.

فهذا إحسانها لولدها، والأمل معقود برحمة الله أن تنالها لإحسانها لنبيه إن شاء الله تعالى، وخاصة إذا علمنا:

أخرج البخاري في صحيحه -كتاب الجهاد والسير- باب الشهادة سبع- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:(الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ وَالمَبْطُونُ وَالغَرِقُ وَصَاحِبُ الهَدْمِ وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ) ورواه مسلم وأحمد ومالك والنسائي والترمذي وأبو داود وابن ماجه فهي ماتت مبطونة مريضة.

فماتا مهاجرين مريضين صغيري السن ولم يكن لهما أي حظ من حظوظ الدنيا، سوى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن لهما أي دور في الحياة؛ سوى إنجاب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ونقول للمعارض: ثبت زيارة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقبر أمه ومعه الصحابة فبكى وأبكى الصحابة معه، فنقول للمعارض الذي يدعي تطبيق السنة:

أليس لنا أسوة وقدوة بالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم في اتباعه في زيارة قبر أمه؟ وأنه أصبح زيارة قبرها سنة لمن بعده؟! فهل يستجيب؟ أم قام البعض والعياذ بالله بطمس معالم قبرها ورش الطرق المؤدية إليه بالأسفلت السائل حتى لا يصله أحد!! فأين اتباع وحب السنة النبوية؟!

---

(١) قال العلامة الألوسي في تفسيره (روح المعاني) ج٢٥/ ص٣٠:

(له عليه الصلاة والسلام قرابة من الأنصار لأنهم أخواله: فإن أم عبد المطلب وهي سلمى بنت زيد النجارية منهم، وكذا أخوال آمنة أمه عليه الصلاة والسلام كانوا على ما في بعض التواريخ من الأنصار أيضاً).

الوجه الثاني عشر: إن النشأة الجنينية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تمت في رحم والدته آمنة فتغذى من جسمها ونمى من لحمها، وتنفس من نفسها، ونفخ فيه الروح في رحمها، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « من نبت لحمه من سحت فالنار أولى به» رواه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير ، فدل على حلال طعامها وشرابها، في بيئة جاهلية لا تعرف الحلال ولا الحرام ، فإذا كان طعامها من حلال – وهو المفترض- فمن جعلها تأكل الحلال الطيب ؟ أليست العناية الربانية بها وبجنينها محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم !! فكيف يعذب الله تعالى من قدمت كل ذلك لحبيب الله تعالى ولا يكرمها بجنته يوم القيامة!! وقد أحسن الله لأبي لهب لفرحه بولادة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بتخفيف العذاب عليه كل يوم اثنين كما روى رؤيته العباس في صحيح البخاري ، ويخفف الله تعالى العذاب عن أبي طالب لأنه دافع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ذكر القاضي عياض في كتابه (الشفا في تعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم): (أن جمهور العلماء على أن التربة التي تضم جسد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي أفضل بقاع الأرض)، فكيف بالرحم الذي حوى وترعرع فيه ونشأ منه صلى الله عليه وآله وسلم؟ فهو أفضل رحم على الإطلاق.

أخرج البيهقي في (شعب الإيمان) حديثاً مسنداً قال: أخبرنا أبو الحسن بن بشران، أنا أبو جعفر الرزاز، ثنا يحيى بن جعفر، أنا زيد بن الحباب، أنا ياسين بن معاذ، أنا عبد الله بن مرثد، عن طلق بن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((لو أدركت والديَّ أو أحدهما، وأنا في صلاة العشاء وقد قرأت فيها بفاتحة الكتاب ينادي: يا محمد، لأجبتها: لبيك)) .

أورده البرزنجي في سداد الدين ص ٢٤٥ ثم قال: (وفي هذا الحديث من التنويه بعظيم قدرهما ما لا يخفى) .

والله أعلم وهو الهادي للصواب، وهذا ما يميل إليه القلب والعقل، وبالله التوفيـق، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، سبحانه.

الباب الخامس

حديث إحياء والدى النبى ﷺ ولو كان ضعيفا ؛ لأن الحديث الضعيف أحب من رأى الرجـال عند الإماميـن أبى حنيفة النعمان وأحمد

الباب الخامس

حديث إحياء والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ولو كان ضعيفاً؛ لأن الحديث الضعيف أحب من رأي الرجال عند الإمامين أبي حنيفة النعمان وأحمد

أولاً: ذكر روايات حديث إحياء الأبوين الشريفين:

قال الحافظ السيوطي في رسالته: (نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين) ص ٤ ومدار الأحاديث الثلاثة على أبي بكر محمد يحيى الزهري وقد ضعفه السيوطي رحمه الله تعالى:

١- الرواية الأولى : قال الحافظ أبو حفص بن شاهين في كتابه (الناسخ والمنسوخ) :

حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الأنصار ، ثنا محمد بن يحيى الحضرمي بمكة ثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري ، ثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ،عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء ربه عز وجل ثم رجع مسروراً، فقلت: يا رسول الله نزلت إلى الحجون كئيباً حزيناً، فأقمت به ما شاء الله ثم رجعت مسروراً قال: ((**سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها**)).

٢- الرواية الثانية: قال الحافظ محب الدين الطبري في السيرة:

أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامى إجازة ، أخبرنا أبو منصور محمد ابن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد قال: أخبرنا القاضي **أبو بكر محمد بن يحيى**

الزهري ، **حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري** ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها وذكر الحديث.

٣- الرواية الثالثة : قال الحافظ أبو بكر بن الخطيب في كتاب (السابق واللاحق):

أخبرنا أبو العلاء الواسطي حدثنا الحسين بن علي بن محمد الحلبي ، حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد ، حدثنا علي بن أيوب الكعبي ،حدثنا **محمد بن يحيى الزهري أبو غزية ، حدثنا عبد الوهاب بن موسى** ، حدثنا مالك بن أنس ، عن أبي الزناد ، عن هشام ابن عروة يعني عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها... وذكر الحديث.

ثم قال السيوطي: أخرجه من هذا الطريق الحافظ أبو القاسم بن عساكر في غرائب مالك وقال: منكر.

قلت:أي: السيوطي: والمنكر من أقسام الضعيف لا الموضوع وهو أعلى رتبة من المتروك الذي هو أيضاً من أقسام الضعيف لا الموضوع كما هو مقرر في علم الحديث) انتهى.

وقد ناقش السيوطي رجال السند وانتهى إلى أن الحديث ضعيف السند.

ثم نقل احتجاج العلامة ناصر الدين بن المنير في (المقتفى في شرف المصطفى) والقرطبي في (التذكرة) ثم قول الصفدي شعراً مؤيداً، ثم أورد قول الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقي في كتابه (مورد الصادي في مولد الهادي) بعد إيراده الحديث منشداً لنفسه :

حبا الله النبي مزيد فضل   على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه   لإيمان به فضلاً لطيفاً
فسلم فالقديم بذا قدير   وإن كان الحديث به ضعيفاً

ثم قال الإمام السيوطي: **فمشى على أن الحديث ضعيف لا موضوع، وهو معدود في رتبة الحفاظ.**

ثم نقل عن ابن حجر في كتابه (القول المسدد في الذب عن مسند أحمد) قوله:

(وقد ثبت عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة أنهم قالوا: إذا روينا في الحلال والحرام شددنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا) انتهى.

ثانياً : ذكر معارضي حديث إحيائهما:

أورد ابن كثير قولين له

- الأول تضعيف حديث الإحياء فقال في تفسيره ١/ ١٦٣:

(قلت: والحديث المروي في حياة أبويه ﷺ ليس في شيء من الكتب الستة ولا غيرها، **وإسناده ضعيف والله أعلم**).

- الثاني في تفسيره ٢ / ٣٩٥ منتقداً سند الحديث فقال: (وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي في كتاب (**السابق واللاحق**) بسند مجهول عن عائشة في حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه ، فآمنت ثم عادت وكذلك ما رواه السهيلي في (**الروض**) بسند فيه جماعة مجهولون : ((إن الله أحيا له أباه وأمه فآمنا به)) ، وقد قال **الحافظ ابن دحية** : في هذا الاستدلال بما حاصله : أن هذه حياة جديدة كما رجعت الشمس بعد غيبوبتها وصلى علي كرم الله وجهه العصر ،**قال الطحاوي** : وهو حديث ثابت يعني حديث الشمس.

وقال القرطبي: فليس إحياؤهما يمتنع عقلاً، ولا شرعاً، قال: وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب فآمن به **قلت : وهذا كله متوقف على صحة الحديث فإذا صح فلا مانع منه والله أعلم**) انتهى.

وممن ذهب إلى وضعه كما ذكره السيوطي ورد عليهم رداً علمياً في رسائله منها (التعظيم والمنة ص٢٠) السادة العلماء: الدارقطني والجوزقاني وابن ناصر وابن الجوزي وابن دحية.

ولا يعني قولهم بوضع حديث الإحياء أو رفضهم للعمل به، أنهم مع قول المعارض، وإنما قالوا رأيهم في سند حديث الإحياء فقط.

وفهم أحد المعارضين المعاصرين بأن الاحتجاج بحديث إحياء الأبوين الضعيف في قول والموضوع في قول آخر لأهل العلم، دليل على صحة دعواه فيما سبق – والعياذ بالله ، وزعم أن الاحتجاج بهذا الحديث دليل عدم النجاة حتى تم الاستعانة بهذا الحديث الموضوع في رأيه.

والجواب : إن حديث إحياء والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حصل في حجة الوداع، والإيمان به بعد إحيائهما يؤيد رأينا من عدة وجوه:

١- بعد الإحياء يكونان مبلغين ببعثته فوجب الإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ما حصل بإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كان سند الحديث ضعيفاً، أما قبل الإحياء فما ذكرنا من الأدلة فيما سبق كافية للرد على المعارض، حيث هما من أهل الفترة، وهما من الحنفاء، وتم حمل الحديث على المجاز وليس على الحقيقة ، كما قال ابن حجر الهيتمي وما ذكرنا من قرائن بما هو كاف.

٢- إن تفسير المعارض يدل على الترصد، بحيث يصر عناداً -والعياذ بالله تعالى- على تفسير وتأويل كل خبر لتأييد رأيه.

٣- إن حديث إحياء الأبوين له معنى عظيم حيث دخل الأبوان الشريفان ضمن الأمة المحمدية، ونالا شرف الاتباع بالإضافة إلى شرف الأبوة والأمومة.

٤- إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإحياء الله تعالى له والديه وإيمانهما به، يكون صلى الله عليه وآله وسلم قد استجمع جميع المعجزات التي وهبها الله تعالى للرسل الذين قبله، كما أعطاه الله تعالى جميع ما أعطاه للرسل عليهم السلام، فاجتمعت كل الفضائل وكل المعجزات في شخص رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه خاتم الرسل، وأنه أرسل للعالمين، مع وجوب إيمانهم به قبل أن يروه، وتبشيرهم به قبل أن يبعث، ودعوتهم لمؤمنيهم أن يؤمنوا به عند بعثته، وما انتظار الرسل في حديث المعراج وفرحهم ببعثته إلا دليل ذلك.

٥- إن حديث إحياء الأبوين الشريفين يؤيده إحياء الأنبياء جميعاً لمشاهدة ولقاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصلاته بهم في المسجد الأقصى ولقائه بهم في السماوات العلى، في ليلة الإسراء والمعراج، فليس غريباً إحياء الله تعالى أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإيمانهما به، كما حصل لسيدنا عيسى من إحياء الموتى بإذن الله تعالى، فطلاقة القدرة الإلهية لا يحدها أحد.

٦- استشهد المؤيدون لحديث الإحياء بأنه شاءت القدرة الإلهية أن يميت قوماً ويحييهم كما أخبر سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾[البقرة] .

وشاءت القدرة الإلهية أن تميت وتحيي رجلاً من بني إسرائيل: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾[البقرة:٢٥٩] .

فمعجزات الله لا تنقضي عجائبها، وإحياء الوالدين الشريفين إحداها.

ثانياً : ذكر العلماء المحتجين بحديث إحيائهما :

وجدنا أن الأمر عند ابن كثير تضعيفه للحديث صراحة في القول الأول، وجعله منكراً في القول الثاني (وهو من أقسام الضعيف كما قال السيوطي) وليس موضوعاً، فإذا علمنا كثرة عدد العلماء الذين أخذوا بحديث الإحياء، واحتجاجهم بهذا الحديث على نجاتها، واعتبروه ناسخاً لكل ما ورد فهمه من الأدلة المخالفة، رغم عدم الإقرار بفهم المعارض، وتأكيداً لنجاتها، وإنما مشوا مع المعارض بالحجة على سبيل الفرضية، وليس كما فهمه المخالف نتيجة عدم وضوح الحجة.

وقال العجلوني (ت ١١٦٢ هـ.) في كشف الخفاء ج١/ ص٦١:

(ويمكن الجواب بأن ما في الصحيح كان أولاً ؛ ثم أحياهما الله تعالى حتى آمنا به ﷺ، معجزة له، وخصوصية لهما؛ في نفع إيمانهما به بعد الموت، على أن الصحيح عند الشافعية من الأقوال : إن أهل الفترة ناجون، وقد ألف كثير من العلماء في إسلامهما، شكر الله سعيهم ، منهم الحافظ السخاوي فإنه قال في المقاصد: وقد كتبت فيه جزءاً، والذي أراه الكف عن هذا إثباتاً ونفياً[1]، وقال في الدرر: **أخرجه بعضهم بإسناد ضعيف**).

قال ابن حجر في (الإصابة):وجدت للحديث ثلاثة شواهد عن ثلاثة من الصحابة[2].

ومن هؤلاء العلماء الذين احتجوا بحديث إحياء الوالدين الشريفين[3]:

١- الحافظ أبو حفص بن شاهين المتوفى: ٣٨٥ هـ[4].

---

(١) كان بودي ألا يتكلم أحد في المسألة، ولكن عندما رأيت الخصم يربي أولاد المسلمين بخلافه، عزمت على الكتابة بكل لطف وأدب، وقد آتى هذا الكتاب أكله، حيث بحمد الله بدأ المعارضون يستجيبون، وهذا دليل حبهم الصادق للرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) انظر : سداد الدِّين وسِداد الدَّين للبرزنجي ص ٣١٣.

(٣) انظر (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد) لمحمد بن يوسف الصالحي الدمشقي ١/ ٢٥٩ الذي ذكر أسماء الثمانية الأوائل، وقال: إن هؤلاء الحفاظ خالفوا ابن الجوزي فذكروا الحديث من قسم الضعيف الذي يجوز روايته في الفضائل والمناقب، لا من قسم الموضوع.

(٤) الحافظ ابن شاهين: عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن أيوب بن أزداذ الحافظ، أبو حفص بن شاهين، الواعظُ،محدِّثُ بغداد،رحل وسمع وحدَّث، وروى عنه جماعة. قال ابن ماكُولا: ثقةٌ مأمون؛ سمع بالشام والعراق والبصرة وفارس، وجمع الأبواب والتراجم، وصنّف كثيراً. وقيل : إنه صنَّف ثلاثمائة وثلاثين مصنَّفاً، أحدها «التفسير الكبير» ألف جزء، و «المسند» ألف وثلاثمائة جزء، و«التاريخ» مائة وخمسون جزءاً، و «الزهد» مائة جزء. وقد وثَّقوه؛ قال الخطيب: سمعت محمد بن عمر الداودي يقول: كان ابن شاهين ثقة يشبه الشيوخ، إلا أنه كان لحّاناً، وكان لا يعرف في الفقه لا قليلاً ولا كثيراً. توفي في ذي الحجة، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. عن (الوافي بالوفيات) للصفدي.

٢- الإمام المحدث أحمد بن علي واشتهر بالخطيب البغدادي:٣٩٢-٤٦٣ هـ.

٣- الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي: ٤٩٩-٥٧١ هـ.

٤- الحافظ عالمُ الأندلس أبو زيدٍ عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ إصبغَ الخَثْعَمِيُّ السُّهَيْلِيُّ المَالَقِيُّ الضَّريرُ صاحبُ «الرَّوْض الأُنُفِ» المتوفى: ٥٨١هـ .

٥- الإمام المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت:٦٧١هـ) في تذكرته.

٦- العلامة ناصر الدين بن المُنَيِّر المالكي (ت: ٦٨٣ هـ)[1] في كتابه: (المقتفى في شرف المصطفى).

٧- الحافظ أبو العباس محب الدين أحمد بن محمد الطبري(٦١٥- ٦٩٤هـ) في كتابه السيرة.

٨- الحافظ فتح الدين بن سيد الناس البصري الشافعي (٦٦١-٧٣٤ هـ) في كتابه: (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير).

---

(١) أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار. القاضي ناصر الدين بن المُنيّر. الجُذامي الجَرَوي الإسكندراني قاضي الإسكندرية وعالمها وأخو زين الدين علي. ولد سنة عشرين وستمائة؛ كان مع علومه له اليد الطولى في الأدب وفنونه، وله مصنفات مفيدة وتفسير نفيس وهو سبط الصاحب نجيب الدين أحمد بن فارس، فالشيخ كمال الدين بن فارس شيخ القراء خاله. وقد سمع الحديث من أبيه ومن يوسف بن المخيلي وابن رواج وغيرهم، وكان لا يناظر تعظيماً لفضيلته بل تورد الأسئلة بين يديه ثمّ يُسمع ما يجيب فيها.

وله تأليف على «تراجم صحيح البخاري». وولي قضاء الإسكندرية وخطابتها مرتين، ودرَّس بعدة مدارس. وقيل : إن الشيخ عز الدين بن عبد السلام كان يقول: ديار مصر تفتخر برجلين في طرفيها: ابن المنيّر بالإسكندرية وابن دقيق العيد بقوص. وكنيته أبو العباس ابن الإمام العدل وجيه الدين أبي المعالي بن أبي علي. وله «ديوان خطب» و «تفسير حديث الإسراء» في مجلد على طريقة المتكلمين لا على طريقة السلف. وتوفي في مستهل ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة بالثغر. انظر : الوافي بالوفيات للصفدي.

٩- الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي (ت: ٨٤٢) في كتابه: (الصادي في مولد الهادي).

١٠- الإمام المفسر الأصولي حافظ الدين أبو البركات النسفي الحنفي (٧١٠ هـ) فهو ممن ذهب إلى نجاتهما، وروى الحديث في إحيائهما، وهو ممن شرح مناقب الإمام أبي حنيفة ﷺ[1].

١١- الحافظ بدر الدين العيني الحنفي (٧٦٢-٨٥٥ هـ).

١٢- الحافظ المجدد[2] للمائة التاسعة جلال الدين السيوطي الشافعي (ت ٩١٠ هـ) له نحو من ٦٠٠ كتاب قاله الزركلي في الأعلام.

١٣- الحافظ السخاوي في كتابه الدرر الكامنة.

١٤- الإمام أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي الشافعي (٩٠٩-٩٧٣ هـ).

١٥- خاتمة المحدثين العلامة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (ت:١١٢٢ هـ).

١٦- العلامة ملا علي القاري الحنفي (ت: ١٠٢٤هـ) في شرحه لكتاب: (الشفا في تعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض وذلك في طبعة استنابول ١٣١٦هـ. في موضعين ١/ ٦٠١ و ١/ ٦٤٨ كما نقلناه في الباب الثاني.

١٧- الإمام محمد أمين بن عمر بن عابدين (١١٩٨-١٢٥٢هـ) في كتابه النفيس: (رد المحتار على الدر المختار) المسماة بحاشية ابن عابدين، وعند علماء الهنود يقولون: قال الشامي فيعنونه.

---

(١) انظر: سداد الدين للبرزنجي ص ١١٠. وحافظ الدين النسفي هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي صاحب تفسير النسفي المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) وصاحب كتاب (كنز الدقائق) في الفقه الحنفي، و(كشف الأسرار شرح المنار) في أصول الفقه وغيرها.

(٢) قاله عبد الحي اللكنوي الهندي رحمه الله في كتابه (التعليقات السنية).

١٨- ومن المعاصرين الإمام محمد أبو زهرة في كتابه: خاتم النبيين ١/ ١٢٣.

فهؤلاء جميعاً قبلوا واحتجوا بحديث إحياء والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإيمانهما به، وكل واحد من هؤلاء العلماء الأجلة له مكانته العلمية المعتبرة والمهمة، وليس عبثاً أن يقبلوا الاعتقاد والعمل بهذا الحديث الشريف في هذه المسألة المهمة. والله أعلم.

وهؤلاء الذين قبلوا به؛ لهم وزنهم العلمي، ويجب أن نحترم رأيهم، فمنهم المحدث والفقيه والمفسر، ومنهم من جمع أكثر من علم، أي: لا يستهان بقبولهم العمل بحديث الإحياء ولو كان ضعيفاً؛ لأنه لا ينبني عليه حكم فقهي يغير من أحكام الشريعة، بل هو موافق للآيات الكريمة التي أوردناها سابقاً.

بيد أننا نحترم رأي غيرهم من العلماء ممن لم يقبلوا العمل بهذا الحديث، فيكفيهم من الردود ما قدمناه لهم.

وقد يقول قائل: كيف رددت الحديث الصحيح وقبلت العمل بالحديث الضعيف؟

والجواب:

- إن الحديث الصحيح قد خالف معناه الآيات الصريحة، أي: خالف ظني الثبوت والدلالة قطعي الثبوت والدلالة، وهي الآيات القرآنية، فصح عندها الاستدلال بالحديث الضعيف للترجيح.

- أو إن الحديثين الصحيحين لم نسلم للمعارض بالمعنى الذي أورده بها أوردنا من الأدلة، فبقي الأمر مختلفاً فيه، فجاء هذا الحديث فقبله هؤلاء الأجلة من العلماء، ولا شك هم أعلم منا.

فلما حصل التعارض بينهما في الفهم، أصبح الترجيح بالحديث الضعيف قوي الدلالة، لأن الإمام أبا حنيفة والإمام أحمد قالا: الحديث الضعيف أحب إلي من رأي الرجال.

فإن احتج المعارض بكلام العلماء الآخرين، بأنهم لم يقولوا هذا القول، بل قالوا بوضع هذا الحديث؟

قلت: هناك أحاديث كثيرة مختلف في صحتها وحسنها وضعفها ووضعها، بين المحدثين أنفسهم بين متشدد: كابن الجوزي في كتابه الموضوعات، الذي تعقبه العلماء، فنفوا الوضع لجملة من الأحاديث، هذا أحدها، ومتساهل: كالحاكم في المستدرك على الصحيحين، والذي تعقبه الذهبي، فأقره وخالفه وسكت عن البعض، ومتوسط، وغيرهم، فالاختلاف قائم في كثير من الأحاديث وليس في هذا الحديث فحسب، وهذا الحديث أحدها، فما الضير أن يكون حديث إحياء الأبوين الشريفين واحداً منها، مما هو مختلف فيه، في أمر يتعلق بشخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

ثم أسأل: وما هذا الكبرياء والغرور العلمي في الرد؟ فحتى الاختلاف في الرأي مرفوض لدى المعارض؟! وما مصلحة المعارض في الإصرار على الرفض؟!.

وانظر إلى مناقشة الإمام ابن حجر الهيتمي في كتابه المنح المكية في شرح همزية البوصيري في مدح الرسول ﷺ حيث قال ١/ ١٥٥:

(إن آباء النبي غير الأنبياء، وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر؛ **لأن الكافر لا يقال في حقه: إنه مختار، ولا كريم، ولا طاهر، بل نجس** كما في آية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] وقد صرحت الأحاديث السابقة بأنهم مختارون، وأن الآباء كرام، والأمهات طاهرات، وأيضاً فهم إلى إسماعيل كانوا من أهل الفترة، وهم في حكم المسلمين بنص الآية، وكذا من إبراهيم إلى آدم، وكذا بين كل رسولين.

وأيضاً قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء] على أحد التفاسير فيه: أن المراد تنقل نوره من ساجد إلى ساجد، وحينئذ فهذا صريح في أن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم آمنة وعبد الله من أهل الجنة، لأنهما أقرب المختارين له.

وهذا هو الحق، بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه، أن الله أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما، وكرامة له صلى الله عليه وآله وسلم.

فقول ابن دحية: (يرده القرآن والإجماع)، ليس في محله، لأن ذلك ممكن شرعاً وعقلاً، على جهة الكرامة والخصوصية، فلا يرده قرآن ولا إجماع، وكون الإيمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة.

وقد صح أنه صلى الله عليه وآله وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى العصر أداء، كرامة له صلى الله عليه وآله وسلم فكذا هنا.

وطعن بعضهم في صحة هذا بما لا يجدي أيضاً، وخبر أنه تعالى لم يأذن لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم في الاستغفار لأمه، إما أنه كان قبل إحيائها له، وإيمانها به، أو أن المصلحة اقتضت تأخير الاستغفار لها في ذلك الوقت فلم يؤذن له فيه حينئذ.

إن قلت: إذا قررتم أنهما من أهل الفترة وأنهم لا يعذبون فما فائدة الإحياء؟ قلت- القول لابن حجر الهيتمي- فائدته إتحافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة، لأن غاية أمرهم أنهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب، وأما مراتب الثواب العلية، فهم بمعزل عنها، فأتحفا بمرتبة الإيمان زيادة في شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما، وفي هذا مزيد ذكرته في (الفتاوى) انتهى.

وقال القاضي الحنفي محيى الدين الشهير ببهاء الدين بن زادة (ت: ٩٥٢هـ) في كتابه: (القول الفصل في شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة) ص ٤٢٥:

(وهذا الخبر وإن كان مخالفاً لعموميات الشرع الدالة على أن الإيمان لا يعتبر إلا في الحياة الدنيا، **لكن لا يبعد أن يكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خصائص خارجة عن العموميات في حق نفسه**، كما تقرر في بعض من العبادات والمعاملات في حقه، وأبواه منه، فلا تبعد الخوارق في العادات الشرعية في حقهما أيضاً) انتهى.

قلت – محمد نور عفا الله عنه : المشكلة مع المعارض هي أنه وضع قاعدة مسبقة لفهمه – والعياذ بالله – برفض أي دليل، وبالتالي بدأ يماحك، ولو كانت في غير هذه المسألة لهان الخطب، ولكن هذه المسألة لها خطورتها لتعلقها بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتكرار المماحكة خطرة على اعتقاد المعارض، مما قد يسبب له الإساءة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من حيث لا يدري فيقع في الهاوية والعياذ بالله، ومهما يكن من أمر فإنه : ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف] وقوله تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزخرف] .

وإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا وقف أو مر على قبر عرف حالة صاحبه، وشاهده، كما في الصحيح مر على سيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام في الإسراء وجده قائماً في قبره يصلي[1] ، ولما مر على قبرين كما في الصحيح قال: (إنهما يعذبان)[2]، فيمكن أن يكون الإحياء من هذا الباب حيث رآهما روحاً فآمنا به، ونفعهما بذلك، لأن صاحب الرسالة هو ولدهما المبارك الرحمة المهداة من الله تعالى إلى العالمين جميعاً في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة والله أعلم.

---

(١) أخرج الإمام مسلم في صحيحه –كتاب الفضائل/ باب فضائل سيدنا موسى عليه السلام – عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَتَيْتُ –وَفِي رِوَايَةِ هَدَّابٍ– مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما واللفظ للبخاري –كتاب الوضوء/ باب من الكبائر ألا يستتر من بوله– عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : (يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ) ثُمَّ قَالَ: (بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ)، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِّ! لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: (لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا) وسؤال على الماشي: كيف نفع ميت (الجريدة) ميتاً (المتوفى)؟!

إن كل من يكتب بخلاف التأييد بالنجاة لوالدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون مسيئاً للرسول عليه الصلاة والسلام، لأنه أعمل عقله في الاتجاه المعاكس، وهنا يكمن الخطر والخطورة.

وفي دراسة سند رواية الإحياء للوالدين الشريفين الطاهرين، يتساهل في دراسة السند ما لا يتساهل في غيرها، وينظر إلى من ذهب إلى توثيق رواية السند، ولا ينظر إلى من ضعف رجال السند، لإثبات حسن القصد والمقصد، والله أعلم.

الباب السادس

من علامات نجاة الوالدين الشريفين

الباب السادس

من علامات نجاة الوالدين الشريفين

بقي معنا سؤال على سبيل الفرضية:

هب أن الأدلة السابقة قد تساوت -مع أن أدلة النجاة أقوى بكثير، فأيهما يأخذ المحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

مع اعتقاد أهل السنة والجماعة بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأمة ودعائه لوالديه بالرحمة ، وورود الحديث في شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته كلهم، وترضية الله تعالى له يوم القيامة حتى يرضى ، فكل ذلك علامة نجاتهما ، وإليك البيان:

أولاً : يبقى معنا دعاء الرسول لوالديه بالرحمة مستمراً استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء] **وإن كانت الآية** منسوخة فيمن ثبت كفر والديه أو أحدهما، ووالدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت ذلك عليهما، فتبقى مستمرة في حق والديه صلى الله عليه وآله وسلم، والتي باشر العمل بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، من يوم نزولها في مكة، ودعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مستجاب عند الله تعالى من المرة الأولى فكيف بمرات؟!

قال ابن جرير الطبري في تفسيره للآية: (.. ادع الله لوالديك بالرحمة، وقل : رب ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك، كما تعطفا علي في صغري، فرحماني وربياني صغيراً، حتى استقللت بنفسي، واستغنيت عنهما.

كما وأسند عن قتادة: هكذا علمتم، وبهذا أمرتم، خذوا تعليم الله وأدبه.

ذكر لنا أن نبي الله ﷺ خرج ذات يوم وهو ماد يديه رافع صوته يقول: ((من أدرك **والديه أو أحدهما ثم دخل النار بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه))**.

ولكن كانوا يرون أنه من بر والديه، وكان فيه أدنى تقى، فإن ذلك مبلغه جسيم الخير.

وقال جماعة من أهل العلم: إن قول الله – جل ثناؤه: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا (٢٤) ﴾ [الاسراء] منسوخ بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ (١١٣) ﴾ [التوبة] ذكر من قال ذلك:

ثم قال ابن جرير رحمه الله : وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عاماً في كل الآباء بغير معنى النسخ ، بأن يكون تأويلها على الخصوص ، فيكون معنى الكلام:

وقل : رب ارحمهما إذا كانا مؤمنين، كما ربياني صغيراً، فتكون مراداً بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شيء) انتهى كلام ابن جرير.

وقد ذكرنا أن آية النهي عن الاستغفار مصروفة إلى عمه أبي طالب لأنه كان سبب النزول كما في صحيح البخاري، وأما ما ورد عن ابن عباس فقد ضعف الرواية الإمام السيوطي. والله أعلم.

قال البرزنجي: (والمعلوم من أحواله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قالها [1] ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان من عادته أنه إذا مر بآية رحمة سألها، أو آية عذاب استعاذ، أو آية دعاء دعا، كما ثبت ذلك في الصحيح.

(١) أي: الآية : (وقل رب ارحمهما. ..).

ونكتة أخرى جليلة وهي: أنه أمره بالترحم لهما دون الاستغفار ؛ لأن المغفرة فرع وجود الذنب، وهو فرع التكليف، وهو فرع البعثة، وهما قد ماتا قبل البعثة، فلا تكليف، فلا ذنب، فلا استغفار حقيقة، وقوله تعالى:

(**ليغفر لك الله**) في حقه صلى الله عليه وآله وسلم مجاز أو مؤول) [1] .

وبذلك ثبت بالدليل الصريح بالآيات والأحاديث نجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النار إن شاء الله تعالى ، والله أعلم ومن الله التوفيق والهداية.

ثانياً: كل نسب وسبب موضوع يوم القيامة إلا سبب ونسب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب خطب إلى علي أم كلثوم فقال: أنكحنيها!، فقال علي: إني أرصدها لابن أخي جعفر، فقال عمر: أنكحنيها فوالله ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصد، فأنكحه علي ؓ فأتى عمر المهاجرين فقال: ألا تهنئوني!، فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟! فقال: **بأم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(كل نسب وسبب ينقطع**

(١) انظر كتاب : (سَدَاد الدِّين وسِداد الدَّين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين). ص ٨٤.

وهنا نكتة جميلة تغيب عمن لا يعلم مكانة وقدر المصطفى عند الله تعالى، وهو الفرق بين: قوله تعالى: (ليغفر لك الله):أي: (لك): أي: من أجلك، يغفر الله ما تقدم من ذنوب من آمن بك قبلاً وبعداً، ويؤيد هذا المعنى حديث الشفاعة الكبرى تتوجه الخلائق كلها إلى الشفيع المشفع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، تطلب منه الشفاعة، فيشفع لمن آمن به قبلاً وبعداً، وبذلك يتحقق وعد الله بمغفرة ذنوب الأمم قبلاً وبعداً من أجل حبيبه ومصطفاه، وبين أن تكون الآية (ليغفر الله لك): أي: ليغفر ذنوبك المتقدمة والمتأخرة، وشتان ما بينها، فافهمه فلن تجده في كتاب وإنما تلقيناه عن المحبين، ولا تكن من المنكرين والله أعلم.

يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي) فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب ونسب[1].

فهذا دليل أكيد على عناية ورعاية وشفاعة رسول الله ﷺ لوالديه الشريفين إذ هما سبب في وجوده.

وهل هناك أولى من رفع نسب والديه الشريفين اللذين هما سبب في وجوده الجسماني؟! فلا بد أن يرتفع نسبه وسببه صلى الله عليه وآله وسلم وأن يصدقه الله تعالى بما أخبر.

---

(١) أخرجه ابن حنبل في فضائل الصحابة ج٢/ ص ٦٢٥/ ح ١٠٦٩، ج٢/ ص٦٢٧/ ح١٠٧٠، وأخرجه الحاكم في مستدركه ج٣/ ص١٥٣/ ح٤٦٨٤، والبيهقي في سننه الكبرى ج٧/ ص٦٤/ ح١٣١٧١، ج٧/ ص٦٤/ ح١٣١٧٢، ج٧/ ص١١٥/ ح١٣٤٣٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ج٦/ ص١٦٣/ ح١٠٣٥٤، والطبراني في معجمه الأوسط ج٦/ ص٣٥٧ ح٦٦٠٩.

وقال ابن عابدين الحنفي في رسالته: (العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر) أخرجه أبو صالح المؤذن في أربعينيته والحافظ عبد العزيز بن الأخضر وأبو نعيم في معرفة الصحابة، انظر مجموعة رسائل ابن عابدين ١/ ٥.

قلت – محمد نور: وزواج سيدنا عمر من أم كلثوم رضي الله عنها مشهور، والمشهور لا يضعفه السند، فشهرته تكون أقوى من سنده كما قال العلماء. والله أعلم.

وبهذا الزواج رد واضح وصريح على من يزعم أن هناك خلافاً بين الصحابيين الجليلين سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما، إذ لا يمكن أن تكون التُقية في الزواج كما هي في السياسة، إن سلمنا حصولها في السياسة جرياً مع الخصم، وهي محال على الشجاع الحر الأبي مثل سيدنا علي ﷺ، لأنه لا يجوز تزويج الرجل المسلم التقي ابنته لفاسق فضلاً عن تزويجه لكافر، فثبت بذلك الزواج اعتقاد سيدنا علي بإمامة ودين وورع سيدنا عمر حتى زوجه ابنته مع فارق السن، رضي الله عنهم، والله أعلم.

ومع يقين أهل السنة وغيرهم بأن رحمة الله سبقت غضبه، وأنه تعالى قسم رحمته مائة قسم أنزل إلى الدنيا واحدة واستبقى للآخرة الباقي؟! فرحمة الله ستعم على البشرية يوم القيامة، فلماذا يحدها ويحصرها المعارض وقامت تلك الحجج على نجاتهما؟! والله أعلم.

ثالثاً: **ويبقى معنا قوله تعالى:** ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ [الضحى] **والشفاعة العظمى التي ادخرها الله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليوم القيامة:** قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾ [الضحى] أي: في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جملته نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر.

وقال السدي عن ابن عباس: **(من رضاء محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار)** رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال الحسن: يعني بذلك الشفاعة. وهكذا قال أبو جعفر الباقر وروى أبو بكر بن أبي شيبة – وأسنده – عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا** ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝ ﴾).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٦ ﴾ [إبراهيم] وقول عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨ ﴾ [المائدة] فرفع يديه وقال: ((اللهم أمتي أمتي)) وبكى. فقال الله تعالى لجبريل: ((اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك)) فأتى جبريل النبي ﷺ، فسأل فأخبره.

فقال الله تعالى لجبريل: ((اذهب إلى محمد، فقل له: إن الله يقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك)).

قلت -محمد نور عفا الله عنه-: ومن ضمن معاني (لا نسوءك) شفاعته لوالديه، حتى لا يساء إليه صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه لا يوجد أكبر من إساءة للرجل أن يرى والديه في أرض المحشر يوم القيامة، وهو قادر على الشفاعة لهما عند الله تعالى، وقد أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم الشفاعة لمن يريد، فألا يسارع للشفاعة لهما!!، وخاصة وهو الرحمة المهداة -هدية من الله- للعالمين، عالم الدنيا وعالم الآخرة وما بينهما من البرزخ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والله أعلم.

وقال محمد بن يوسف الصالحي الشامي ٩٤٢هـ في كتابه النفيس القيم: سبل الهدى والرشاد ١/ ٢٥٣ ط الدار العلمية ببيروت:

(ولا شك أن الظن بهما أن يوفقهما الله تعالى حينئذ للإجابة لشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه تمام في فوائده بسند ضعيف من حديث ابن عمر مرفوعاً: **(إذا كان يوم القيامة شفعتُ لأبي وأمي)** الحديث.

وروى الحاكم وصححه عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن أبويه؟ فقال: **((ما سألتهما ربي وإني لقائم يومئذ المقام المحمود))** [1].

قال السيوطي -في مسالك الحنفا:

(فهذا الحديث يشعر بأنه مرتج لعمل الخير عند قيامه المقام المحمود، وذلك بأن يشفع لهما فيوفقا للطاعة إذا امتحنا حينئذ كما يمتحن أهل الفترة، ولا شك في أنه يقال عند قيامه ذلك المقام: سل تعط، واشفع تشفع، كما في الأحاديث الصحيحة، فإذا سأل ذلك أعطيه) انتهى.

ويعلق العلامة الصالحي: فهذا تلويح بأنه يُرجى لهما الخير عند قيامه المقام المحمود، وذلك بأن يشفع لهما ليُوفقا للطاعة عند الامتحان، ولا شك في أنه صلى الله عليه وآله

(١) وأخرجه الطبراني في الكبير ١/ ٩٨ وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٣٨ قاله محققا كتاب (سبل الهدى والرشاد).

وسلم يقال له عند قيامه في ذلك المقام: **(سل تعط، واشفع تُشفع)** كما في الأحاديث الصحيحة، فإذا سأل ذلك أُعطيه.

وينضم إلى ذلك ما رواه أبو سعد النيسابوري في **(شرف المصطفى)** وعمر الملاّ في سيرته عن عمران بن حصين مرفوعاً: **(سألت ربي ألا يدخل النار أحداً من أهل بيتي، فأعطاني ذلك)**.

- روى تمام في فوائده -بسند ضعيف قاله الزرقاني- عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي).

ثم قال الزرقاني: فهذه الأحاديث يشد بعضها بعضاً، لأن الحديث الضعيف إذا كثرت طرقه أفاد ذلك قوة، كما تقرر في علم الحديث.

وروى الطبراني عن أم هانئ رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **(ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي، وإن شفاعتي تنال: حاء وحكم)** انتهى.

وكفى بهذا الحديث الشريف رداً من يزعم عدم الشفاعة للوالدين الشريفين، فمن هذا الذي يتقول على رسول الله، ومن هذا الذي يحول بين رحمة الله وعباده، ومن هذا الذي يضمن لنفسه دخول الجنة ويمنعها عن غيره؟!

أسأل الله تعالى العلي القدير أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبني عليه، وأن يتقبله بقبول حسن، وأن يشرح قلب من يعارض لقبول ما أوردته من أدلة، فهو خير مأمول، وهو خير الرازقين، وخير الغافرين، وخير الشاكرين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الباب الرابع

إثبات إيمان أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

آمنة بنت وهب رحمها الله تعالى

الباب الخامس

حديث إحياء والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ولو كان ضعيفاً؛ لأن الحديث الضعيف أحب من رأي الرجال عند الإمامين: أبي حنيفة النعمان وأحمد

الباب السادس

من علامات نجاة الوالدين الشريفين

صدر للمؤلف

١ - كتاب (منهج التربية النبوية للطفل) جزآن . نشر مكتبة المنار الكويت ثم دار الوفاء المنصورة ثم دار ابن كثير دمشق .

٢ - كتاب (الفرائد الحسان في تجويد القرآن) أسهل وأسرع كتاب في تعلم التجويد. نشر مكتبة المنار الكويت ثم دار ابن كثير دمشق.

٣- تحقيق كتاب (رسائل الإمام أبو حنيفة النعمان في العقيدة الإسلامية) نشر مكتبة البيان الكويت.

٤ - إعداد كتاب (حياة الإمام أبو حنيفة النعمان) نشر مكتبة البيان الكويت.

٥ - كتاب (الإمام أبو حنيفة النعمان محدثا في كتب المحدثين). نشر مكتبة البيان الكويت.

٦ - رسالة صغيرة (التعويذات النبوية من الشرور الجنية والإنسية) مكتبة المنار الكويت.

٧- كتاب (الهدي النبوي في الصحة والمرض والعلاج والعيادة) نشر دار التراث الإسلامي القاهرة.

٨- كتاب (تأكيد الأدلة على نجاة والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من النار).

٩ - تحقيق كتاب (لماذا آمن القس بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم) نشر وتوزيع مجاني، نفد، ويبحث عن تمويل للنشر مجدداً.

١٠ - تحقيق وتخريج أحاديث كتاب (مسائل كثر حولها النقاش والجدل) نشر وتوزيع مجاني.

ثانياً : مؤلفات جاري طباعتها:

١ - (روايات أهل البيت في كتب أهل السنة) ثلاثة مجلدات، إثبات عملي على تلقي أهل السنة الرواية عن علماء أهل البيت، جاري الطباعة في دار التراث الإسلامي في القاهرة.

٢ - شرح وتحقيق وترتيب العقيدة الطحاوية. وهو شرح لكل جملة في المتن بالآيات والأحاديث وشروحها التي اعتنت بالشرح العقدي للآية أو الأحاديث، استغرق عشر سنوات (جاري الطباعة في دار الوفاء المنصورة).

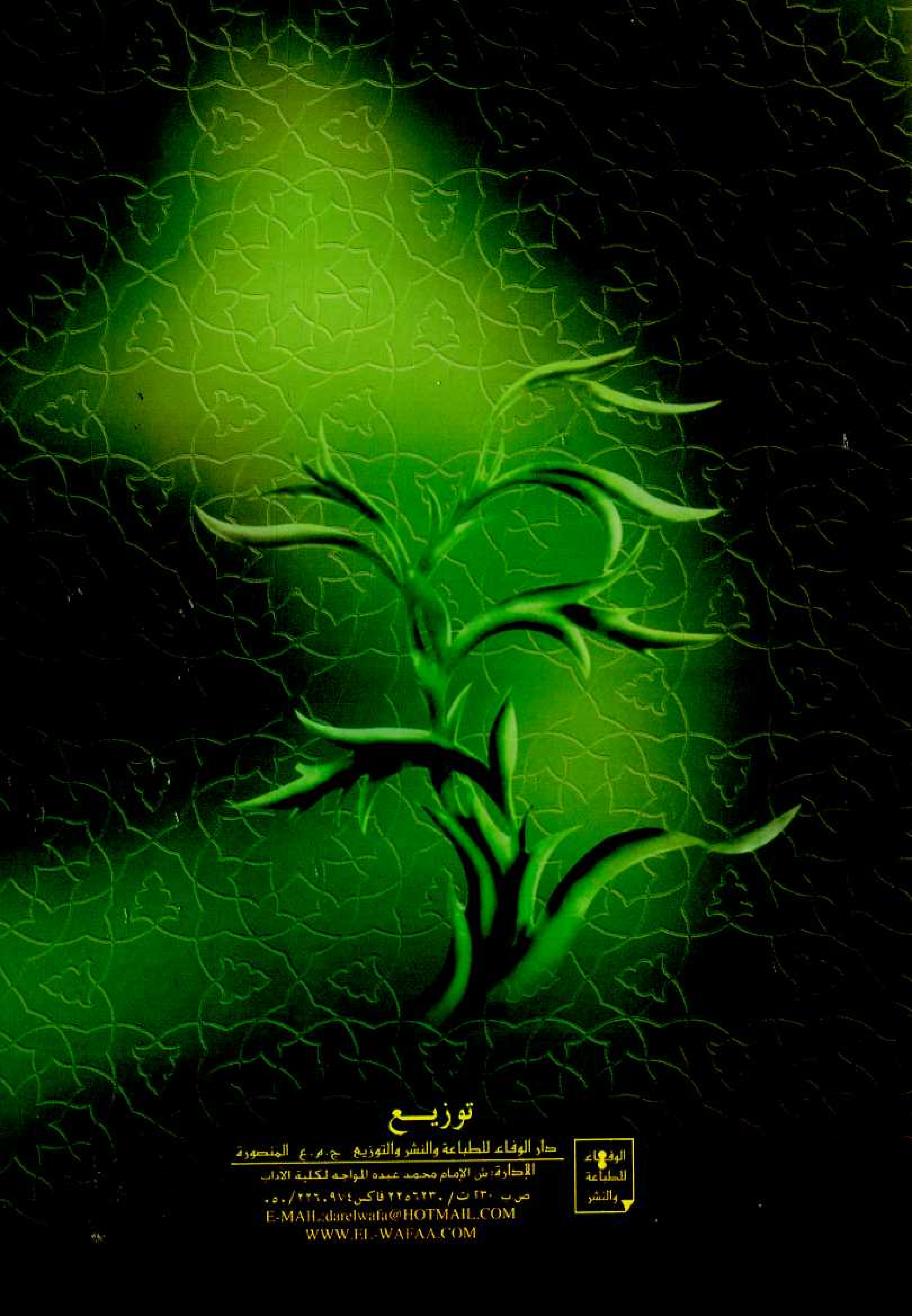
ثالثاً : كتب مؤلفة تبحث عن ناشر:

١ - موسوعة الاقتصاد الإسلامي مع فتاواه المعاصرة. خمسة عشر جُزءًا.

٢ - كيف؟ في القرآن.

٣ - أدلة جواز قول (صدق الله العظيم) عند انتهاء التلاوة.

٤ - التجديد في معالجة القضايا الإسلامية.



توزيع
دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ج.م.ع المنصورة
الإدارة: ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ص.ب ٢٣٠ ت / ٢٢٥٦٢٣٠ ٠ فاكس ٢٢٦٠٩٧٤ / ٠٥٠
E-MAIL:darelwafa@HOTMAIL.COM
WWW.EL-WAFAA.COM